

الطاووس

التاريخ الطبيعي والثقافي

كريستين جاكسون

ترجمة : يارا البدوي

سلسلة الحيوانات



الطاووس

كريستين جاكسون



ترجمة: يارا البدوي



سلسلة الحيوانات

الطاووس

التاريخ الطبيعي والثقافي

مراجعة : أسامه المنزلجي

الطبعة الأولى 1431هـ 2010م

SF513.P4 J3312 2010
Jackson, Christine E, (Christine Elisabeth), 1936-
الطاووس / كريستين جاكسون؛ ترجمة يارا البدوي.- أبوظبي: المجمع الثقافي، كلمة، 2010.
ص. ؛ سم.
ترجمة كتاب: Peacock
تدمك: 978-9948-01-497-3
-1 الطيور - اساطير و حكايات. -2 الحيوانات و الحضارة. -3 الحيوانات - صور. أ- بدوي، يارا.
يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنجليزي:

Christine E. Jackson
Peacock

Was first published by Reaktion Books in the Animal series, London, UK, 2006

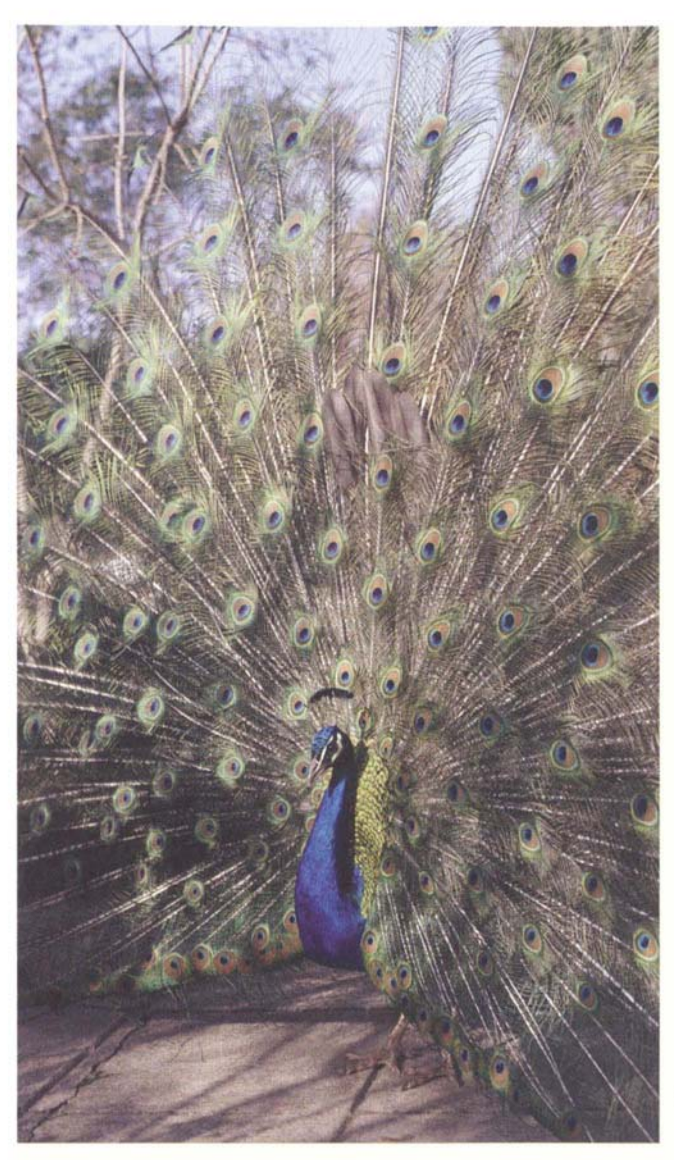


www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+
فاكس: 462 6314 2 971+



أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE
www.cultural.org.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+
فاكس: 059 6336 2 971+

المحتويات



ذكر طاووس أزرق
يؤدي عرضه.

مقدمة

يعرف الطاووس الأزرق أو الهندي بأنه أشدّ الطيور فتنة حول العالم. لكن ما يلفت النظر أنه من غير المعروف أن هناك طاووساً إفريقياً أخضر اللون، أكثر روعة، وكذلك طاووساً أفريقياً أكثر قصراً وبدانة وأصغر حجماً بكثير، لكنه لا يملك ذات الذيل المثير.

إن الطاووس الأخضر والطاووس الأزرق الهندي هما من أكثر الطيور جمالاً في العالم. وقد كان الطاووس الأزرق موضع إعجاب كبير أدى لانتزاعه من موطنه الأصلي في الهند وسريلانكا قبل آلاف السنين، حيث انتشر تدريجيا في الجزء الغربي من العالم. لا نعلم متى دخل هذا الطاووس إلى بريطانيا للمرة الأولى، إلا أن ذلك كان منذ زمن بعيد. فتحول هذا الطائر الدخيل إلى طائر مألوف جداً يقطن في حدائقنا وأفنية حظائرنا، كشاهد على قوة تحمله وقدرته على التكيف بقدر ما يشهد على جماله.

وبمعزل عن ريشه الرائع المتألق وأدائه الاستثنائي في رفع ذيله الطويل بطريقة مدهشة، فإن لهذا الطائر شخصية متفردة. إن الطاووس في اعتقادنا طائر ذكوري، ومتغطرس، ومستعرض، ومتوهج، وعدواني. فنتهمه بالتبختر بغرور، حتى أننا نشير إليه بلفظة «مغرور» عندما يستعرض نفسه. وفي وقت لاحق، أصبح النزوع الاستعراضي الطبيعي للطاووس يضرب مثلاً لوصف تصرفات اليافعين من البشر. حيث تبين أن فصل الذكور عن الإناث في صفوف مختلفة في المدرسة قد أدى إلى تحسين التحصيل الأكاديمي للجنسين. ويرجع أخصائيو التربية هذا إلى زوال ما يسمى بـ «تأثير الطاووس».

إن الميزة الأكثر إثارة لدى الطواويس الزرقاء والخضراء هي قدرتها على نشر ريش ذيولها ليشكل قوساً ضخمة يتراوح عرضها بين ١,٨ و٢,١ متر، ثم تبخترها هنا وهناك وهي تهز ريشها وتعكس به الأضواء. إنه عرض يخطف أنفاس من يشاهده، مع أن أنثى الطاووس تبدو غير مبالية به. فالأنثى تتصرف وكأنها شاهدت ذلك العرض مرات عديدة من قبل، يوماً بعد يوم وأسبوعاً بعد

ذكرا طاووس أخضر
وطاووس كونغو



آخر، وفي كل فصل ربيع. ردّة الفعل الوحيدة التي تقوم بها هي انهماكها في نقد فتات الطعام متناهية الصغر عن الأرض.

وقد أثارت تلك اللامبالاة المتعمدة فضول المراقبين العلميين، بمن فيهم تشارلز داروين. فلقد قام العلماء في التسعينيات بمراقبة دقيقة لإناث الطاووس وكيفية اختيارها لشركائها، واستطاعوا أن يثبتوا أن تلك الإناث اللا مبالية







رسم كاريكاتوري لـ دجي. دجي. غراندفيل يصور رجلاً يملؤه الغرور، مثل طاووس. يتبجح هذا الرجل قائلاً: «أنا مليونير، لدي خمس قلاع، كما أنني مضيف لأصدقائي».

نقش خشبي لطاووس أزرق يعود لعام ١٨٦٠.

والمشغولة ظاهرياً ، هي أكثر انتباهاً بكثير مما تبدو عليه. فهي تختار شركاءها وتبيض كمية أكبر من البيض للذكور ذات الذيول الأضخم.

تمر سنوات ثلاث قبل أن يبلغ ذيل الطاووس طوله الأعظم ويكتسب ألواناً فاقعة وتبلغ بقعه الشبيهة بالعيون حجمها النهائي. وبعناية فائقة، تختار أنثى الطاووس بنظرتها الثاقبة أكثر الطواويس نضجاً وروعة، صارفة النظر عن تلك الأقل عمراً وبهاءً.

على الرغم من أنها كانت جزءاً من مجتمع الطيور لقرون كثيرة، إلا أنه لم يكتب عن الطواويس الزرقاء إلا ما ندر، كما لا يعرف أولئك الذين لا يعملون في تربية الطيور سوى القليل من الحقائق عنها. فلم يكن هناك سوى بضعة كتب خصصت بكاملها للحديث عن الطواويس، على الرغم من أن صوراً توضيحية لهذا الطائر ظهرت في مخطوطات قديمة. وقد كتب المزيد عنها أيضاً في التواريخ الطبيعية العامة وفي الدراسات عندما ظهرت كتب عن الدجاجيات (رتبة الطيور التي تشمل الطواويس و أنوعاً أخرى قريبة، كالدرّج والحجل وطائر

السماني ودجاجة الأدغال) نشرتْ للمرة الأولى في القرن التاسع عشر، ولكن لم ينشر كتاب يتحدث عن الطواويس فقط حتى أواخر القرن العشرين.

يعتبر الطاووس رمزاً في ديانات سكان موطنه الطبيعي في آسيا، حيث يعد بمثابة عربة تستخدمها الآلهة في الديانتين الهندوسية والبوذية. كما يعد موضوعاً للحكايات التي تتحدث عن الجن والخرافات والأساطير. أما في الغرب، فإن إحدى أكثر الأساطير شهرة عن الطاووس، والمعروفة لليونانيين والرومان، تدور حول كيفية حصوله على تلك البقع أشبه بالعيون على ذيله. وتقول الأسطورة إن رئيس الآلهة جوبيتر وزوجته الالهة جونو كانا مسؤولين عن وضع تلك البقع المثيرة للدهشة على ريش الطاووس. فكان جوبيتر يعجز عن مقاومة جمال عذارى النساء، وهذا ما كان يثير غضب جونو عندما أمسكته بالجرم المشهود. وكانت آيو إحدى تلك العذراوات المسكينات التي اضطر جوبيتر إلى تحويلها إلى بقرة محاولاً إنقاذها من غضب زوجته. طالبت جونو بالبقرة وأوكلت بمهمة حراستها إلى راعي أبقارها، آرغوس، ذي المائة عين والذي لا ينام أبدا. وعندما قتل آرغوس احتفظت جونو بالمائة عين بوضعها على ريش ذيل طائرها الملكي، الطاووس.

وقد عجّ أدب كل من الشرق والغرب بقصص أخرى عن ذيل الطاووس وصوته وحتى قدميه أيضاً. كما تنوعت سوية الوعي لوجود الطاووس في وسطنا عبر القرون. فقد مرت العديد من العصور التي شهدت تربع الطاووس على عرش الشهرة، حيث كان حاضراً في الفن المسيحي المبكر في المخطوطات التوضيحية واللوحات التي تصور مشاهد مرتبطة بالكتاب المقدس مثل جنة عدن، والخلق، وسفينة نوح. أما في مخطوطات العصور الوسطى فقد وجد المتنورون متعة بالغة في فرصة رسم كل تلك الألوان الصارخة للطاووس. وفي تلك العصور، كان الطاووس يعد مصدراً للريش الذي يثبت في مؤخرة السهام ولتزيين خوذ وقبعات الرجال وشعارات النبلاء وأدواتهم التراثية. وفي العصر الذهبي للوحات الدانمركية والفلامنكية في القرن السابع عشر، أثبت الطاووس حضوراً متكرراً في صور أفنية الحظائر والحدائق الأرستقراطية. أما في القرن





التالي فقد تضاءل وجود الطاووس لفترة، ثم ما لبث أن عاد ثانيةً فأصبح مهماً لتزيين القبعات النسائية هذه المرة.

لقد أسهم الاستخدام المتزايد لريش الطاووس لهذا الغرض في تأسيس جمعية حماية الطيور عام ١٨٩١ وجمعية أودوبون الوطنية الأميركية عام ١٨٨٦.

في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كانت الطواويس تشكل جزءاً رمزياً لا يتجزأ من الفنون والحرف والحركات الفنية المحدثة لتظهر بشكل مكثف في الأعمال المعدنية والفخار والزجاج و الخزف و الحرف الفنية الأخرى للدرجة التي لم يعد فيها ممكنا تجنب صورة الطاووس. وطوال المائة عام الماضية عادت الطواويس لتندمج مع محيطها، فلم تعد ترى إلا في حدائق فسيحة تطوف بها في حالة شبه داجنة.

على مر آلاف السنين، ارتبطت تلك الطيور الرائعة بالإنسان بعلاقة وثيقة

أرغوس يحرس أيو بعد أن حولها جوبيتر إلى بقرة، في لوحة جصية جدارية لبينتوريكيو في مبنى بورجيا في الفاتيكان، روما، عام ١٤٩٠.

بعد وفاة أرغوس، قامت جونو وملاكها المرافق لها بوضع أعينه في ذيل طائرها الرمزي، الذي يظهر هنا في جزء من نسيج مزين بالزخارف والرسوم من عصر النهضة.

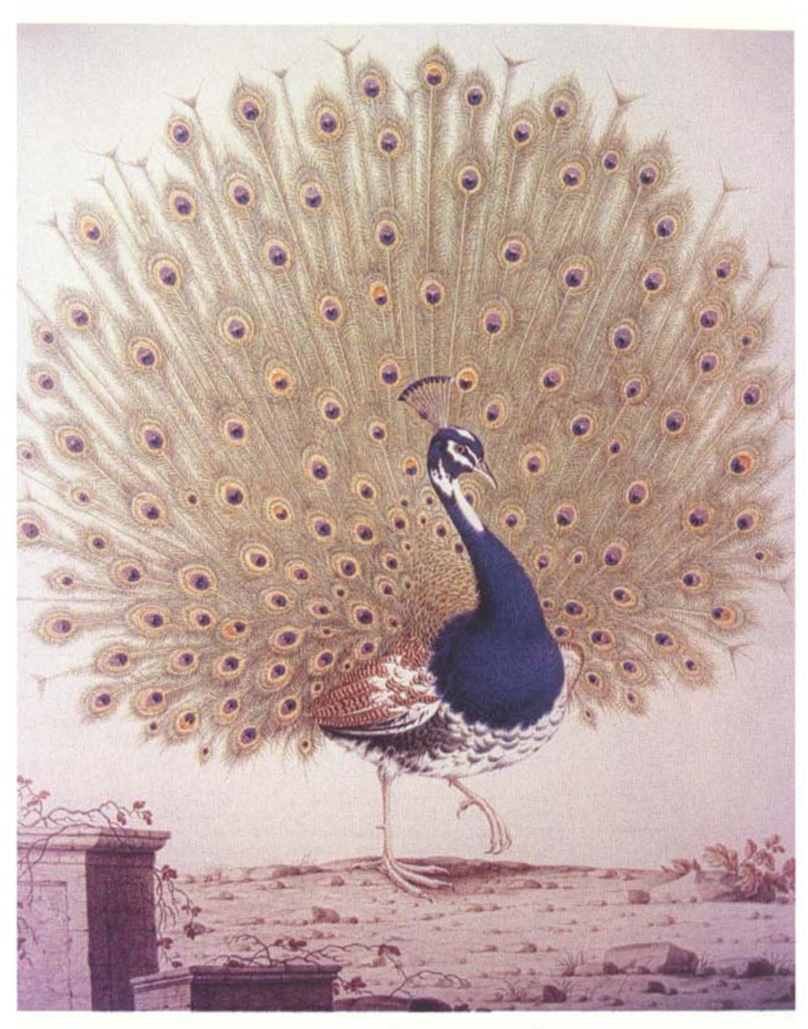


صحن من تركيا مصنوع بالأسلوب الإزنكي من القرن السادس عشر وفق النمط الذي ألهم ويليام دي مورغان في تصميمه (على الصفحة المقابلة).

متعددة الأشكال. ولم تحظ سوى بضعة أنواع أخرى من الطيور بمثل ما حظي به الطاووس من تاريخ المتنوع والواسع، شاغلاً مكانة بارزة في الثقافة والفن والدين لدى سائر شعوب الأرض. فلطالما كان طائراً ملفتاً للنظر، قادراً على البقاء، فزعموا أن له ريش ملاك وصوت شيطان وأقدام لص.



آنية خزفية من تصميم دي مورغان ذات أسلوب إزنكي
(حوالي ١٨٨١-١٨٨٨) لفريد باسنجر



لوحة مرسومة بالألوان المائية لطاووس أزرق يؤدي عرضه بريشة نيكولاس روبرت (١٦١٤-١٦٨٥). صورة نادرة للطائر المختال، ومحاولة استثنائية، في ذلك الوقت، لتصوير تأثير ١٠٠ إلى ١٥٠ ريشة ببقعها العينية وريشات أطول بشكل حرف V.

1- التاريخ الطبيعي

لا يمكن تحديد التاريخ الأقدم للطواويس بوضوح، والسبب الرئيسي لذلك هو أن الهياكل العظمية للطواويس لا تحتمل عملية التحجر. فالسجلات الأحفورية للدجاجيات، رتبة الطيور التي ينتمي إليها الطاووس، غير كاملة. حيث تُظهر تلك البيانات أن الطيور الشبيهة بالدجاج قد تمايزت وترسخت كمجموعة في وقت مبكر من الدور الثالث العلوي، منذ ٢٦ مليون سنة مضت. وفي عام ٢٠٠٣ ظهر تقرير يفيد بالعثور على أحفور إثيوبي بيلوسيني، يُعد صلة الوصل بين الطواويس الحية الآسيوية والإفريقية، وهو نوع كبير من جنس البافو، فريد من الناحية المورفولوجية إلا أنه أقرب إلى الطواويس الزرقاء والخضراء منها إلى طواويس الكونغو. يُعتقد بأن طاووس الكونغو، أفروبافو، قد تحدّر من البافو تقريبا في الفترة الممتدة من أواسط إلى أواخر الزمن الميوسيني (منذ ٦ إلى ٧ ملايين عام). وإلى الآن لم يعثر إلا على عدد قليل من الأدلة الأخرى التي تعود لفترة أقدم من تاريخ الطاووس(١).

لكن ما يتواجد لدينا بوفرة مذهلة، هي أدلة عن حركة الطاووس الأزرق عبر البر والبحر من موطنه الأصلي في الهند وسريلانكا إلى أوروبا في عصور ما قبل الميلاد. وهنالك معلومات أقل عن حركة الطاووس الأخضر في بورما والهند الصينية، شرقاً وشمالاً عبر الصين إلى اليابان، لأن هذه الطيور أقل قبولاً للنقل والأسر من الطواويس الزرقاء. لم يكتشف أيٌّ من علماء الطبيعة طواويس الكونغو حتى عام ١٩٣٦، ويبدو أن وجودها مقتصر على الكونغو (زائير) الآن، إلا أن توزعها البدائي غير معروف.

ترتبط الطواويس بقرابة وثيقة بطيور التدرّج، فجميع هذه الطيور تقريباً من آسيا. وطاووس الكونغو هو النوع الوحيد من فصيلة طائر التدرج التي تتوزّع خارج آسيا توزعاً طبيعياً. تمتلك جميع الطواويس ريشاً متقزحاً تعرضه بطريقة مؤثرة، كما أن لها رؤوساً صغيرة وأعناقاً طويلة وسيقان قوية مجهزة بشوكة (تحمل الإناث عادة تلك الأشواك أيضاً). وكحال طيور التدرّج، تبيت هذه الطيور

طاووس من
كتاب بيويك
تاريخ الطيور
البريطانية.

في الأشجار من أجل الأمان. وتشترك الطواويس مع طيور التدرّج أيضاً في خاصية أخرى هي تفضيلها للأعشاب الكثيفة المظللة التي تنمو تحت الأشجار حيث تتوارى فيها فتصبح ملاحظتها من الصعوبة بمكان. ونتيجة لذلك، فإن حالة طاووس الكونغو البرية مجهولة بصورة عامة، أما حال الطاووس الأخضر فالتحقق منها أسهل قليلاً. لكن دراسة هذين النوعين في الأسر هي بالصعوبة نفسها، لأن القليل فقط من الطواويس الخضراء تعيش في الأقفاص، ولم يكن في الأسر سوى ١٠٨ نموذج من طاووس الكونغو عام ١٩٩٦. كما تتوافر معلومات أكثر عن سلوك وتأقلم الطاووس الأزرق في بيئته، وذلك لأنه أكثر تكيفاً في حضور البشر.

أنثى طاووس زرقاء مع
فراخ تبلغ من العمر
أسبوعاً واحداً، وذكر
طاووس أزرق.



طاووس هندي أزرق، بافو كريستاتوس، لينايوس، 1758

إن الانتشار الواسع للطواويس الزرقاء، بعيداً عن مواطنها الطبيعية في الهند وسريلانكا، جعل منها منظراً مألوفاً في العديد من البلدان. كما أن اللمعان المعدني لريش الطواويس الزرقاء والألوان الرائعة لذيولها المذهلة التي تُعرض أمام أعداد لا تحصى من الناس، ناهيك عن الإناث، هي مصدر مستمر للإعجاب والبهجة.

يتكون ريش الطيور من خلايا مادة الكيراتين، وهي المادة ذاتها التي يتركب منها الشعر، والأظافر، والقرون، والحوافر. إن الترتيب البنيوي للكيراتين، خلافاً للأصباغ، مسؤول عن تقزّح الريش، وهو التغير اللوني الذي يحدث عند النظر إلى الريش من زوايا مختلفة. إن ريش الطاووس الأزرق متقزح في مُعظمه، حيث يبدو العنق والصدر باللون الأزرق الفضي، ويبدو الظهر والأرداف باللون الذهبي، أما كواسي[1] العلوية للذيل فتظهر بألوان متعددة.

حينما يقوم ذكر الطائر بعرضه المعتاد، يظهر ريش الظهر والأرداف ذو اللون الذهبي المتلألئ في أجمل حالاته متمايزاً مع اللون الأزرق الداكن للعنق. كما أن ريش الجناحين الرئيسيين، غير المتقزح، الأصهب أو البني المحمر بشكل خفيف، يشكل تمايزاً محبباً مع الألوان الخضراء والذهبية للكواسي العلوية من الذنب. تتكون هذه الكواسي من قصبات متحللة معدنية المظهر ذات لون بني أو ذهبي نحاسي وأخضر داكن. أكثر من ١٠٠ ريشة تحمل تلك البقع التي تشبه الأعين، إلا أن حوالي ٣٠-٤٠ من الريش الأطول ذو لون أخضر ذهبي، وينتهي بمروحة عريضة على شكل حرف (V). أما الريش الجانبي المنجلي الشكل هو أيضا ذو لون أخضر ذهبي متلألئ ويشكل حافة خارجية مهدبة تَحُد الكواسي المرفوعة للجزء العلوي من الذيل. ويحتوي بعض هذا الريش على بقع عينية أصغر حجماً.

على الرغم من أن الكواسي العلوية لذيل الطاووس-التي ترتفع عن الأرض بمقدار بوصة أو بوصتين- قد تبدو ثقيلة، إلا أنها لا تشكل عائقاً سواء

(١) الصغيرات من ريش الطائر التي تكسو أصول الكبيرات منه.



ريش الذنب العشرون الداعم لذيل طاووس أزرق يقوم باستعراضه.

حين يركض الطاووس ضمن غطاء نباتي أو عندما يخفق بجناحيه محاولاً الوصول إلى مجثمه. فالطواويس قادرة على النهوض بسرعة وبزاوية حادة بشكل ملفت.

حينما يحلق الطاووس فإنه يطير بشكل جميل وبسرعة مماثلة لسرعة طائر التدرّج. كثيراً ما يجثم على فرع شجرة عالٍ قد يكون ظاهراً فيها لكنه في أمان هناك. بينما يستعد الطاووس للمبيت، يطير أولاً إلى فرع أدنى ثم يمهد طريقه إلى فرع أعلى، وهكذا يعتلي غصناً بعد الآخر إلى أن يصل إلى أعلى مجثمه(٢).

عندما لا يرغب ذكر الطاووس في أن يراه أحد، باستطاعته الاختفاء بين أوراق الشجر فيصبح اكتشاف مكانه من الصعوبة بمكان. حتى أن سرباً من خمسة عشر أو عشرين طائراً بإمكانه الاختفاء في لحظات دون أن يترك أي أثر. وقد ألّف عالم الطبيعة الأمريكي جيرالد هاندرسون ثاير كتاباً يدعى التلون من أجل التخفي في مملكة الحيوان (١٩٠٩) حيث تحدث عن نظرية حول الأسلوب الذي تتبعه الحيوانات من أجل حماية نفسها عندما تكون في بيئتها الطبيعية وذلك بأن تنسجم ألوان فرائها وريشها مع ألوان محيطها. تُظهر إحدى اللوحات في هذا الكتاب الطاووس مموهاً وسط الشجيرات الصغيرة.



لوحة أبوت إتش ثاير الزيتية طاووس في الغابة، عام ١٩٠٧

لقد سبب الطاووس لتشارلز داروين قدراً هائلاً من القلق. فالكواسي العلوية للذيل غير فعالة على ما يبدو ومسرفة في الإبهار بشكل واضح، بحيث تشد انتباه الحيوانات المفترسة مستهزئة بقوانين داروين للاصطفاء الطبيعي.

حتى أنه اعترف في رسالة إلى آسا غراي في ٣ أبريل /نيسان عام ١٨٦٠، أنه بينما كان يصوغ نظرياته حول التطور، كانت مجرد «نظرة إلى ريشة في ذيل[١] طاووس أنظر إليه، تشعرني بالغثيان». حيث كانت مشكلته في أنَّ الكواسي العلوية لذيل ذكر الطاووس لم تجعله واضحاً لأعدائه فحسب، بل اعتقد أنها كانت تعرقل فراره منهم أيضاً. في نهاية الأمر، قام داروين بحل المشكلة بنظرية أخرى-عن الاصطفاء الجنسي. فقد تطور الريش مع الوقت ليمنح الذكور أفضلية عند التزاوج. حيث تمتلك كافة ذكور الطاووس البالغة تلك الكواسي

(١) الاقتباس كما ورد في المصدر (الكاتب).

المذهلة، ولذلك، فمن المرجح أن تفضل الإناث، الذكور ذات البقع العينية الأكبر حجماً والألوان الأكثر إشراقاً(٣).

بما أن الإناث هي من تقوم باختيار الذكر الذي ستتزاوج معه، فقد قامت عالمة الأحياء الاجتماعية ماريون بيتري بالتحقق من هذه النظرية مؤخرا في حديقة حيوانات ويبسنيد في بيدفوردشاير.

تُظهر صعوبة رؤية الطاووس في الغطاء النباتي، وقد تم اعتمادها كجزء من أطروحة لكتابه التلون من أجل التخفي في مملكة الحيوان (١٩٠٩).

فقد بينت أن إناث الطواويس الزرقاء تتعمد اختيار الذكور التي تحمل البقع العينية الأكبر حجماً على ريش كواسيها. ثم قامت بتتبع نشأة فراخ من أنسال ذكور مختلفين، فوجدت أن فراخ أكثر الذكور زركشةً لم تنمُ بشكل أسرع فحسب، بل تمتعت بمعدل بقاء أفضل أيضاً(٤).

في الهند، تحافظ ذكور الطاووس على ريشها الكامل من شهر يونيو/حزيران وحتى ديسمبر/كانون الأول، بينما تقوم الإناث بوضع البيض وحضانة الأفراخ خلال شهري يوليو/تموز وأغسطس/آب، موسم الأمطار. في يناير/كانون الثاني يتساقط ريش الكواسي العلوية للذيل، الذي يبلغ طولها ١,٢ متر، بالكامل. (أما عندما تربى في الأسر في إنكلترا، فيبدأ طرح الريش اعتباراً من شهر يوليو/تموز، حيث تفقد الذكور ريش كواسيها وذيولها وأجنحتها. وفي أكتوبر/تشرين الأول- نوفمبر/تشرين الثاني، يبدأ الريش الجديد بالنمو، لكنه يبقى قصيراً إلى أن يبدأ بالنمو سريعاً في فصل الربيع، ليستعيد الطاووس بهاءه الكامل في شهري أبريل/نيسان ومايو/أيار.) على الرغم من أنه ليس للإناث كواسٍ علوية للذيل، إلا أن كلا الجنسين يمران بفترة سقوط سريع للريش وفترة شفاء طويلة الأمد ثم نمو سريع للريش الجديد. حين يكون الريش لا يزال قصيراً، تبدو ذكور الطاووس باهتة اللون وميالة للانعزال.

وحيث أنه من الممكن جمع ١٠٠ ريشة للزينة كل عام من ذكر واحد فقط في وقت التساقط، نستطيع أن نعي بسهولة التاريخ الطويل لتصدير ريش الطاووس. فقد كان ذلك مصدر دخل مربح، بقليل من العناء، خصوصاً عند

وجود الطواويس بتجمعات كبيرة.

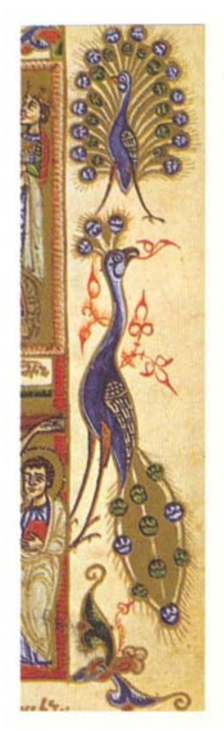
في البلدان التي تقع خارج نطاق التوزع الطبيعي للطواويس، أصبح ريش الكواسي العلوية لذيولها مألوفاً بالنسبة لبعض الأثرياء قبل أن يتمكن هؤلاء من رؤيتها أو رؤية جلودها أو نماذج محنطة منها بوقت طويل. لقد كانت ريشة الطاووس شيئاً قيماً جديراً بالاقتناء بالنسبة لأي شخص يراها لأول مرة ببقعتها العينية الرائعة وقصيباتها المتلألئة. كان الريش يُقتنى ويوضع في خزائن تستخدم لحفظ التحف، كالأصداف النادرة والأحجار الكريمة.

كان الريش يوضع كزينة شخصية في أغطية الرأس، وفي المعاطف التي يلبسها سكان البلاد التي عاشت فيها الطواويس. كما كان القماش يصنع من خيوط سداة حريرية ولحمة من ريش ومن المحتمل أن المعطف الذي أرسله البابا بولس الثالث(١٥٣٤-١٥٤٩) إلى الملك الفرنسي كان مصنوعاً بتلك الطريقة. كانت تجارة الريش تمد البلدان البعيدة عن المواطن الطبيعية للطاووس بريش الزينة كرموز تدل على المنزلة الاجتماعية، وتستخدم لتزيين القبعات والخوذ؛ والمراوح وقانصات الذباب؛ وطعوم الصيادين؛ وترييش سهام الرماة؛ ومؤخراً في تنسيق الزهور وتحف الزينة. أدرك أحد علماء الطيور وجود طواويس الكونغو عندما رأى، في غطاء رأس محلي، ريشتي طاووس ما تزالان مجهولتين حتى يومنا هذا. إن التقديرات الأولية حول وجود الطواويس في بلدان خارج نطاق وجودها المعتاد، قد تشير فقط إلى ريش الطاووس الذي أدخل إلى تلك البلدان قبل أن يتم استيراد أي طائر حي بوقت طويل.



طواويس في مخطوطة أرمينية قديمة.

أدت ساقا الطاووس الغليظتان والمتينتان إلى ظهور تعليقات غير مواتية جديةً كانت أم فكاهية. فبلونهما البني كالقرون والرمادي ومع مخالب أغمق لوناً، تمثلان ساقي دواجن نموذجيتين، تنسجمان بغرابة مع سحر بقية أجزاء الطير. ليس للعديد من الطيور قصص حول أقدامها، أما الطاووس، فلطالما اتهم بكونه يشعر بالعار الشديد من ساقيه وقدميه الضخمتين لدرجة أنه يتوقف عن الاستعراض حينما يلمحهما ويبدأ بالبكاء بصوت عالٍ محتجاً على فرضهما عليه. يصف روبرت تشيستر في قصيدته «شهيد الحب» عام ١٦٠١ تأثير قدمي



الطاووس على الطائر:

طاووس بريشه إلى الشمس يختال

يمشي طوال الوقت، ظانا نفسه ملكا،

بصوته المتكهن بكل تقلبات القدر،

وغناء أبقاه الرب بعلمه رديئاً؛

أما حين ينظر للأسفل نحو أقدامه السود الدميمة،

فإنه يشعر باليأس والعار لأنها غير ملائمة.

في الحقيقة، هما أداة قوية عند الهروب، فالطواويس تفضل الجري إلى داخل الأجمات على الطيران إليها. حيث بوسعها الركض بسرعة تمكنها من أن تسبق رجلاً يطاردها لمسافة قصيرة.

يبلغ طول شوكتي ساقي الطاووس ٢,٥ سم فقط، إلا أنه يمكن استخدامهما لجرح ذكر آخر كما تفعل الذكور المتصارعة في دفاعها عن منطقتها خلال موسم التكاثر. تنشب الشجارات عندما تواجه الذكور بعضها الآخر، لتثب في الهواء ثم تخدش بعضها لدى نزولها. وقع ذات مرة على مسافة من تشيستر نزال ضار بين طاووسين، «فاهتاج الاثنان بشدة أثناء المشاجرة، لدرجة أنهما طارا فوق المدينة بأكملها، وظلا يتقاتلان حتى حطا على قمة برج سانت جون»(٥).

لقد أدت مشية الطاووس الملفتة للنظر،خصوصاً حين يقوم باستعراض الكواسي العلوية لذيله، إلى اتهامه بالتبجح والاختيال. إلا أن كل ذلك الاختيال الظاهر والتبختر بأرجل متصلبة يعود فقط إلى جهد ميكانيكي للحفاظ على توازنه. وأثناء هبوب الرياح، تكون هذه الحركات مبالغاً بها متوافقة مع قوة الرياح، كما تتردد الطواويس بالاستعراض في الأجواء العاصفة جداً. أصاب شكسبير عندما وصف مشية الطاووس بأنها «خطوة ووقفة»، مشبهاً إياها بمشية أجاكس في ترويلوس وكريسيدا(Iii .iii،٤-٢٥٣).

أما صيحة الطاووس، التي يقال بأنها تشبه كلمة باافو، فقد وصفت بأنها خشنة، حادة، كريهة أشبه بالزعيق. هذه هي ردة فعل من هم على مقربة من الطائر حين يكون في حالة شبه داجنة. يكتب إدوارد بيكر عن الطاووس في

الغابات الهندية، فيقول:

«إن صيحة الطاووس أشبه بصرخة ناعمة عندما تُسمع في البرية بعيداً عن أي مساكن بشرية، لكنها على الرغم من ذلك تبقى نافذة وبغيضة عن قُرب في فناء مزرعة... وغالباً ما تصيح الطواويس في الليالي الهندية المقمرة الصامتة، التي لا يشوبها سوى أزيز وطنين الحشرات وصيحات ذكر الطاووس «فياو، فياو»، لتردد الطيور هذه الصيحة واحداً تلو الأخر حتى تتخافت الصيحات الأخيرة بعيدا(٦)».

تطلق الطواويس بضع صيحات عالية عندما يزعجها أحد حيوانات الغابة الأكبر حجماً، كالفيل أو الدب أو الأيل، أما إذا اكتشفت تلك الطيور حيواناً من فصيلة السنوريات فهي ستستمر بإطلاق الصيحات طالما لا يزال في مرمى نظرها، وغالباً ما تلاحقه من شجرة إلى أخرى لمسافة طويلة.

تعيش الطواويس الزرقاء لـ ٢٠-٢٥ عاماً، وتبدأ بالتكاثر اعتباراً من عامها الثالث. وتبيض الإناث عادةً من ثلاث إلى خمس بيضات بيضوية الشكل، ذات لون أصفر برتقالي بقشرة سميكة لامعة ذات مسامات صغيرة عميقة. يقال أن بيض الطاووس لذيذ جداً، وقد تناول سكان البلاد التي لا تحرّم



ذكر طاووس أبيض يستعرض.

تعاليمها الدينية أكل البيض، المئات منه. أما العش، فهو مجرد بقعة على الأرض مكشوطة ومخفية تحت الشجيرات مع بعض الأعواد والأوراق اليابسة. حالما تفقس الفراخ، تبدأ بالتراكض هنا وهناك وتستغرق بضعة أسابيع قبل أن تستقل بنفسها. وتستغرق الذكور ثلاث سنوات قبل أن تحصل على كواسٍ علوية للذيل كاملة.



ذكر طاووس أبيض في طابع بريدي من كوريا الشمالية يعود للعام ١٩٨٨.

تبلغ الطواويس أوج ألقها في موسم التزاوج، حيث تقضي الذكور التي تقترن بأكثر من أنثى وقتاً غير قصير في الاستعراض. تمتد الكواسي العلوية لذيل بريش تزاوج[١] كامل إلى مسافة تبعد بين ١٠٠ إلى ١٢٠ سم (وأحياناً أكثر) عن نهاية الذَّيل الحقيقي.

إن ريش الكواسي العلوية للذيل المرفوع والبالغ عدده من ١٠٠ إلى ١٥٠ريشة، والمدعوم من الخلف بواسطة ٢٠ ريشة صلبة في الذيل، ينتشر مشكلاً تقوساً ضخماً بعرض من ١٨٠ إلى ٢١٠ سم يتقوس نحو الأمام باتجاه الأنثى. وفي الوقت ذاته ينثني الجسم كما لو أنه ينحني. ثم يقوم الذكر بجعل الكواسي العلوية لذيله تومض أو تهتز مما يصدر صوت خشخشة مسموعة بوضوح. بينما يشكل اللون الذهبي لريش الظهر والأرداف تبايناً فاتناً مع اللون الأزرق المتقزح للصدر، مقابل ريش الاستعراض المتلألئ بألوان قوس قزح. أما عملية إلقاح الأنثى فتستمر لثوانٍ معدودة.

تعتبر الطواويس من القوارت[٢]، فهي تتغذى على صدفيات اليابسة والحشرات والديدان والسحالي الصغيرة والضفادع والأفاعي بالغة الصغر. يدعى الطاووس باللغة السنسكريتية مايورا، وتعني «قاتل الأفاعي». إلا أن الطواويس تتغذى بشكل رئيسي على الحبوب وبراعم الأعشاب ونباتات الخيزران الطرية والغضة، وبتلات الزهور وبراعمها، وبراعم الأشجار على وجه الخصوص. فربما يكون غذاؤها المفضل حشرات الأرضه المكتنزة حيث يمكن

(١) ريش التزاوج هو ريش يكون عادة ذا ألوان أكثر إشراقا من الريش العادي ويظهر خلال موسم التزاوج.

(٢) جمع قارت وهي الكائنات الحية التي تتغذى على المواد الحيوانية والنباتية.

لهذه الحشرات أن تكون مهلكة للنباتات الزراعية. كما أنها تبتلع الحصاة الصغيرة والحبيبات الرملية الخشنة.

تعد الطواويس طيوراً متعطشة للماء، لذا فتوافره ضروري بالنسبة لها. تكون الطواويس عرضة للهجوم بشكل خاص، حينما تجتمع سويةً بالقرب من برك الغابات. لا تستحم الطواويس بالماء، بل تفضل أن تستحم بالغبار. بعد الحصول على حمام غبار جيد، وهو ما يساعد الطير على التخلص من الحشرات والطفيليات الخارجية، يقضي الطاووس وقتاً ليس بقصير وهو يسوّي ريشه. في حال تبللت الكواسي العلوية لذيل الطاووس، مثلما يحدث له في الصباح الباكر عندما يبتل بسبب الندى، فإنه ينتظر في مجثمه إلى أن يجف الريش.

يلتمس الطاووس الانعزال بطبيعته، إلا في الأماكن التي علمته خبرته الطويلة أن لا شيء فيها يدعو للخوف، كالمعابد والقرى الهندية حيث يكون مبجلاً ومحمياً. إن مشية الطاووس هي مشية طير يخطو باحتراس، أما وقفته المنتصبة وحركة رأسه الثابتة فتوحيان بأنه طائر متيقظ للخطر. إن الاستعراض الذي يقدمه الطاووس هو جزء من محاولته إغواء أنثى للتزاوج، لكنه يمكن أن



اعتبر تشارلز إر. نايت (١٨٧٤-١٩٥٣) هذه اللوحة الزيتية المسماة نمر مع طاووس، أفضل لوحاته على الإطلاق، حيث احتفظ بها في مرسمه حتى وفاته. ربما انقض النمر على الطاووس بينما يشرب بالقرب من بركة مشابهة في البرية. (وقد تم انجاز هذه اللوحة في حديقة حيوان برونكس)،

يكون أيضاً مرهباً حين تتواجد ذكور أخرى على مقربة منه، أو حين يتهدده خطر أنواع أخرى من الحيوانات.

تمثّل صرخته تحذيراً للحيوانات المفترسة المتواجدة في الجوار، بالإضافة إلى ترسيخ أحقيته بالمنطقة.

إن أعداء الطاووس الرئيسيين هي القطط الكبيرة: سنور الزّباد، النَّبَر والنمر؛ والكلاب البرية بما فيها الكلب الأحمر وابن آوى. أما عندما يتعرض الطاووس لهجوم، فهو يجري بسرعة عبر الشجيرات المنخفضة والنباتات الكثيفة، مفضلاً ذلك على الطيران. أما إذا اضطر للطيران، فما إن يقوم بالتحليق حتى يطير بسرعة مقبولة، بعكس اعتقاد العديد من الرياضيين وعلماء الطبيعة. يكون الطاووس عرضة للهجمات المفاجئة عندما يشرب الماء؛ وخلال استعراض الذكر لكواسي ذيله العلوية المنتصبة، حيث أنه لا يتمكن من الرؤية خلفه؛ وعند المبيت، في حال لم يتخذ لنفسه مكاناً مرتفعاً بما يكفي على الشجرة. من الممكن أن يشد نمرٌ بمخالبه الكواسي العلوية الطويلة لذيل الطاووس ليطرده من مجثمه. وحيث أن طول الكواسي يزيد عن متر واحد، وبإمكان النمر أن يتمدد لثلاثة أمتار (أو أكثر عند الوثب)، فإن الطائر بحاجة إلى المبيت على غصن يبلغ ارتفاعه عن الأرض ٥,٥ متر على الأقل حتى يكون آمناً تماماً من النمر. وتطور النمور اليافعة، بواسطة الطواويس، مهاراتها في التربص والانقضاض.

وُجدت الطواويس الزرقاء فيما مضى بكثرة في العديد من أجزاء الهند وسريلانكا. ففي عام ١٨٠٧ كتب الكابتن توماس ويليامسون عن رؤيته ١٢٠٠ أو ١٥٠٠ طاووس على الأقل، على مرأى من المكان الذي كان واقفاً فيه(٧). وقد ساهمت عمليات السلب التي قام بها -وكثيرون غيره- بالإضافة إلى التزايد السكاني، في إفساد تلك الصورة، جنة الطواويس على الأرض. في يومنا هذا، لا يزال الإنسان هو العدو الأكبر للطاووس، ويعود ذلك بشكل رئيسي إلى أن خطط إزالة أشجار الغابات في أجزاء متعددة من مجالها الطبيعي، قد أدت إلى تراجع في مساحة مواطنها. وقد جرت محاولات من أجل توسيع نطاق تواجد الطاووس الأزرق عن طريق برامج لتوطين هذا الطير في أجزاء مختلفة من



لوحة جاكوب بوجداني، زوج من الطواويس في متنزه، حوالي ١٧١٠ تقريباً، وهي مرسومة بالألوان الزيتية على الخيش. الأنثى بلون أبيض صاف، والذكر متعدد الألوان، ويظهر طاووس آخر أمام نافورة الماء التي صنعها إيرل هاليفاكس بالأسلوب الباروكي في متنزه بوشي في لندن.

العالم. هناك الآن أعداد قليلة من الطواويس البرية في جزر أندامان والولايات المتحدة وأستراليا ونيوزيلندا وبعض جزرهاواي(٨). وتتم حماية الطواويس في المتنزهات الوطنية، كما يقوم الهنود على، وجه التحديد، ببذل جهود جمة من أجل الحفاظ على هذه الطيور وبيئتها الطبيعية في الوقت نفسه.

في أواخر القرن العشرين، تزايدت أعداد مربي الطيور تزايداً كبيراً(خاصة في الولايات المتحدة)، وقد قام هؤلاء بإبقاء الطواويس الزرقاء في ظروف شبه داجنة. تبقى الطواويس على قيد الحياة في فصول شتاء بريطانيا الجنوبية المعتدلة،



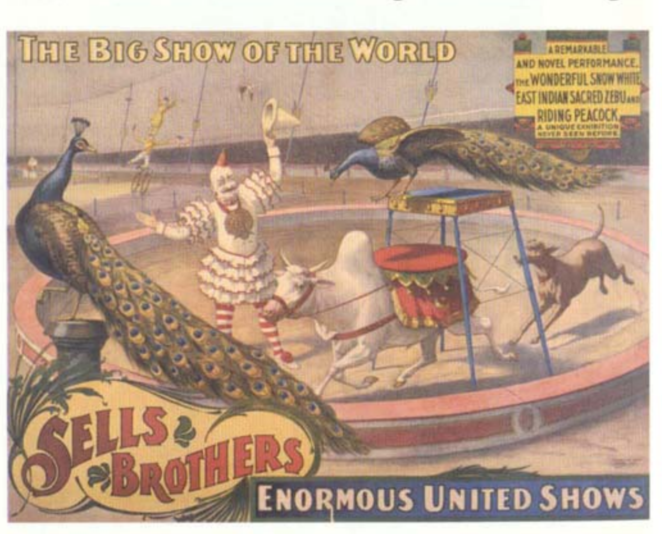
طاووس أسود الجناحين.

إلا أنها تحتاج إلى أكثر من مجرد سقف يؤويها أثناء فصول الشتاء الأكثر قسوة. في الشمال، قد يشكل الجو الرطب والبارد مشكلة بالنسبة للطواويس. يعلق الطبيب البيطري ديفيد تايلور على ذلك قائلاً:

في بيليه فيو، مانشستر، ومع حلول شهر أكتوبر/تشرين الأول على حديقة الحيوانات، تبدأ حالات من المرض والموت بالتصاعد. حيث تصاب الطواويس بسعال جاف متقطع فتبدو كالمدخنين المدمنين وتجيش صدور النمور بالربو شديد الكثافة، وتمسح حيوانات الشيمبانزي عيونها ومنخريها بظهور أيديها المكسوة بالشعر(٩).

للطاووس الأزرق ثلاث حالات مختلفة شاذة وهي: الأبيض والمتعدد الألوان وذو الجناح الأسود. تشاهد الطواويس البيضاء في العديد من التجمعات البرية وكذلك ضمن التي تربى في الأسر.

لا تعد الطيور البيضاء كليا ذات لون أمهق، لأنها من سلالة صافية، ولها عيون بنية عادية. تبدو البقع العينية على الكواسي العلوية للذيل بشكل باهت. تتمتع هذه الطواويس بما تتمتع به قريباتها الملونة من جمال وإثارة من كافة



ملصق لسيرك الأخوة سلز حوالي ١٨٩٠، مع «طاووس الفروسية».







- الطاووس الأخضر أو المحرشف، بافو موتيكوس، لينوس، ١٧٦٦
- الطاووس الجافاني الأخضر والطاووس الأزرق، ويظهر عرفاهما على مؤخرة رأسيهما.

النواحي. تعرض بعض الطيور الريشة البيضاء الشاذة بين ريشها الاعتيادي، فتعطي بذلك مظهراً متعدد الألوان. ربما ينحدر الطائر من سلالة تضم طاووساً أبيض، إلا أن أحداً لم يتأكد تماماً من سبب حدوث ذلك.

ذُكر الطاووس ذو الجناح الأسود للمرة الأولى من قبل جون لاثام في عام ١٨٢٣، حيث بدا وكأنه طفرة ذو لون أسود يعيش بين الأسراب العادية(١٠). إنها طفرة لم تحدث إلا في الأسر، وقد تم تصنيفها تحت Pavo cristatus mut. nigripennis بافو كريستاتوس طفرة نيغريبينيس. اعتبر البعض هذا الطائر أكثر جمالاً من الطواويس الزرقاء الشائعة، حيث حل الريش الأسود ذو الرؤوس والحواف الخضراء و الزرقاء الداكنة واللامعة محل ريش الكتفين وكواسي الجناحين المخطط باللونين الأسود والأصفر البرتقالي.

إن لإناث وفراخ الطواويس ذات الأجنحة السوداء لوناً أصفر شاحباً. وقد تم تطوير الطيور الهجينة، الناتجة عادةً عن تزاوج ذكر الطاووس الأخضر مع أنثى الطاووس الأزرق أسود الكتفين، في أميركا في النصف الأول من القرن العشرين من قبل السيدة كيث سبلاندينغ من كاليفورنيا ، حيث تم توطينها بشكل جيد كسلالة صافية وتدعى طواويس سبلاندينغ.

لقد كانت أولى الوثائق التي تثبت وجود الطاووس الأزرق فيما يعرف اليوم باسم الولايات المتحدة الأمركية، هي الدراسة التمهيدية التي قامت بها

فرانسيس سينكلير حول الطيور على جزيرة كواي في هاواي عام ١٨٦٠. ففي أميركا اليوم العديد من مربي كل من الطواويس الزرقاء والخضراء.

يختلف الطاووس الأخضر عن الطاووس الأزرق و يمكن تميزه عنه بسهولة من بنيته الجسمية، فألوان ذكر هذا الطاووس وأنثاه أشد إشراقاً وأكثر اخضراراً؛ وبلون وجهه الفريد؛ وشعرات عرفه الطويلة ذات الريش المستقيم القاسي الرفيع؛ وصوته خفيض النبرة، والأقل تواتراً؛ وساقيه الأطول. أما استعراض طاووس البافو موتيكوس فهو أقرب لتدريجات اللون الذهبي -البرونزي.

إن ريش العرف، الذي يشبه سنبلة القمح، ذو لون أزرق معدني، مظلل باللون الأخضر، ويبلغ طول أطول ريشة منه ١٣ سم تقريباً. يغطي الجبهة بأكملها والتاج والجزء الأمامي من مؤخرة الجمجمة، ريش حرشفي متراص، ذو رؤوس مكسوة باللون الأزرق المعدني الرائع، ومظلل باللون الأخضر. وهذا



المطبوعة الحجرية لجوزيف وولف والتي تمثل زوجاً من الطواويس الخضراء، من أجل دراسة فازيانيداي التي قام بها دانييل جيرود إليوت (١٨٧٢).

ما أدى إلى بروز تسمية بديلة هي الطاووس الأخضر المحرشف. تحمل كل ريشة من ريش العنق والصدر على رؤوسها شريطاً عريضاً من اللون الأخضر البرونزي. ولا يستثنى من ذلك ريش كواسي الجناحين أو الريش الكتفي أو الريش الثَالثي كما في الطاووس الأزرق، كما أن لإناث الطواويس الخضراء ريشاً أشد إشراقاً من ريش إناث الطواويس الزرقاء، فتشبه بذلك الذكور لكن بدون الكواسي العلوية للذيل. إن ساقيها الأكثر طولاً ووقفتها الأشد رشاقة، تمنحها مظهراً أكثر فخراً.

- إن للبقع العينية الطاووس الأزرق أهداباً متباعدة بلون أخضر ذهبي؛ أما البقع العينية للطاووس الأخضر فهي بشكل أكثر استدارة وذات أهداب خضراء برونزية. يبلغ طول كلتا الريشتين حوالي المتر.

هناك ثلاثة أنماط (تحت أنواع) من الطاووس الأخضر، مقسمة تبعاً للأماكن التي تعيش فيها، وتعيش في الشرق ولا تتداخل مناطقها مع منطقة الطاووس الأزرق الذي يعيش في بيئته الطبيعية في الهند وسريلانكا. تحل الطواويس الخضراء محل تلك الزرقاء اعتباراً من آسام الجنوبية الشرقية عبر بورما، يونان، لاوس وتايلاند حتى بحر الصين وجنوباً إلى شبه جزيرة مالاي وجافا، لكنها لا تتواجد في بورنو أو سومطرة.

إن أكثر الطيور الخضراء إشراقاً هو الطاووس الجافاني الأخضر بافو موتيكوس موتيكوس[(١)]،الذي سبق وصفه أعلاه.

أما الطاووس الهندي الصيني بافو موتيكوس امبيراتور[(٢)]، فلونه الأخضر ليس بتلك الروعة، وهناك بعض الاختلافات الطفيفة، مع أن وصف ألوان الطواويس هو مهمة دقيقة نظراً لدرجات لون الريش المتقزح الدائمة التغير(١١).

إن الطاووس الأخضر البورمي بافو موتيكوس سبيسيفير[(٣)] (سبيسا spica

---

(١) Pavo muticus muticus تصنيف لينيوس ١٧٧٦.

(٢) Pavo muticus imperator تصنيف ديلاكور ١٩٤٩.

(٣) Pavo muticus spicifer تصنيف شاو و نودر، ١٨٠٤.

باللاتينية تعني سنبلة من القمح)، يختلف عن نوعيٍ بافو موتيكوس الأخرين بشكل جوهري(١٢). فالريش أشد زرقة ولونه باهتاً أكثر، ويفتقر ريش العنق وأعلى الصدر للون البرونزي الغني؛ كما أن الظهر أشد زرقة لكن لونه الذهبي أقل إشراقاً. أما لون جلد الوجه المميز فهو ليس شديد الزرقة أو الصفرة.

آلان أوكتافيان هيوم (١٨٢٩-١٩١٢)، وهو موظف حكومي بريطاني في الهند، كان على دراية جيدة بالطواويس الزرقاء والطواويس الخضراء البورمية. فقد أمضى أشهراً في جمع الطيور في بورما عام ١٨٧٩ وقال إن أجمل طاووس بورمي رآه على الإطلاق بلغ من الطول ٢,٣ متر من رأس منقاره وحتى نهاية الكواسي العلوية لذيله. ولما كانت ملاحظاته الشخصية للطيور في مواطنها الطبيعية بعيدة نسبياً عن أي مصدر للإزعاج، ستبقى نفيسة لا تقدّر بثمن. كما صرح أيضاً أن البريق المعدني يتنوع تحت مصادر الضوء المختلفة، لذلك فقد يغلب اللون الأخضر الزمردي، أو الأزرق الغامق، أو الألوان النحاسية.

إن الطواويس الخضراء كافة خجولة وتحب الانعزال داخل الأدغال، نائية بنفسها عن المناطق المجاورة للقرى. توجد هذه الطواويس في مستعمرات صغيرة في بقع منعزلة (وليس في تجمعات كبيرة كالطاووس الأزرق)، مما يجعل اصطيادها أكثر صعوبة؛ فليس من الشائع أن يتسلح المرء ببندقية طوال الوقت. كما تمتلك الطواويس الخضراء نظراً ثاقباً وسمعاً حاداً. وحين يكون الهروب ضرورياً، يتكل الذكر على ساقيه أكثر من جناحيه، ويتمكن من الجري بسرعة مذهلة، حتى في حال حيازته لكواسي ذيلٍ علوية كاملة النمو. تنام الطواويس الخضراء في الغابة لكنها تجازف بالخروج صباحاً لتتغذى في الحقول إن كانت هناك أراض مزروعة بالقرب منها. وبسبب حاجتها إلى إمداد جيد بالماء، فهي تعيش بالقرب من الجداول وأنهار التلال الصغيرة.

وقد علق موظف حكومي بريطاني آخر في الشرطة الهندية قائلاً:

إن ذكور هذه الطيور ذات نزعة قوية للتلاكم والعنف، ولطالما عرف عنها قتل بعضها بعضاً خلال معاركها، بل قتل ما أصبحت تكرهه من الإناث أيضاً. إن الاستعراض المتمثل ببسط الكواسي العلوية للذيل، وخفض الجناحين،

والتبختر في المشية يتشابه مع الاستعراض الذي يؤديه الطاووس الهندي، وهو يُستخدم عند هذا الطائر، كما لدى الطاووس الهندي، كوسيلة من وسائل الترهيب ويستخدم في الوقت ذاته لتحريض الأنثى(١٣).

يسمع صوت الطاووس الأخضر بتواتر أقل، كما أنه ليس بمثل علو صوت الطاووس الأزرق، وله نغمة أخفض وأكثر شبهاً بصوت ميو، ميو، ميو. وهو يصيح بهدف التحذير من الببور.

وخلال فترة تساقط الريش في شهر أغسطس/آب، تطرح الذكور كواسي الذيل الطويلة ذات بقع عينية الشكل وتكتسي بكواسٍ أبسط ومخططة باللون الأخضر. تنمو الكواسي العلوية للذيل مرة أخرى في شهر مارس/آذار أو أبريل/نيسان التالي. وتكون فترة طرح الريش غير منتظمة. يقترن الذكر بمجموعة صغيرة، من ثلاث إلى خمس إناث. كما تقتصر حضانة البيض على الإناث فقط، ويحدث ذلك عادةً في موسم الأمطار. تطلق الذكور صيحاتها في وقت التزاوج، خلال موسم الأمطار، وهذا ما أدى لنشوء الاعتقاد السائد بأن صيحة الطاووس تنبئ بمجيء الأمطار. تفقس الفراخ في أوقات مختلفة منذ شهر أغسطس/آب وحتى يناير/كانون الثاني. وتبدو جميع الفراخ في العام الأول من عمرها كنسخة مصغرة عن الإناث؛ أما في العام الثاني، فتصبح الذكور من الفراخ مشابهة لذكر الطاووس لكن بكواس علوية ذات ريش أقصر خالٍ من البقع عينية الشكل التي يتمتع بها ذكور العام الثالث والذكور الناضجة.

إن الاحتفاظ بالطواويس الخضراء في الأسر هو أكثر صعوبة بكثير من العناية بالطواويس الزرقاء. فهي أقل قدرة على التحمل، وتحتاج إلى الحماية من الصقيع والبرد الشديد، كما أنها لا تحب التواجد مع الأنواع الأخرى في الأقفاص. وبسبب الطبيعة العدوانية لذكور الطواويس الخضراء، فلا بد من إبقائها مفصولة عن الطيور الأخرى من نفس نوعها، وعن الطيور الأصغر حجماً من أي نوع آخر.

تفسر الطبيعة الأكثر حساسية والأقل قدرة على التحمل للأنواع الخضراء، والمترافقة مع عدوانيتها وصعوبة الإمساك بها حية؛ الفشل في نشرها خارج

مواطنها الطبيعية. فبينما رأى العديد من الناس طواويس زرقاء في الغرب، إلا أن قلّة منهم شاهدوا طاووساً أخضر في الأسر.



أنثى طواويس الكونغو مأخوذة من طابع بريدي لدولة كوريا الشمالية عام ١٩٩٠.

طاووس الكونغو، آفروبافو congensis، تشابين، 1936

أما النوع الثالث من الطواويس فقد سبب ضجة قوية في مجال علم الطيور سنة ١٩٣٧. فقد كان سكان الكونغو على علاقة وثيقة مع طائرهم المسمى إمبولو، حيث كانوا يأكلون لحمه ويستخدمون ريشه للزينة الشخصية، لكنه ظل غير معروف في أوروبا فلم يتم وصفه أو إطلاق أي تسمية علمية عليه.

على الرغم من حملات استكشاف الكونغو خلال القرن التاسع عشر، إلا أن هذا الطائر لم يحظَ بانتباه الغرب إلى أن جاء عالم الطيور الأميركي، الدكتور جيمس بي.تشابن، الموظف في المتحف الأميركي للتاريخ الطبيعي في نيويورك، الذي ذهب في بعثة إلى الكونغو بين عامي ١٩٠٩-١٩١٥. وبينما كان تشابن في آفاكوبي، قابل أحد السكان المحليين وقد ارتدى غطاء الرأس المعتاد، المزين بريشة طائر الطورق، ولكنه أضاف ريشتين أخريين بمنتهى الغرابة، كانتا ذات لون مائل للحمرة تتخللها أشرطة عريضة من اللون الأسود. لقد كانت هاتان الريشتان ريشتي طائر لم يره تشابن يوماً، لا في مجموعة المتحف ولا على قيد الحياة. اشترى تشابن غطاء الرأس من الرجل الذي أخبره أن الريشتين هما لطائر الإمبولو. لم يستطع تشابن إيجاد طائر الإمبولو في الكونغو وفشل لعشرين عاماً في إيجاد أي نوع من أي طير له مثل هاتين الريشتين. وأثناء تأليفه لكتاب طيور الكونغو البلجيكية عام ١٩٣٦، ذهب إلى متحف الكونغو في تيرفيورين، بالقرب من بروكسل، وتفحص الخزائن وتجول في حجرات تخزين الأثاث المنسق. وفي إحدى الحجرات، التي كانت محتوياتها معدة للإتلاف، كان هنالك طائران معلقان ومحفوظان في حالة سيئة والغبار يغطيهما. كانا أكبر حجماً من الدواجن، أحدهما مائل للسواد، والآخر أحمر اللون. وكان لجناحي الطائر الأحمر ريش مخطط باللون الأسود وهذا ما أيقظ ذكرى قديمة لدى تشابن. لقد كان واضحاً أنهما طاووسان، لكن إفريقيا، كما اعتُقد آنذاك، ما كانت لتحوي أية طواويس بين طيورها المحلية. لقد وهبت شركة تجارية

تدعى كاساي ترايدينغ كومباني هذين الطائرين للمتحف، وكانت الشركة قد حصلت على عقد تجاري احتكاري في دولة الكونغو الجنوبية قبل الحرب العالمية الأولى.

تواصل تشابن مع العديد من البلجيكيين الذين خدموا في الكونغو، حيث اتضح أن البعض قد اقتنى نماذج من الطائر، أو لديهم ذكريات عن رؤيته أو حين تناولوا لحمه (وقد وصفوا اللحمَ بأنه لذيذ جداً لكن لحم الصدر كان بحاجة لإضافة كمية لا باس بها من الدهون). عاد تشابن إلى الكونغو عام ١٩٣٧، إلى الأدغال الواقعة على طول نهر آَينا ليراقبها بنفسه. لقد رآَها وهي تعدو بخطوات سريعة بين الشجيرات وسمع صياحها الأجش.

ولكونه أصبح قادراً على وصف عاداته وبيئته، عاد تشابن إلى أميركا مصطحباً بعض النماذج حيث قام بوصف الطائر وسماه آَفروبافو كونغينسيس Afropavo congensis. منذ ذلك الحين، لم يرَ الطائر في الكونغو/زائير[1] سوى بضعة علماء، ولم يتم أخذ أولى النماذج الحية إلى أميركا إلا بعد عشرين عاماً(١٤). ومع هذا، فإن هنالك مناطق كثيفة في الكونغو لم تكتشف بعد، حيث قد تتواجد مجموعات من طواويس الكونغو. إنها الآن محمية في متنزه مايكو الوطني وفي داخل متنزه كاهوزي-بيغا الوطني.

على خلاف الطواويس الخضراء والزرقاء، فإن هذا النوع من الطواويس هو أحادي التزاوج وأقل صخباً، وغالباً ما يصيح أثناء الليل. يملك كلا الجنسين عرفاً شاقولياً؛ يكون لون عرف الأنثى كستنائياً، أما عرف الذكر فهو ذو قاعدة بيضاء ورؤوس سوداء. أما العنق والحلق فهما عاريان. يبدو طاووس الكونغو وكأنه شكل بدائي من الطاووس الأزرق والأخضر، باللون الأخضر المتقزح الجميل لريش ظهره وذيله والريش ذو اللون الأرجواني المائل للزرقة الذي يغطي صدره وأسفل عنقه، لكنه يفتقد الكواسي العلوية الطويلة للذيل. حين يقوم الذكر بالاستعراض، فإنه يواجه الأنثى، رافعاً ريش ذيله مشكلاً مروحة،

(١) تعرف منذ عام ١٩٩٧ بجمهورية الكونغو الديمقراطية أو كونغو-كينشاسا تميزا لها عن جمهورية الكونغو.

لتنحني فوق مؤخرته، وليطلق صيحة منخفضة. يقوم طاووس الكونغو أيضاً باستعراض جانبي مشابه للتي تؤديها طيور التدرّج. فهو يخفض أحد جناحيه ويرفع الآخر، بينما يقوم بتمييل الذيل المروحي إلى جانب واحد. كما يخفض رأسه ويحركه باتجاه الأنثى المتفرجة. ويمكن للأنثى أن تستجيب بعرض للذيل بشكل مروحة وبجناحين متهدلين(١٥).

يقتصر وجود هذه الأنواع على الغابات المطرية في المناطق الوسطى الشرقية للكونغو/زائير على ارتفاعات تتراوح بين ٣٦٥ و١٥٠٠ متر. لم تجر إعادة توطين هذه الطيور في أي مكان آخر، أما الطيور الحية القليلة التي أخذت إلى أنحاء مختلفة من العالم، فقد تم الاحتفاظ بها في الأسر بدرجات متفاوتة من النجاح. فنادراً ما تتزاوج هذه الطيور على مرأى من الناس، حيث لا يحدث ذلك إلا في مكان منعزل ومحمي، عندما تكون درجات الحرارة مرتفعة.

لقد قام جامع الحيوانات تشارلز كورديير بإرسال أولى الطيور الحية التي غادرت الكونغو إلى حديقة حيوانات نيويورك عام ١٩٤٧. كما قام أيضاً بإرسال المزيد من الأزواج إلى حديقة حيوانات أنتويرب بين عامي ١٩٥٩ و١٩٦٢، حيث تربت ثلاثة فراخ هناك عام ١٩٦٤(١٦).أما في يومنا هذا، فقد أصبح هناك ٢٠ حديقة حيوانات حول العالم تضم طواويس الكونغو بين مجموعاتها. وقد كانت حديقة أنتويرب أكثرها تقدما في مجال العناية بهذا الطائر حيث أسست صندوق طاووس الكونغو عام ١٩٧١. كما تقوم حديقة حيوانات تشستر بتربية هذه الطيور بنجاح.

قد لا يكون سهلاً على هذا الصنف أن يتربى في الأسر، ولكن مع زوال الغابة التي تشكل بيئته الطبيعية من بلده الأصلي، وترافق ذلك مع اصطياد السكان الأصليين له وممارسة صناعة التعدين، سوف يتطلب الأمر برنامجاً للتكاثر لضمان استمرارها. شهد القتال الطويل أثناء الحرب الأهلية في الكونغو ذبح العديد من طواويس الكونغو، حيث ذُبح بعضها لإطعام الجنود، وأصبح الطائر يواجه خطر الانقراض في المستقبل على المدى المتوسط. يقع متنزه سالونغا الوطني الجديد في زائير، والذي تبلغ مساحته ٣,٦ مليون هكتار،

في مركز المنطقة التي ينتشر فيها هذا النوع، وبذلك حصل هذا الطاووس على درجة لا بأس بها من الحماية.

عند تسمية الأنواع، يبحث العلماء عن الميزات الجسدية التي يمكن أن تُمثل في كل من اسمي الجنس والنوع. فعيون الذيل هي ميزات واضحة فريدة تذكر المرء على الفور بالبقع العينية للطاووس. وبالتالي، فالعديد من الأنواع الأخرى كالطيور، والفراشات، والصدف، والأسماك والنباتات، تحمل صفة «طاووس» في أسمائها الإنكليزية، وتحمل اسم بافو، بافونينا، بافونينوس في أسمائها العلمية. وعلاوة على ذلك، هنالك أنواع أخرى تضمنت أسماؤها، أسماء الشخصيات في القصة التي تتحدث عن الطريقة التي اكتسب بها الطاووس بقعه العينية، قصة آرغوس وآيو (راجع المقدمة).

وهناك أنواع أخرى من الطيور تتضمن الطاووس في أسمائها وهي طواويس التدرّج قريبة الصلة بالطواويس، والطاووس الوقواق، درومو كوكسيكس بافونينا، الذي حصل على اسمه المستعار هذا من عرفه وتاجه المائل للحمرة. ومثل ذلك، الكركي المتوج، باليريسا بافونينا، الذي له ريش رأس كستنائي اللون. وطائر بافونينا كويتزال، فاروماكروس بافونينوس، الذي يملك ريشاً أخضر لامعاً وذيلاً طويلاً جداً، ولذا، فإن مقارنته مع الطاووس مناسبة. وفي أغلب الأحيان فإن البقع العينية، البقع اللونية المحاطة بطوق من لون آخر، هي التي توحي لعلماء الطيور باستخدام اسم «طاووس»، وطواويس التدرّج هي مثال واضح على ذلك. فهناك ثلاثة من طواويس التدرّج ذات الذيل البرونزي وثلاثة من طواويس التدرّج الرمادية، وهي جميعاً أنواع آسيوية.

لقد قام آرتشيبالد ثوربورن عام ١٩١٧ برسم إحدى أشهر اللوحات التي تصور الطاووس الأزرق وهو في قمة استعراضه. كما تضمنت لوحته في صدرها رسماً لفراشة الطاووس، إناكيو إيو، والتي يتضمن اسمها اسم العذراء إيو، التي أغواها جوبيتر. وهناك أيضا عثة الطاووس المرقطة، ماكاريا نوتاتا.

أما طائر الطنان الصغير، بوليميسترا بافونينوس (الطاووس المغناج)، فلعنقه ريش أخضر ممدود، وتحمل كل ريشة بالقرب من ذروتها بقعة جلية. وترتبط

البقع السوداء التي تحملها الأسماك، والأصداف، والزهور، والفراشات عموماً بالطواويس.

إن القاروس الطاووس (بما فيها سيكلا أوسيلاريس) هي أسماك صيد كبيرة تعيش في نهري الأمازون وريو نيغرو، وفي أماكن أخرى في المكسيك وأميركا. ولهذه الأسماك بقعة عينية سوداء كبيرة مميزة محاطة بهالة فضية على زعنفتها الذيلية. أما طاووس البحر، أو سمك الطاووس، أو لَبُروس الطاووس، كرينيلابروس (ثالاسودروما) بافو، فهي أسماك زرقاء مخططة تعيش في المحيط الاطلسي، ولفراخها بقعتان عينيتان كبيرتان ذاتا حواف رفيعة بيضاء على الزعنفة الظهرية.

وهناك أسماك لَبُروس الطاووس أخرى، سيرهيلابروس تيمينتسكي، تعيش على الشعاب المرجانية للسواحل اليابانية والإندونيسية والأسترالية. وطاووس البليني، بلينيس بافو، الذي استمد اسمه من البقعة العينية البارزة التي على رأسه.

هناك العديد من النباتات التي يتضمن اسمها كلمة بافونينوس، وجميعها



لوحة آرتشيبالد ثوربورن الطاووس وفراشة الطاووس، عام ١٩١٧، لوحة بالألوان المائية لطاووس أزرق أثناء استعراضه مع فراشة الطاووس في المقدمة.

تحمل البقع العينية. فاثنتان منها أشجار بقلية، و هما زهرة الطاووس الملكية، وتدعى أيضاً الشجرة الملتهبة أو عروس باربادوس؛ وأما الأخرى فهي سياج زهرة الطاووس، أدينانثيرا بافونينا. إن إريس بافونينا هي نبتة بصلية جنوب إفريقية لها بقعة زرقاء مسودة بالقرب من قاعدتها بعين تشبه عين الطاووس. وهناك زهرة نمر الطاووس، تيغريديا بافونيا، المكسيكية، والتي تحمل بقعاً في قاعدة مركزها. أما أنيموني بافونينا الرقيقة، من اليونان، فهي أزهار قرمزية فاقعة ذات قلب أسود أو أزرق بحري. أما غازانيا بافونينا فتعرف بزهرة كنز الطاووس.

إن تقزح ريش الطاووس يوحي بتسمية فحم الطاووس، وبيريت النحاس الفاقد لبريقه بتسمية نحاس وفلز الطاووس. يكون رخام البافونازو المشرق الألوان عادة مطعماً بتشكيلة جميلة من الألوان الحمراء القرمزية، إلا أن التدرج اللوني الأسود المخضر للطاووس الأخضر هو الذي ألهم صائدي اللؤلؤ اليابانيين لتسمية لؤلؤة آكويا النادرة بلؤلؤة الطاووس.

لقد كان آرغوس هو خادم جونو البائس الذي نقلت عيونه المائة لتوضع على الكواسي العلوية لذيل الطاووس، طائر جونو. إن اسم آرغوس الآن هو أحد مرادفات كلمة «عيون». وعلى نحو ملائم، فإن آرغوس العظيم، آرغوسيانوس



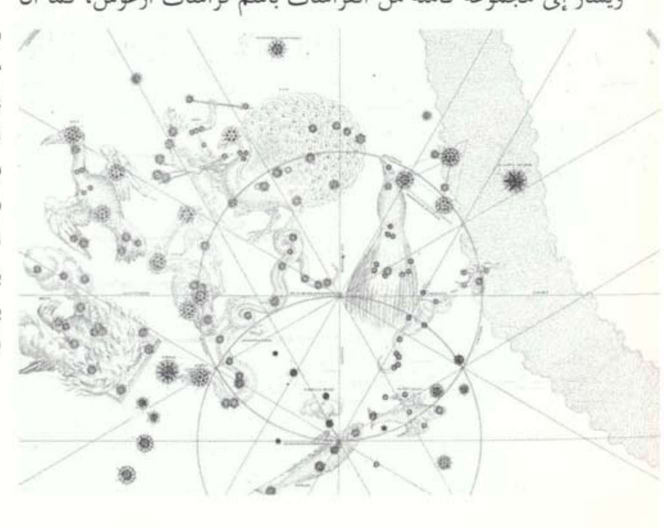
مطبوعة حجرية لويليام هارت عن طائر التدرج آرغوس العظيم للمجلدات السبعة لجون جولد الخاصة بالماجستير طيور آسيا (١٨٥٠-٨٣). ذكر طائر التدرّج آرغوس المتوج الشبيه بالطاووس يستعرض في خلفية الصورة.

آرغوس، قد دعي بهذا الاسم نسبة لريشه الرائع ذي البقع العينية (بقع بشكل أعين تشبه بؤبؤ العين ونقرتها، بلونها الأسود المحاط بالبني)، وتحتوي كل ريشة على تلك البقع. قد يصل طول ذكر هذا الطائر إلى ٢,٣ متر ويبلغ قطر كواسيه المقوسة أثناء الاستعراض بين ٣,٦ و ٤,٦ متر. يملك هذا الطائر أطول ريش في العالم، اثنان منه في الذيل، يتراوح طولهما بين ١,٥ و١,٨ متر وبعرض يصل إلى ١٥ سم.

وقد تم إحضار أول نموذج من هذا الطائر إلى بريطانيا من مالاقا (ولاية في ماليزيا) عام ١٧٨٠، كما تم إحضار أول طائر حي من سنغافورة إلى حديقة حيوان لندن عام ١٨٧٢. أما أقرب نوع لهذه الطيور فهو آرغوس ذو العرف، رينارديا أوسيلاتا، وقد دعي بذلك نسبة للبقعة العينية ocelli.

أما صدفة آرغوبوسينوم آرغوس فهي ليست مثلا واضحا لاسم آرغوس، لأنها لا تملك بقعاً، بل أشرطة حلزونية بنية، على خلفية أفتح لوناً. ومن ناحية أخرى، فقد صُنفت الصَدَفة ذات الأعين على أنها سيبرايا آرغوس، وهو وصف تستحقه تلك الصَدَفة تماماً.

ويُشار إلى مجموعة كاملة من الفراشات باسم فراشات آرغوس، كما أن



رسوم خيالية لبعض من كوكبات التي تظهر في القسم الجنوبي من الكرة الأرضية، تتضمن «بافو» الطاووس (بين «إندوس»الهندية و«طائر الجنة الهندي»)، عن بحث لجوهاناس باير بعنوان أورانوميتريا (١٦٠٣).

هناك فراشة منفردة مرقطة ببقع زرقاء كثيفة، تدعى بليبيوس أرغوس، الفراشة الزرقاء المرصعة بالفضي. تتضمن فراشات أرغوس نوعين يوجدان في المملكة المتحدة، الأرغوس البنية والأرغوس البنية الشمالية، ولكل منها بقع فريدة على الجناحين الأماميين بالإضافة إلى العديد من البقع على زوجي أجنحتها.

خلال الـ ٢٥٠ عاماً الأخيرة، فقدت كثير من الأنواع الأخرى التي تحمل اسم بافو أو أرغوس صفاتها في إعادة تصنيف لاحقة.

وتدعى إحدى الكوكبات التي تظهر في سماء الجزء الجنوبي من الكرة



نقش على لوحة خشبية يصور فراشة الطاووس، حوالي عام ١٨٦٠. تشبه البقع العينية التي على الجناحين تلك الموجودة في ذيل الطاووس

الأرضية باسم بافو (الطاووس باللاتينية)؛ أما أكبر نجم في هذه الكوكبة، والذي يبعد حوالي ١٨٣ سنة ضوئية، فيسمى الطاووس[1]. وبقدر يبلغ ١٩فإن نجم الطاووس هو الأشد لمعاناً، ليس فقط بين نجوم كوكبة بافو، بل بين سائر محيطه، ويستفيد البحارة من هذا النجم لسهولة رؤيته. اكتشفت هذه الكوكبة وتمت تسميتها في نهاية القرن السادس عشر من قبل عالمي الفلك الهولنديين كيسير و دي هوتمان. كما كان جوهاناس باير أول من صور كوكبة بافو في لوحته أورانوميتريا (قياس السماء) عام ١٦٠٣، مبيناً فيها موقع الكوكبة في سماء الجزء الجنوبي من الكرة الأرضية. وقد نقش باير كلمة بافو في لوحته، لكنه لم يشر إلى أكبر نجمة، الطاووس، في رأس الطائر.

(١) التسمية الحالية هي ألفا بافونيس Alpha Pavonis

هوامش

1 Antoine Louchart، «A True Peafowl in Africa»، South African Journal of Science، xcix/7–8 (2003).

2 C.W. Beebe، A Monograph of the Pheasants (London، 1918–22)، vol. i، Blue Peacocks، pp. 220–51.

3 Charles Darwin، The Descent of Man and Selection in Relation to Sex (London، 1871)، p. 485.

4 Marion Petrie, «Improved Growth and Survival of Offspring of the Peacocks with More Elaborate Trains», Nature, ccclxxi (1994), pp. 598–9. Marion Petrie and A.Williams, «Peahens Lay More Eggs for Peacocks with Large Trains», Proceedings of the Royal Society of London, Series b, xxv (1993), pp. 127–31.

5 Darwin، The Descent of Man، p. 454.

6 Edward Charles Stuart Baker، The Game Birds of India، Burma and Ce - lon (London، 1921–30)، vol. iii، p. 84. Baker (1864–1944)

بيكر (١٨٦٤-١٩٤٤)، الرياضي والكاتب، الذي خدم في الهند من عام ١٨٨٣ إلى عام ١٩١٢.

7 ThomasWilliamson، Oriental Field Sports، 2nd edn (London، 1819)،vol. ii:

«على مقربة من مقاطعة جانغلتيري، وبجوار تيرياغولي خصوصاً، رأيت أعداداً هائلة من الطواويس، وقد فاجأني ذلك بكل تأكيد! كانت الغابة بأكملها مغطاة بريشها الجميل، الذي أضفت عليه الشمس المشرقة روعة إضافية... وإني لا أبالغ حين أؤكد أن الأعداد التي رأيتها لا تقل عن ألف ومئتين أو ألف وخمسمئة طاووس، بأحجام مختلفة، على مرأى من البقعة التي كنت أقف فيها لحوالي ساعة من الزمان» (صفحة ٦١). «إن الطريقة الأكثر ضماناً لقتل طائر أو اثنين، هي بالتسلل خلسة تحت الأشجار ليلاً: إذا كان القمر منيراً، فهذا أفضل بكثير» (صفحة ٦٣).

8 Christopher Lever، Naturalized Birds of the World (New York، 1987)، pp.

186–9.

9 David Taylor، Going Wild (London، 1980)، p. 20.

10 John Latham، Index Ornithologicus (London، 1790–1801)، vol. ii، Japan peacock، p. 672، and the white peacock، p. 617.

تم ذكر الطاووس الأزرق ذو الجناح الأسود للمرة الأولى من قبل جون لاثام في كتاب A General History of Birds (London، 1823)، vol. viii، p. 114.

11 Jean Delacour، «A New Species of Pavo muticus»، The Ibis، xci (1949)، pp. 348–9.

«أشرت في كتاب In The Ibis، ٣١ (١٩٢٨) للمرة الأولى إلى الاختلاف الملحوظ بين شكلي الطاووس الأخضر البورمي الغربي والصيني الهندي الماليزي. وقد اكتشفت الآن أن بالإمكان فصل الطيور التي تقطن الصين الهندية الفرنسية وبورما الغربية وسيام جنوب برزخ كرا عن طيور مالايا... واقترح اسم بافو موتيكوس إمبيراتور لتلك التي تسكن الصين الهندية.»

12 Pavo muticus spicifer، Shaw and Nodder، 1804، was called «Spiked Pe - cock» in the text of vol. xvi، pl. 641 of the Naturalist»s Miscellany.

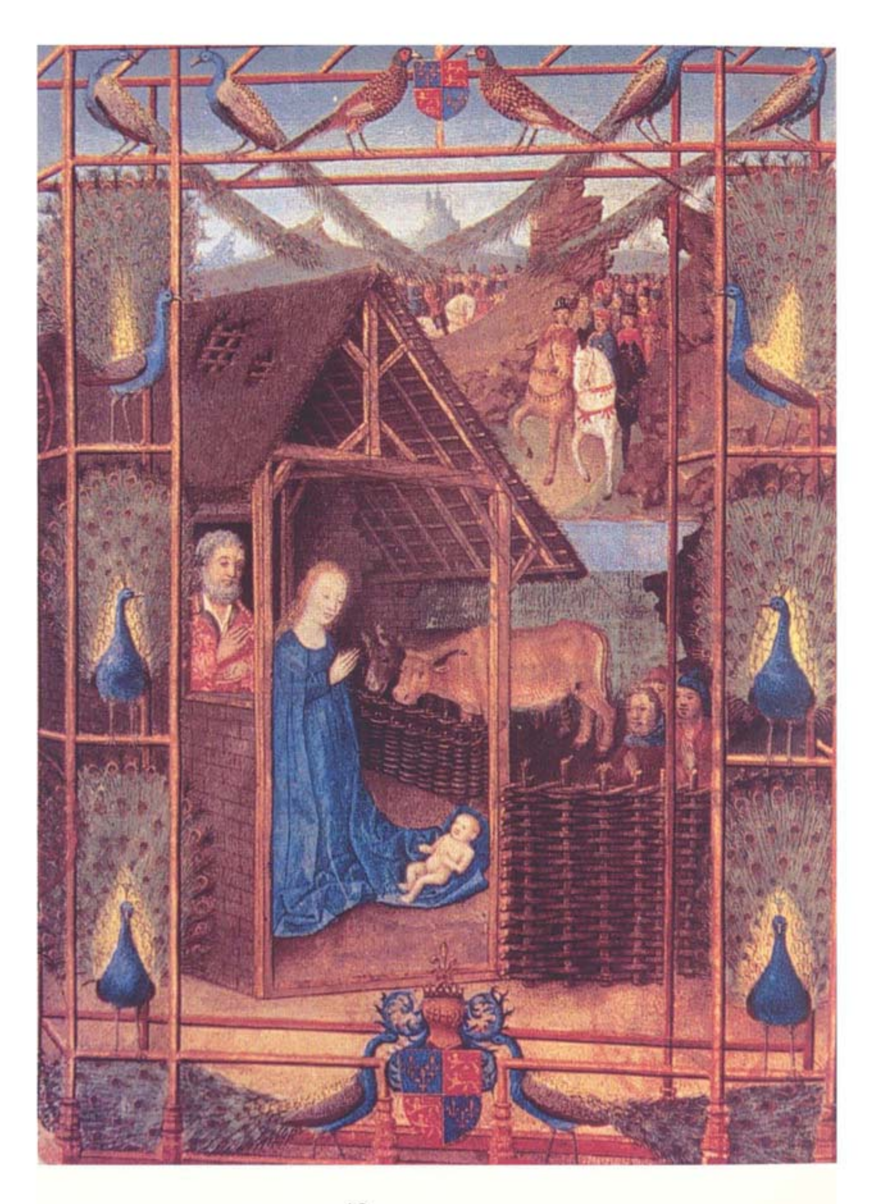
«سبيسا» هي كلمة لاتينية تعني سنبلة ذرة، وقد وصفت شكل عرف الطاووس الأخضر وصفاً جيداً. وقد رسم آلدروفاندوس أنثى طاووس أخضر بساق وسنبلة قمح بجانبها.

13 Baker، The Game Birds of India، Burma and Ceylon، p. 85.

14 HerbertWendt، Out of Noah»s Ark (London، 1956)، pp. 427–34.

15 D. Jeggo، Peafowl، Afropavo congensis، 9th Annual Report، Jersey Wil - life Preservation Trust (1972)، pp. 43–9.

16 Walter Verheyen، «The Congo Peacock at Antwerp Zoo»، International Zoo Yearbook (London)، iv (1962)، pp. 87–91، and v (1963)، pp. 127–8.



2 – التاريخ غير الطبيعي

إن الاختلاف بين فلاسفة الشرق وفلاسفة الغرب حول الطواويس واضح تماماً. فقد بجّل معظم الشرق الطاووس لجماله واعتبروه مقدساً لعلاقته مع الآلهة، لأنه كان بمثابة تجسيد أو رمز لبعض صفات الإله. وقد كانت تلك صفة إيجابية، حيث أن القوة أو الجمال هي الصفة الأكثر شيوعاً. أما في الغرب، فقد كان يُنظر إلى الطاووس على أنه فارغ ومتغطرس، وقورن بالشيطان بسبب صوته، وشُبه باللص بسبب أسلوب مشيته. لقد كان ريش الطاووس الرائع وحده موضع إطراء، حيث ارتبط بأجنحة الملائكة. وفي القرن التاسع عشر أصبح ريش الطاووس سيئ الصيت، فقد اعتبرت عيينة ذيله جالبة للحظ السيئ وشُبهت بـ «العين التي تصيب بالسوء»- وما من اتهام أسوأ من حيازة تلك العين، التي تحمل بلية لمن يلمحها.

تعود أقدم الخرافات والمعتقدات الدينية حول الطواويس الزرقاء إلى الديانة الهندوسية، التي نشأت في الهند الشمالية بين ١٥٠٠ و١٧٠٠ قبل الميلاد. حيث كان يتم تكريس المقامات التي تُنصب في القرى للعديد من الآلهة المحلية المحبوبة. ما يزال آلهة وأبطال الهندوس أحياء في الهند المعاصرة كما كانوا حين تم تكريمهم للمرة الأولى. أما الكتب المقدسة، أوبانيشيدز وريغ فيدا، ولاحقاً فيداس (باللغة السنسكريتية حوالي ١٥٠٠ قبل الميلاد) فلم يتمكن من قراءتها سوى قلة من الناس، إلا أن الجميع كان يستمتع بسماع تلاوتها. وما تزال الملحمتان العظيمتان قديمتا العهد، تتمتعان بالشعبية. ففي ملحمة رامايانا التي تتحدث عن راما، وهو تجسيد الإله فيشنو، وصديقه هانومان رئيس القردة. يصمم هانومان على إنقاذ سيتا زوجة راما، التي خطفها الشيطان الملك رافانا.

لقد لعب الطاووس دوراً صغيراً في هذه القصة، أما الملحمة الثانية، الماهابهاراتا (تم تأليفها على شكلها الحالي حوالي ٣٠٠ قبل الميلاد)، فتدور أحداثها على سهل نهر الغانج الأعلى، وتتحدث عن عائلتين تتقاتلان على ميزان هائل الحجم بالسيوف والسهام. وكان دهاناناجايا ضحية مسكينة لها،

طواويس من حرس الشرف في صورة الميلاد هذه من كتاب الساعات، Heures de Charles de France، ١٤٧٣.

حيث أطلقت نحوه ملايين وملايين السهام المجهزة بريش الطاووس. كما سقط محاربون آخرون كثر بهذه السهام المريشة بريش الطاووس الأزرق، الذي كان موجوداً بأعداد هائلة في الهند منذ ٤٠٠٠ عام.

شكل آلهة الهندوس الأساسيون ثالوثاً مكوناً من براهما الخالق وفيشنو الحامي وشيفا المدمر. وفي المؤسسات التعليمية، تجري بانتظام عبادة ساراسفاتي، زوجة براهما، حيث تصُور بأربعة أذرع، إحداها تحمل كتاباً، وتمتطي عادة طاووساً ومرات قليلة ببغاء. أما كارتيكيا، إله الحرب، فهو أحد أبناء شيفا الذي اتخذ الطاووس مركبة له. إن جميع الآلهة تمتلك فاهانا، أي مركبة، وهي بالمعنى الحرفي حيوان من نوع معين يستخدم كمطية. ويعتبر كارتيكيا أحد أبرز الآلهة في الهند الجنوبية، فلديه هناك طائفة وأساطير خاصة به. ويملك الآلهة من الأذرع ما يلزم لحمل رموزهم. وفي صورة مطبوعة لكارتيكيا، يبدو حاملاً رمحه بيده اليمنى بينما تتكئ اليسرى على عنق طاووس. ويحتجز هذا الطاووس أفعى كوبرا بين مخالبه.

تعد الطواويس مقدسة بالنسبة للاكشمي، زوجة فيشنو، التي تصور أحياناً وهي ترتدي على ذراعيها عصابات على هيئة طواويس. إن لاكشمي هي آلهة الخصب وبالتالي يعتقد أن لها علاقة بالبراعم المتفتحة. ينعش الموسم الماطر الطبيعة الخضراء، وهذا هو السبب وراء ازدياد صيحات طاووس لاكشمي خلال هذا الموسم. والطاووس هو أيضاً المركبة الكونية لإلهة الحب كاما، والمركبة المقدسة لساراواتي، آلهة الشعر والحكمة.

إن مايورا هو الاسم الهندي للطاووس، الطائر المقدس ورمز الخلود. وقد كان يُعتقد بأنه قد خُلق من ريش طائر أكبر بكثير هو الغارودا. ويتم تصوير الطاووس دائماً وهو يقتل الأفعى، التي تُعتبر بدورها رمز الزمن الدوري. وفي الهند الجنوبية، يقوم المؤدون لرقصة الطاووس بجمع ريشه المتساقط وتثبيته في أشكال نصف دائرية حول الجزء الأعلى من الجسم. وهذه الرقصة تجسد الدور المقدس الذي لعبه الطاووس في وحدة الكون وانبعاثه من جديد. وقد ذاع صيت راج جوندز في ولاية آندرا براديش في الهند الوسطى بسبب أغطية



الإله المحارب الهندوسي كاريتيكيا، ابن شيفا، مع مركبته، الطاووس، في نقش نافر على حجر رملي من البنجاب يعود للقرن السادس الميلادي.

الرأس الرائعة المصنوعة من ريش الطاووس خصيصاً لراقصيهم الذين يقلدون رقصة مغازلة الطواويس.

تُعد حزم ريش الطاووس رمزاً للعديد من الآلهة، ففي حالة كريشنا، على سبيل المثال، يتم استخدام هذه الحزم لإزالة الغبار عن الصور والأدوات المقدسة وكنس أرضيات المعابد حتى لا يدوس أحد على حشرة بغير عمد. ويحب رجال دين دارشان الهندوسي استخدام ريش الطاووس لنقل شاكتيبوت (القوة الخلاقة، الطاقة) لأتباعهم، وذلك تماشياً مع الاعتقاد القائل بأن الطواويس تتسبب بالتناغم والابتهاج، وأن وجود ريش الطواويس في المنزل يساعد على حماية الطاقة في البيئة.

هناك أسطورة ساحرة حول كريشنا، إله قطعان البقر، تروي كيف أن

مرافقات الإله اللواتي يحلبن البقر تعلمن الرقص أولاً. وحين صادف أن رأى الشاب كريشنا العاملات تغتسلن في النهر جومنا، قرر أنه يحب رؤيتهن عاريات فأخفى أثوابهن التي بقيت على ضفة النهر. ثم تسلق شجرة. وعندما خرجت العذارى من النهر ولم تجدن أثوابهن، ارتبكن وشعرن بالإحراج حين سمعن صوت كريشنا وأبصرنه وهو يضحك عليهن. توسلت العذارى إلى كريشنا لكي يعيد إليهن أثوابهن، إلا أنه رفض أن يفعل حتى جعلهن يشبكن أيديهن ويرقصن حوله بابتهال.

وقعت جميع الفتيات العذراوات في حب كريشنا وأردن الإمساك بيده، فاضطر إلى مضاعفة عدد أذرعه عدة مرات بما يكفي للإمساك بأيادي العذراوات وتعليمهن كيف يرقصن في دائرة حوله. راقبت الطواويس التي كانت واقفة في الجوار رقصة العاملات وتعلمت أن تحاكي حركاتهن ثم ترقص بأنفسها(١). ويقال أن الإله كريشنا كان يضع ريش طاووس على رأسه.

وفي الهند الوسطى، عبدت قبيلة موري — وهي جزء من شعب بهيل - الطاووس كطوطم وقدموا له قرابين من الحبوب. إن كلمة مور هي اسم الطاووس باللغة الهندية والكوجاراتية والبنجابية والمراتية. وفي حفل الزفاف، تقوم هذه الجماعة بالتعبد لتمثال صغير للطاووس. إلا أن ملاحظة رديئة تظهر في الواجهة، فالجماعة المذكورة ذاتها تعتقد أن مجرد وضع القدم على آثار أقدام طاووس في الغابة كفيل بجعلهم يعانون من مرض ما. أما عندما ترى النساء طاووساً فعليهن أن يحجبن وجههن وينظرن بعيداً.

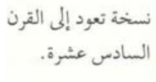
وهناك أساطير هندوسية أخرى مبنية على الفكرة القائلة إنَّ ذيل الطاووس هو كسماء مليئة بالنجوم، صافية وجميلة. أحياناً تكون النجوم محجوبة والسماء مظلمة ويحدث ذلك عندما يفقد الطاووس ذيله. وينطبق هذا التشبيه كذلك على الشمس والقمر، اللذين يظهران ثم يختفيان أيضاً، بتألق يشابه تألق الألوان الرائعة لذيل الطاووس حين يفرش ذيله ثم يضمه ثانية.[٢] وما زالت الطواويس إلى يومنا هذا، تُرى وهي تتجول حول المقامات والمعابد الهندوسية، مبجلةً، يُنظر إليها بكل مودة، ومن غير الممكن مطلقاً أن تتعرض لأذى أو إزعاج

إن البوذية ديانة مسالمة ورصينة تأسست على يد سيدهارثا غوتام، أو بوذا الذي ولد عام ٥٦٣ قبل الميلاد. ويعتبر بوذا المتنور الحكيم العطوف، الذي كان يمتطي ظهر طاووس وهو جالس على زهرة لوتس. ولطالما تم تصويره بأربعة أذرع لكي يمنح السعادة والطالع الحسن لأولئك الذين يؤمنون بقدرته.

كان لبوذا القدرة على تدمير أفكار الشر والأذى بنفس السهولة التي يلتقط بها الطاووس الأفاعي والحشرات المؤذية ويلتهمها. يتم تبجيل صور بوذا وتقديم القرابين له في التيبيت وتايلاند واليابان. وترمز المروحة المصنوعة من ريش الطاووس إلى العديد من آلهة الديانة البوذية الثانويين، وينطبق هذا أيضاً على الأدوات المقدسة في الشعائر اللامية.

على الرغم من كون الطاووس طائراً مقدساً، إلا أن الهنود كانوا فيما مضى يصطادون الطواويس ويأكلون لحمها. وقد ظل أحد أباطرة الهنود، آشوكا، حوالي ٢٦٩ قبل الميلاد، يتناول لحم الطاووس حتى اعتنق الديانة البوذية، وتبنى وفقها مذهب الأهيمسا الذي كان يمنع قتل الحيوانات.

وكثيراً ما كان فيروكانا، أحد خمسة متأملين بمرتبة بوذا، يظهر في المبنى الرمزي لأبراج الإسطبة (برج بوذي مقبب)، والمعابد. ينتصب تمثال فيروكانا، الذي يمثل رمزاً للحكمة الكاملة، في المركز، وتحيط به أربعة تماثيل أخرى واقفة



نسخة تعود إلى القرن السادس عشرة.



على كلٍّ من نقاط الارتكاز الأساسية لمحيط القبة. ويمكن تمييز كل تمثال بإيماءته ومركبته ورموزه والرذائل التي ارتبطت به. ويظهر آميتابا، الذي يستقر على الجهة الغربية من القبة، ممتطياً طاووساً أو بجعة، وزهرة لوتس، كما أنه يمثل رذيلة الشهوة.

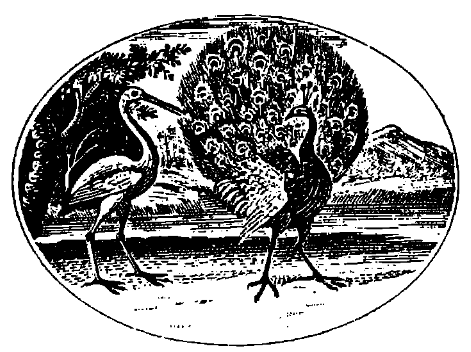
وفي نيبال، هناك إله يدعى جانغولي، يحمي الناس من لدغة الأفعى وسُمها. ولأن الطاووس يلتهم الأفاعي، فقد كان يعتقد في أماكن عِدَّة من الشرق، أن له القدرة على مساعدة أولئك الذين يعانون من لدغة الأفعى. ويصوَّر جانغولي وهو يمتطي طاووساً.

ولد النبي محمد (ص)، (الذي عاش ما بين حوالي ٥٧٠-٦٣٢) في مكة، وتوفي في المدينة المنورة. ولم يكن من المفترض على المسلمين، أتباع الرسول، أن يصنعوا أي عمل فني رمزي يمثل الله، أو الإنسان أو الحيوان. لكن لهذه القاعدة استثناءات. فوفقاً لرواية تركية عن السياريناهي (الإسراء)، كان الرسول الطاهر ممتطياً ظهر مخلوق (خرافي) يدعى البراق، له وجه امرأة، وجسم بغل، وذيل طاووس، كما أنه يملك القدرة على أن يقطع المسافات الممتدة أمام البصر بقفزة واحدة.

ولدى امتطاء الرسول (ص) البراق (الذي امتطاه رسل آخرون من قبله) استطاع أن يعبر السماوات السبع وأن يستمتع بأندر امتياز وهبه الله لأي إنسان، وهو معاينة وجه الله. يعتبر المسلمون الطاووس رمزاً كونياً، فهو، حين يفرش ذيله، قد يمثل إما الكون بأكمله أو القمر الممتلئ أو الشمس.

وتروي حكاية معروفة بين مسلمي جاوه أن الطاووس الأخضر الذي يحرس أبواب الجنة، تدبر أمره في الدخول إليها عن طريق أكله للشيطان. تخلق هذه الخرافة وحدة بين ازدواجية الخير والشر وتفسر أيضاً ألوان الطير المتقزحة الغامضة. وفي العراق وأجزاء أخرى من الشرق الأوسط، يعتقد أفراد الطائفة اليزيدية أن الشيطان ليس شريراً ويدعونه ملاك الطاووس، أو الطاووس الملك، ويعتبرونه نبياً مرسلاً.

أما الطاوية، فهي نظام فلسفي تأسس على يد لاوتسي في القرن السادس



قبل الميلاد. وقد اعتقد لاوتسي أن الكون يحافظ على توازنه بواسطة القوى المتعاكسة لين ويانغ. تمتطي الأم الملكة، أم الغرب الطاوية هسي وانغ مو، طاووساً في بعض الأحيان، أما في أغلب الأحيان فتمطي طائر الغرنوق.

في الفترة ذاتها، في الغرب، قام عبد محرر يسمى أيسوب بجمع وتدوين بعض الحكايات التي ربما ظل الرواة المتجولون يتناقلونها لوقت طويل. وقد تم تعريف حكايات أيسوب على أنها حكايات تمثل فيها الحيوانات أدواراً، وتتحدث مع البشر بهدف الإرشاد الأخلاقي. كان أيسوب يونانياً، ولد في النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد في ساموس، الجزيرة التي اعتُبرت محور المعرفة؛ ومن أبرز سكان هذه الجزيرة أبيقور وفيثاغورس.

ربما كان أيسوب متآلفاً مع الطواويس، فقد كان يعتُقد أنها كانت تُحفظ في معبد هيرا (الذي عُرف لاحقاً باسم جونو)، الإلهة اليونانية، التي كانت على بعد ٩ كيلومترات غرب عاصمة ساموس القديمة، بيثاغوريو.

وقد بُني أول معبد في ذلك المكان في القرن الثامن قبل الميلاد، ثم استبدل بمعبد ثانٍ في القرن السادس، ألا أن زلزالاً دمره فاستبدل مرة أخرى بثالث. ربما عرفَ أيسوب المعبد الثالث أو الرابع بعد أن التهمت سابقه نيرانٌ كارثية، فقد بنى بوليكريتس المعبد الرابع تقريباً بعد عام ٥٢٥ قبل الميلاد. لم تنته تلك الحرب إطلاقاً، وما يراه زوار المعبد اليوم مجرد أطلال. وتبرز نقود ساموس المعدنية طاووساً راكباً على قيدوم سفن هيرا.



بيتر كاستيلز، حكاية
الغراب الأسود، ١٩١٧،
لوحة قماشية بالألوان
الزيتية.



شكوى الطاووس لجونو،
لوحة من مجموعة
ثلاثية لوالتر كرين،
من حكايات أيسوب
الخاصة بالطفل.»
(١٨٩٩)

تصف حكاية أيسوب - «الطاووس والكركي» - كيف أن طاووساً سخر من كركي حول ريشه باهت اللون قائلاً: «انظر إلى ألواني المتألقة، وتفحص كيف أنها أجمل بكثير من ريشك المثير للشفقة.» فأجاب الكركي: «لا أنكر أن ريشك أزهى من ريشي بكثير، لكن حين يتعلق الأمر بالطيران، فباستطاعتي أن أحلق إلى قلب الغيوم، بينما ستكون مقيداً إلى الأرض مثل أي ديك على كومة من الروث.» كان هذا مدعاة للفخر في أيام آيسوب، أما الآن، فنحن نعلم أن باستطاعة الطاووس أن يطير طيراناً جيداً، حتى ولو لم يحلق عالياً أو يهاجر كالكركي.

أما «غراب الزيتون المتغطرس» أو «حكاية الغراب الأسود» فهي أكثر ميلاً إلى الخيال، حتى لو لم يستطع محررو حكايا أيسوب لاحقاً أن يقرروا أي نوع من فصيلة الغربان ذات الريش الأسود كان هو المقصود. إلا أن الحكاية تؤدي دورها الأفضل بغراب أسود لامع. وقد أعلن جوبيتر أنه اعتزم تعيين ملك على الطيور وحدد يوماً للطيور لتمثل أمام عرشه، حتى يختار الطائر الأكثر جمالاً ليكون حاكماً لهم.

ولرغبة الطيور في أن تبدو بأفضل صورها، فقد اجتمعت على ضفاف جدول، حيث استحمت وقامت بترتيب ريشها.

أما الغراب الأسود، فقد أدرك أن ليس بإمكانه أن يجاري العديد من الطيور المفعمة بالألوان، فانتظر رحيل الجميع، ثم التقط من الريشات التي سقطت من الطيور، أكثرها بهرجة (وريش الطاووس هو الأكثر إشراقاً) وثبتها بإحكام حول جسمه، وكانت النتيجة هي أنه بدا بألوان أكثر زهواً من أي طائر آخر. وعندما جاء اليوم الموعود، احتشدت الطيور أمام عرش جوبيتر، وبعد أن قام باستعراضهم، أوشك على تعيين الغراب الأسود ملكاً عليهم، و إذ ذاك، هبت الطيور المصممة على نيل المنصب، فجردته من ريشه المستعار وكشفت حقيقة كونه مجرد غراب أسود.

إن مغزى هذه القصة هي أن الرجال المدينين لا يبدون بحلل بهية إلا بأموال الآخرين. وعندما تجعلهم يفون بديونهم، ستظهر حقيقة أنهم في الواقع

بلا قيمة. إن التعبير الحرفي «ريشة الطاووس»، المأخوذ من هذه الحكاية، يعني حلية مستعارة للتأنق.

وجد فنانون كثر متعة وسروراً في رسم نسخهم من هذه الحكاية، التي برز فيها الطاووس، مطالباً بريشه، وغاضباً بغير ريب لأنه اعتقد أنه الطائر الأكثر جمالاً، ولا بد من إعلانه ملكاً للطيور. من السهل نسبياً على الفنان أن يجعل طاووساً يبدو غاضباً بكثير من الريش المرتعش وذيلٍ معبر يُرسم بمسحة من السخط، سوى أن طاووس بيتر كاستيلز أكثر عزماً على استرجاع ريشته المميزة.

أما جونو والطاووس فقد ربطت بينهما علاقة خاصة، فالطاووس يدين لها بالبقع العينية التي على ريش ذيله الطويل. لذلك، فقد كان من الطبيعي أن يعود الطاووس إلى الآلهة جونو وفي جعبته شكوى. لقد كان مستاء جداً لأنه لم يملك صوتاً جميلاً كصوت العندليب. قال الطاووس: «إن تغريد العندليب هو موضع حسد الطيور كافةً. أما أنا فحين أصدر صوتاً فإنني أصبح أضحوكة لهم.» حاولت جونو أن تكون لبقة، فقالت: «صحيح أنك لا تملك القدرة على التغريد، لكنك بجمالك تتفوق على بقية الطيور بأشواط؛ فعنقك يبرق مثل الزمرد وذيلك الباهر هو معجزة التمازج الرائع للألوان». إلا أن الطاووس لم يهدأ فأجاب:

«ما فائدة الجمال مع صوتٍ مثل صوتي؟». عبست جونو قائلة: «لقد وزع القدر هباته للجميع، كلٌ بحسب ما كتب له: فلك الجمال، وللنسر القوة، وللعندليب الغناء، وهكذا أعطى الجميع كلٌ حسبِ منزلته؛ لكنك وحدك لست راضياً بنصيبك. لذا كف عن التذمر، فإن أُعطيت ما ترغب الآن، فستجد بسرعة سبباً يدعوك للاستياء من جديد».

يملك كل من آلهة وآلهات اليونان والرومان رموزهم، كما كان لآلهة الهندوس الأقدمين رموزهم، وقد ساعد ذلك على تحديد الشخصيات في صورة زيتية لكل من المتعلمين والأميين. تصور لوحة بيتر بول روبنز ملك فرنسا هنري الرابع وهو يتسلم صورة ماريا دي ميديتشي، وهي عروس مرشحة. وقد يفهم أتراب الفنان

في لوحة روبنز الزيتية هنري الرابع يتسلم صورة ماريا دي ميديتشي (١٦٢٠)، يتم التعرف على جونو من خلال طاووسها، الذي يمد عنقه لينظر إلى صورة العروس المأمولة.



هذه اللوحة في الحال على أنها تصور جوبيتر (نظراً للصاعقة التي خلفه) وجونو، بسبب الطاووس الذي بجانبها. مما يدل على أن ذلك على الأرجح زواج تم عقده في السماء. بالإضافة إلى ذلك، فإن سناء ريش الطاووس بألوانه القزحية، يدل على أنه كان يرسم أحياناً للدلالة على الجنة في الأعمال الفنية.

منذ بداية الفن المسيحي، أدخل المسيحيون رموز القديسين والشهداء

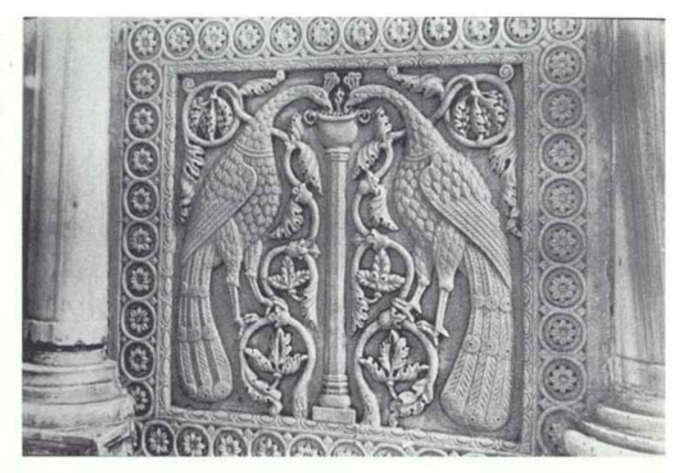
المسيحيين في لوحاتهم، كطريقة للدلالة على شخصيات القصة. فعلى سبيل المثال، يمكن التعرف على الشخصية التي تحمل المفاتيح على أنها القديس بطرس، ويملك القديس يوحنا المعمدان حملاً، أما القديس جيروم فيملك أسداً. لكن ليس لأي قديس طاووس؛ فبدلاً من ذلك، جاء هذا الطائر ليرمز إلى عقيدة أكثر منه إلى شخص، وهي نقاء المسيح وقيامته. وسبب ذلك هو أن الطاووس قد حصل على سمعته من أجل لحمه الذي لا يفسد. وقد اعتبر القديس أوغستين (٣٥٤-٤٣٠ بعد الميلاد) أن عدم فساد لحم الطاووس هو بمثابة معجزة:

«عندما سمعت بهذه الخاصية للمرة الأولى، بدا لي ذلك لا يصدق، لكن اتفق أن طُهيَ طائرٌ من هذا النوع وقُدِمَ إلي في قرطاجة. تناولت شريحة مناسِبة من لحم الصدر، وبرغم أن اللحم بقي أياماً عدة كفيلة بجعله نتناً، إلا أنه أُخرج ووُضع أمامي ولم تنبعث منه أي رائحة كريهة...فمن غير الله، خالق الأشياء جميعها، قد وهب لحم الطاووس الميت القوة التي تحفظه من التعفن دائماً؟(٣)».

إن لحم الطاووس قاس وجاف، كما أنه يصبح بقساوة الجلد عندما يوضع في الشمس حيث يمكن له أن يجف تماماً، خاصة حين يتم رشه بالتوابل بسخاء. ولهذا السبب، فهو لا يتعفن مثل باقي أنواع اللحوم.

في سراديب الموتى أو مقابر جنوب روما التي يعود عهدها إلى القرنين الثاني والثالث قبل الميلاد، كانت صور للطواويس وريشها ترسم على الأرضيات والجدران والأسقف. كما أن الأروقة برفوفها ذات الحجيرات المستطيلة الشكل التي توضع فيها التوابيت الصخرية كانت مزخرفة بأفكار مستمدة من المعمودية والقربان المقدس والقيامة. أما في الصور النموذجية من فن تلك الحقبة فقد كان الطاووس مرتبطاً بالقربان المقدس ارتباطاً وثيقاً، حيث نرى طائرين يطوقان الكأس التي تحوي الخمر.

أما لوحات البشارة (كتلك التي رسمها كارلو كريفيللي، ناشيونال غاليري، لندن) فقد تضمنت طاووساً يدل على قيامة المسيح المرتقبة من بين



طاووسان متقابلان على حاجز رخامي بيزنطي في كاتدرائية القديسة ماريا أسونتا، تورسيللو من القرن الحادي عشر.

الأموات. وفي لوحات ميلاد المسيح، رسمت الطواويس بالقرب من الطفل رمزاً لقيامته. ومن غير الاعتيادي أن نجد طاقماً كاملاً من حرس الشرف المكون من الطواويس (كما هو مبين في الرسم التوضيحي صفحة ٤٢)؛ ولا يؤكد هذا الإيمان بنقاء المسيح فحسب، بل إن عملية طرح ريش الطاووس سنوياً ثم نموه مرة أخرى تُعتبر رمزاً للقيامة، بالإضافة إلى أن صدر الطاووس ذا اللون الأزرق الياقوتي وذيله ذا العيينات يمتدان مثل سماوات مرصعة بالنجوم. ونظراً لقدرة الطواويس على سحق الأفاعي، فقد تم رسمها وهي تحيط بشجرة المعرفة.

لقد أصبح الطاووس رمزاً للفخر والزهو دون أن يرضي ذلك غروره. فانتهى به الأمر ليجسد خطيئة الغرور في إصراره على إبراز أفضل ميزاته بمنتهى الوضوح. وكثيراً ما تتضمن الصور التوضيحية للخطايا السبع المميتة طاووساً بين مجموعة من الأشياء الرمزية. وقد أنجز بييتر بروغيل سلسلة من اللوحات المنقوشة للخطايا السبع المميتة: الغضب والجشع والشراهة والشهوة والغرور والكسل، جامعاً التسلية بالمغزى الأخلاقي.

إن «الطاووس في غروره»، أثناء تأدية عرضه، يبرز في لوحات بروغيل حول «الغرور»، واقفاً بجانب امرأة تحمل مرآة. أما ذلك الشيء الزخرفي الغريب في

خطيئة الغرور، واحدة من سلسلة من اللوحات المنقوشة على غرار بييتر بروغيل توضح الخطايا السبع المميتة، تم نشرها عام ١٥٥٦.

المقدمة اليسارية للصورة فله مسحة خفيفة من ريشة طاووس في ذيله، و ينطبق هذا أيضاً على البيضة التي تفقس إلى اليمين. كما أن هناك أنثى طاووس في أقصى اليمين. إن معاصري بروغيل كانوا يفهمون المعاني الخفية لكل عناصر لوحته، لكن تلك المعاني منسية إلى حد كبير بالنسبة لنا اليوم.

أثناء احتفالات عيد الفصح في روما المسيحية، كان البابا يُحمل إلى كنيسة القديس بطرس ممسكاً مروحة مصنوعة من ريش النعام وقد حيكت عليه عيينات مأخوذة من ريش ذيل الطاووس. وكانت الرمزية هذه المرة إلى يقظة الكنيسة. وهناك اعتقاد واحد مشترك بين الشرق والغرب حول الطاووس، حيث قيل إن صيحات الطاووس المتواصلة هي إشارة موثوقة تدل على طقس ماطر. أما ازدياد صيحات الطواويس في فترة الرياح الموسمية، فسببه أن ذلك يتزامن مع موسم التزاوج في الهند وسريلانكا. إن أصوات الطيور التي تتنبأ بالأمطار هي خرافة قديمة جداً في الغرب، حيث تُنسب بعض الخاصيات إلى بعض الطيور التي تشمل طيور نقار الخشب والسماني والطيور الغاطسة ذات الحنجرة الحمراء، من بين الكثير غيرها.

برز الطاووس بشكل واضح في الطب. ففي دستور الأدوية في السنغال،

يُنصح باستخدام ريشة الطاووس لعلاج الروماتيزم والتواء المفاصل وخلعها. وتعتبر العيينات ترياقاً ممتازاً لمقاومة عضة الجرذ. ويتم العلاج بلف الريشة في ورقة نبات جافة، ثم تُضرم النار بها ويقوم المصاب باستنشاق الدخان المتصاعد ثلاث مرات.

وقد اعتُبر الطاووس في الشرق والغرب طائراً ملكياً، لا يجوز للناس رجالاً ونساء الإساءة إليه. وقد تمتعت الطواويس بأبعد درجات القداسة عندما سكنت معابد الهند حيث كُرست لعبادة الآلهة، أو معابد هيرا/جونو، حيث كانت تُستبقى كمبعث للبهجة والسرور للآلهة. كما أن سرقة ريشة من الطاووس، أو بصورة أسوأ، سرقة الطاووس نفسه، تتسبب لفاعلها بالعقاب العاجل الموجع، بل بالموت أيضاً. ويُعتقد أن هذا هو السبب وراء النظر إلى ريش الطاووس أو الطاووس بأكمله باعتباره جالباً للحظ السيىء.

وهناك خرافة شائعة في بريطانيا تقول بأنه من الشؤم الاحتفاظ بالريش ذي العيينات داخل المنزل. لكن، ولقرون عديدة، وضع الناس من جميع الأمم هذا الريش كزينة شخصية في القبعات، أو حملوه على شكل مراوح، كما لبس العمال الزراعيون في لنكولنشاير أيضاً الريش في قبعاتهم حين كانوا يذهبون للبحث عن عمل في المعارض النظامية، بعد أن اشتروه من الباعة المتجولين. ومع ذلك، فقد استمر الاعتقاد بالخرافة خاصة بين الممثلين الذين كانوا يفزعون من الاحتفاظ بالريش في المسرح، لاعتقادهم أن ذلك سيتسبب بفشل المسرحية. وقد كتب الممثل بيتر بال: «إن أي شيء له علاقة بالطاووس هو مشؤوم...فقد قمت بإنتاج مسرحية تدعى «احبس لي طاووساً في قفص» كلفتني كل فلس أملك»(٤).

إن ذلك الاعتقاد القائل بأن وجود ريش الطاووس في المنزل يتسبب بالموت، قديم، وربما أكثر قدماً، من الطبيب السويسري باراسيلاس (١٤٩٣-١٥٤١) الذي كتب: «إذا صاح الطاووس أكثر من المعتاد، أو في وقت غير وقته المعتاد، فإن ذلك ينبئ بموت بعض أفراد تلك العائلة التي تملك هذا الطاووس». وإن لم ينبئ ذلك بالموت، فلربما يتسبب بعنوسة فتيات تلك الأسرة(٥). ربما تفسر

العيون المفتوحة دائما تلك الخرافة، بالإضافة إلى ارتباطها بـ «عين الحسود»، وهذا اعتقاد قديم واسع الانتشار بأن لبعض الأشخاص القدرة على التسبب بالأذى أو حتى القتل بنظرة واحدة.

إلا أن هناك خرافات إيجابية مرتبطة بالطاووس. حيث يشرح حمد الله المستوفي القزويني:

إن أكلَ لحم الطاووس محرَّم. وهو يعيش خمس وعشرين عاماً. وله صوت يدفع الكائنات الزاحفة على الهرب. يؤكل مخه مع نبتة السذاب الطبية والعسل لعلاج المغص وألم المعدة. إذا أعطيت المادة الصفراء، ربع درهم (وحدة وزن) مع أوكسيميل في ماء فاتر، لمريض الإمساك، فإنه يشفى؛ وهو جدير بإطلاق اللسان الأبكم. ويزيد لحم الطاووس القوة الجنسية، ويخفف ألم الركبتين. وإذا وُضِعَ دهنه على الطرف المصاب بقرصة الصقيع فسوف يعيد الدهن ترميمها. وإذا رُبِطَ مخلب الطاووس على امرأة تعاني آلام الولادة، فستهدأ الآلام على الفور.

أما كيف يمكن لشخص أن يُمنع عن تناول لحم الطاووس، ثم ينتفع بكل تلك الأجزاء المختلفة منه، فهذا ليس معللاً.

يمكن الحصول على الحماية من الشيطان بارتداء حجاب أو تعويذة. وينتشر استخدام التمائم بين المؤمنين بالديانات البوذية والإسلامية والهندوسية. ففي التيبت، هناك تعويذة تُستخدم من أجل توفير الحماية من الأرواح الشريرة. أما في الإسلام، فإن أكثر التعاويذ قوة هي تلك التي تحوي آيات مكتوبة من القرآن. وكمثال على ذلك، فقد وُجدت إحدى التمائم التي توضع في خيط وتُلبس حول العنق، في نهاوند بين ممتلكات ضابط تركي. كان الجانبان يحملان زخرفة نافرة لطاووس، محاط بالنص القرآني المكتوب بالخط الكوفي: قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد» (سورة ١١٢). ويعاد النص على كلا الوجهين.

كان سي.دبليو. بيبي، الذي عرف الطيور في مواطنها الأصلية في السنين الأولى من القرن العشرين، ينظر بسخط إلى الخرافات التي ترتبط بالطيور.

حيث قال: «في جميع المطبوعات الأدبية للإغريق والرومان والعرب واليهود، لا تجد إلا إطراءات على الطاووس وإعجاب مفرط بجماله»، وأضاف: «إن الخرافات الساذجة حول الحظ السيئ التي تجلبه عين الحسود، منتشرة الآن بكثرة في أميركا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا. لكن لا يوجد أي إثبات حول هذا الأمر في الهند والصين»(٧).

التجسيم- وهو السعي إلى تفسير سلوك الحيوان بتعبيرات بشرية- قد جعل الصفات البشرية تُعزى إلى الطاووس، مثل الغرور والتفاخر والتغطرس والتنبؤ بالطقس. وبشكل مثير للدهشة، فقد ترسخ ربط الطاووس بالغرور بالتكرار المتواصل لفكرة أن صفة الطاووس تلك انعكست، فأصبح من الممكن القول إن شخصاً ما «مغرور مثل طاووس». ولم تحقق سوى أنواع قليلة من الطيور مثل هذه الصفة في اللغة.

استمتعت بعض العائلات بالتحرر من الخوف والخرافات، ونعمت بالجمال المحض وبالبهجة الناتجة عنه والتي تُغدق على كل من يملك ريش ذيل الطاووس. ففي «المنزل المتناغم الجميل» (في لوحة جون أتكينسون غريمشو دولشي دومام) تجلس امرأة بهدوء في ذلك المنزل المضطرب، المبني على الطراز الفكتوري غير قلقة بشأن وجود مراوح وأوانٍ كبيرة من ريش الطاووس. رُسمت هذه اللوحة في زمن وصل فيه ارتداء ريش الطاووس إلى ذروته، كما كان فنانو الحركة الجمالية والفن المحدث يستخدمون الريش كأفكار رئيسية بشكل واسع، غير عابئين بالخرافات التي تترافق مع ذلك. أما اليوم، فإن ريش الطواويس يُستخدم في تنسيق الزهور ضمن باقات كبيرة، ولصنع المراوح، وفي الأعمال الفنية المتنوعة. وإن أي شيء بجمال ريش الطاووس الفاتنة، لا يمكن أن يتسبب بأي أذى لأي شخص.



لوحة توماس بيويك المنقوشة على الخشب من حكايات مختارة تظهر غراب الزيتون المغرور بينما تقوم خمسة طواويس بانتزاع الريش المزيف عنه.

هوامش

١- ستيفن لونزديل، الحيوانات وأصل الرقص (لندن، ١٩٨١)، صفحة ٨١-٢

٢- أنجلو دي غابرناتيس، ميثولوجيا علم الحيوان (لندن، ١٨٧٢)، المجلد٢، صفحة ٣٢٦-٧.

٣- القديس أوغستين، De civitate dei مدينة الرب (نيويورك، ١٩٥٠)، الكتاب ٢١، فصل ٤، صفحة ٧٦٦.

٤- بيتر بال، في ملحق المشاهد(٢٤ تشرين الثاني ١٩٦٨). مسرحية «ضع لي طاووساً في قفص» بقلم نويل لانغلي (لندن، ١٩٣٥).

٥ - آيونا أوباي وموريا تاتيم، معجم الخرافات (أوكسفورد، ١٩٨٩)، صفحة ٣٠١.

٦- جاي.ستيفينسون، قسم علم الحيوان من نزهة القلوب، بقلم حمدالله المستوفي القزويني، ترجمه ودققه جاي.ستيفنسون (لندن، ١٩٢٨).

٧ - سي.دبل يو، دراسة عن طيور الدرّج (لندن، ١٩١٨-٢٢)، المجلد٣، صفحة٢٤٤.

3 – الطاووس الهندي الأزرق
في موطنه الأصلي

الهند

يمتد التوزع التقليدي للطاووس الأزرق، بافو كريستيتاس Pavo cristatus ، من شمالي الباكستان شرقاً إلى جنوب جبال الهملايا، عبر جامو وجنوبي كشمير ونيبال إلى آسام، وجنوباً عبر ناغالاند ومانيبور وميزورام إلى تشاتاغونغ، نحو الضفة الغربية لنهر براهمابوترا في بنغلاديش، وعبر كامل الهند وسريلانكا. ومنذ قديم الزمان، تمتّع الطاووس الأزرق بالحرية في هذا الإقليم الشاسع وتسنى له أن يتجول حسب رغبته عبر الغابات والقرى وفي المعابد المقدسة والقصور الملكية؛ ففي الغابة، تنتشر تجمعات كبيرة من هذه الطيور في أماكن ترتفع من ٩٠٠ إلى ١٢٠٠ متر فوق سطح البحر، ويندر وجودها في المناطق ذات الارتفاعات الأعلى، ولهذا السبب شكلت الامتدادات الهائلة لجبال قراقرم[١] والهيمالايا حاجزاً منع انتشار الطواويس شمالاً، في حين حالت هضاب آراكان[٢] دون تحركها شرقاً واختلاطها بالطواويس الخضراء، فهذان النوعان لا يتعايشان في أي مكان.

شكّل وادي السند أقدم مصدر للطواويس بالنسبة لإمبراطوريات الغرب القديمة. ويتغذى هذا الوادي المذهل فعلاً من مياه الثلوج الذائبة، ويمر فيه القسم الأول من نهر السند (وهو النهر الذي منح اسمه للمنطقة) في مجراه في حوض الهيملايا – القراقرم ، ثم يلتقي براوفده بغزارة يحملها معه الى مصبه في بحر العرب وهي تعادل ضعفي غزارة نهر النيل.

(١) احدى سلاسل الهمالايا الجبلية، وتقع في المناطق الشمالية لباكستان قرب الحدود مع الهند والصين وتمتد حوالي ٥٠٠ كم.

(٢) آراكان هي أحد أقاليم بورما ويقطنها المسلمون بنسبة ٧٥٪ تبلغ مساحة الاقليم ٢٠ ألف ميل مربع.



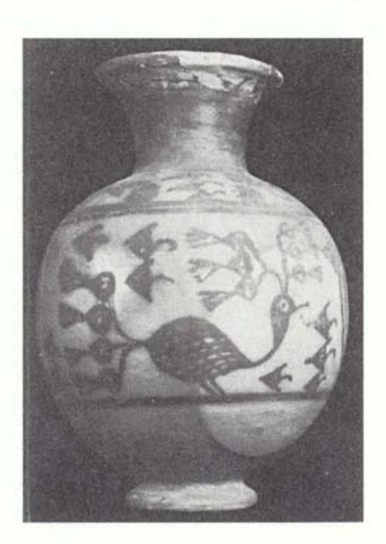
تمثل هذه اللوحة بالألوان المائية «مشهداً ليلياً في حديقة هندية» «night scene in an Indian garden» وتُظهر طاووساً يهاجم أفعى على الأرض للرسام غاوري راجيني من سنة ١٦١٠،

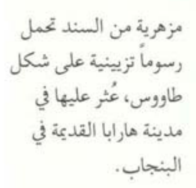
تمتد جبال القراقرم لحوالي ٤٨٠ كيلومترا من الحدود الأفغانية وحتى نهر شيوك وهي إحدى أعلى الحواجز الجبلية في العالم، لتفصل بين الباكستان والصين وتستمر بشكل موازٍ لهيمالايا البنجاب، لا يقطعها سوى وادي السند.

احتضن وادي السند حضارة الهاراپان، أقدم الحضارات الهندية والتي سادت بين ٢٦٠٠-١٨٠٠ قبل الميلاد، وحملت اسم المدينة الرئيسية هارابا.

كانت هذه الحضارة متطورة بشكل استثنائي، واستُخدم الطوب المخبوز في أسلوب البناء وشمل ذلك بناء الصوامع الضخمة والأحياء السكنية المبنية بحرفية عالية والتي تشكل أدلة على تخطيط المدن وتطور الصرف الصحي. ويعود تاريخ الفن الهندي كالرسم والنحت والهندسة المعمارية إلى تلك الحقبة أيضاً. وفي هذا المكان تطورت الديانة الهندوسية الأساسية وأبدع الفنانون الهندوس التماثيل في الكهوف ومجمعات المعابد الضخمة.

تُصنع الفخاريات في السند بجودة عالية وهي في غالبيتها تصنع على العجلة الدوارة؛ وقد عُثر على جرة في مقبرة في هارابا ذات لون اصفر برتقالي ووردي وأحمر وأسود، رُسِم عليها مجموعة من الطواويس، بالإضافة إلى العديد من الزخارف النباتية. كما رُسم أيضاً طاووس بين حواشي على مزهرية من مقبرة تعود لحقبة ما بعد السند في هارابا. وهناك أمثلة أخرى لطواويس رُسمت باللون الأسود على سطح أحمر تم اكتشافها أثناء التنقيب عن الآثار في الوادي(١). واستمر تراث وادي السند في رسم الطواويس إلى الوقت الحالي، فلا يزال فنانو راجاستان يرسمونه كثيراً.





مزهرية من السند تحمل رسوماً تزيينية على شكل طاووس، عُثر عليها في مدينة هارابا القديمة في البنجاب.

وهناك أدلة على التبادل التجاري بين إقليم هاراپان والخليج الفارسي وبلاد ما بين النهرين(٢)، حيث يُعتقد أن هذا الجزء من الهند الأسهل منالاً أمام المغامرين العرب، الذين كانوا يُبحرون بمحاذاة الساحل وهم يتوجهون شرقاً ويحتمون في الخلجان كل ليلة ، كان المنطقة التي تم منها الحصول على أولى الطواويس التي وصلت البحر الأبيض المتوسط.

تطورت بدايات الديانة الهندوسية الحديثة بين عامي ١٥٠٠ و١٧٠٠ قبل الميلاد، عندما اجتاح الآريون ذوو البشرة الفاتحة شمال غرب الهند، ودمروا معظم حضارة الهند الشمالية وفرضوا عاداتهم الجديدة وعبادة العديد من الآلهة. احتل الآريون الشمال وهضبة ديكان. ونصبوا المقامات القروية في كل أنحاء المنطقة، ويظهر في رسوماتها كل من الآلهة لاكشمي وبراهما وكاما ممتطياً طاووساً.

اتحدت الهند للمرة الأولى في ظل حكم أباطرة الموريان في ١٨٤-٣٢١ قبل الميلاد، باستثناء أقصى الجنول، وتمتعت بحقبة من السلام والاستقرار. وضمن تأثير المعتقدات الهندية وتسامحها مع كافة الكائنات الحية للطواويس ازدهارها، وبما أن تلك الفترة هي التي بنيت فيها المعابد المذهلة عبر الهند، فقد تم تخليد بعض الطواويس بنقوش في تلك المعابد في كل أنحاء المنطقة. كما انتشرت الهندوسية إلى حد أبعد في الهند الوسطى والهند الجنوبية. حيث نُقشت صور الطواويس الملكية من الملحمة الهندوسية القديمة رامايانا في معبد نروسينغاناث؛ ونُحت المزيد منها مع أشكال القردة في معبد بوبانازسوار الذي بني في القرن العاشر الميلادي؛ وفي معبد براهما في بوشكار، وزُينت جدران المعبد برسومات الطووايس التي كانت مركبة زوجة الإله براهما. وسمع اليوناني آيليان عن الطواويس في الهند حوالي سنة ٢٠٠ بعد الميلاد، فكتب أنه في حدائق القصور الملكية في الهند (طواويس وطيور درج أليفة في الحدائق المزروعة بالشجيرات التي يعتنب بها عمال الحدائق الملكية كما يجب(٣).

طاووس بورنزي من هضبة
ديكان يعود للقرن الرابع عـ
وهي صـور مُفضّلة في الفن
الهـندي.



أدى توما الرسول[1] العمل التبشيري في الهند، وفقاً للمعتقدات السائدة منذ زمن، في القرن الأول بعد الميلاد، ويُعتقد أنه توفي هناك أيضاً. وقد زار ماركو بولو كنيسته في ميلابور (أي «مدينة الطواويس») أو مايلابور، عندما كان في رحلة عودته إلى موطنه من الصين في حوالي ١٢٩٠-١٢٩٣. وقد روى ماركو بولو القصة التي تقول إن القديس قُتل خطأً، بسهم صياد خرج يصطاد الطوواويس بالقوس والسهم، بينما كان يتلو صلواته خارج صومعته وهو محاط بالطواويس، حيث أصيب في جانبه الأيمن ومات متأثراً بجراحه. وقد أقيمت كنيسة تكريماً له، ويقول ماركو بولو إن المسيحيين والساراسيين[2] كانوا يترددون على تلك الكنيسة «بشكل كبير في رحلات الحج»، فقد كان العرب والمسلمون

(١) ويُدعى أيضا يهوذا توما ديديموس ومعنى اسمه توما باللغة الآرامية هو التوأم ، هو واحد من رسل المسيح الإثني عشر، وفيه أعطى يسوع تطويبته الشهيرة (لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا) وبسبب هذه القصة يضرب المثل بين المسيحيين بشك توما.

(٢) مصطلح استخدم من قبل الأوروبيين للدلالة على العرب في العصور الوسطى وللدلالة على الفاطميين، ثم على كل الذين أعلنوا الإسلام كدين لهم في الشرق الأوسط بصفة عامة ويأتي الاسم من اليونانية: Σαρακηνός ثم انتقل إلى اللاتينية (Saracenus) ومنها إلى الإنجليزية (Saracen) ، وقد اشتقت الكلمة من العربية (شرقيون).

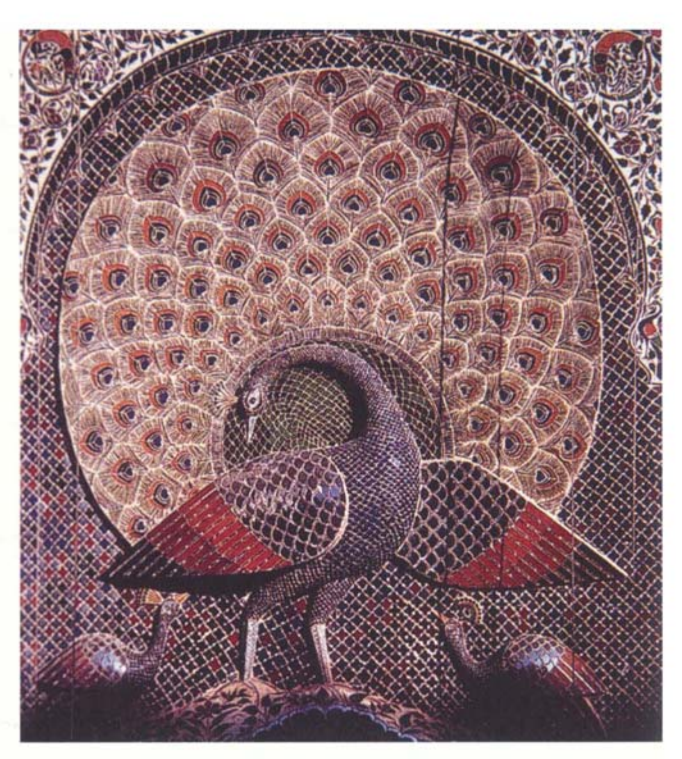
يكنون للقديس احتراماً كبيراً، ولاحقاً ابتلعَتْ مدينة مادراس (تشيناي) تلك البلدة الصغيرة.

تبع خطوات ماركو بولو إلى الهند مئات من المغامرين والتجار والمقاولين سعياً وراء الإتفاقيات الاقتصادية مع أمراء الهند (المهراجات) أو من أجل خدمتهم كالأطباء والفنانين والمرتزقة. وزارها المبشرون كذلك، أمثال جوردانيوس السيفيراكي(٣)، وهو دومينيكاني(٤) فرنسي رسا في الهند عام ١٣٢١ وكتب إلى وطنه يصف من الحيوانات: الفيلة ووحيد القرن والسنور البري والثعالب الطائرة(٥) ، والحدأة والطاووس من الطيور.

بدأت حقبة المغول عام ١٥٢٦ عندما هزم بابر(٦)، وهو أمير محارب من مملكة صغيرة في آسيا الوسطى، لودي، حاكم دلهي وأدت الأعمال البطولية العسكرية الناجحة التي قام بها بابر في الهند، بالإضافة إلى تلك التي قام بها ابنه همايون(٧) ثم حفيده أكبر(٨) (الذي حكم من ١٥٥٦-١٦٠٥)، إلى بناء إمبراطورية حكمت كامل شبه القارة تقريباً، عدا القسم الواقع في أقصى جنوبها.



صورة لزينة جدارية نافرة ومطعمة بزجاج الموزاييك الملون تعود إلى أواخر القرن السادس عشر، في مور تشوك («بلاط الطاووس») في قصر أودابور في راجاستان.



لوحة (طاووس في عاصفة مطرية ليلاً) Peacock in a Rainstorm at Night ، من هضبة ديكان من أواخر القرن السادس عشر. ونلاحظ انها خيالية: فالطواويس لا تطير في المطر، أو في الليل.

شيد أكبر وأقرباؤه الراجيوتيون، الذين أحكموا سيطرتهم على مختلف الولايات والممالك الصغيرة ، الحصون والقلاع المحاطة بالأسوار السميكة، وكانت لهم بداخلها القصور وقاعات البلاط الملكية والحدائق وحدائق الحيوانات- كل لوازم الحياة الرغيدة في محيط آمن. بُني أحد هذه القصور في أدايبور، وهو يُدعى الآن قصر المدينة، وكان في موقع ممتاز يطل على بحيرة بيتشولا. وأكثر هذه القصور جمالاً، ذو القاعات الداخلية المتعددة في المنطقة الخاصة، هو مور تشوك أو بلاط الطاووس؛ وقد سمي البلاط بهذا الاسم نسبة لرسومات الطواويس النافرة والمزينة بالزجاج الملون الذي كان يتم ترصيعه في الجدران.

حوّل أباطرة المغول اهتمامهم إلى الفنون بعد أن استقروا بأمان في حصونهم

وقصورهم، فبرع فنانو البلاط المغولي في رسم المنمنمات، خصوصاً في عهد كل من آكبر، وولده جهنكير[1] (١٦٠٥-٢٧) وشاه جيهان[2] (١٦٢٨-٥٨). وقد تنوعت مواضيعهم من اللوحات الفنية والتاريخية إلى الطيور والثدييات والزهور. كان آكبر راعياً للفنون، وميّز الرسامين البارعين ورسامي الطبيعة من جميع الفئات الدينية والطبقات الاجتماعية. كما قام بضع مئات من الفنانين، من سكان الهند الأصليين وآخرين من البلاد المستعمرة، بتعليم التلاميذ، وعملوا على إنتاج الرسوم التوضيحية للمخطوطات والمؤلفات التي كانت محفوظة في ألبومات. كان باساوان من بين الفنانين المفضلين لدى آكبر، وقد رسم منمنمة ممتعة عن الدرويش المتأنق الذي يتلقى التوبيخ The Foppish Dervish Rebuked من صوفيٍ حكيم مقدس. حيث كان الدرويش يخيط ثوباً جديداً له عندما مر به رجل صوفي، فوبخه قائلاً «هذا الثوب هو إلهك.» أكد باساوان على هذه الفكرة وذلك برسمٍ طاووس كثيف الريش على الشرفة. ويظهر الطاووس وقد أدار ظهره إلى الصوفي، مشيراً إلى أن توبيخه سيتم تجاهله. وهناك فنان آخر مفضل لدى آكبر، وربما يكون أعظم فنان لديه، هو ميسكين، الذي رسم صورة لسفينة نوح التي تعّج طوابقها الأربعة بالحيوانات، وقد كانت الطيور في الطابق الأعلى، ومن ضمنها الطاووس. فقد كان آكبر يعشق صور الحيوانات، وقد أتاحت له لوحة ميسكين الغراب يخاطب الحيوانات المجتمعة The Raven Addressing the Assembled Animals ، فرصة أخرى لوضع مجموعة كبيرة من الحيوانات معاً، فهناك أسماك في البحر عند أسفل الجبل الذي تتسلقه أفاعي وذوات أربع بالإضافة إلى تنين، أما الطاووسان فهما في أسفل الجبل، ويبدو الذكر شديد الاهتمام بالقلنسوة المرفوعة لأفعى الكوبرا الضخمة. تنطوي هذه المنمنمات على حس من الإثارة والفكاهة التي تجعلها بغاية الجاذبية.

في لوحة لاحقة تمثُّل عاشقين على مصطبة Two Lovers on a

(١) نور الدين سليم جهنكير.

(٢) شهاب الدين محمد بن نور الدين شاه جهان.



هذه المنمنمة من صنع باساوان الدرويش المتأنق الذي يتلقى التوبيخ The Foppish Dervish Rebuked، وهي نسخة تعود لعام ١٥٩٥للوحة تدعى باهاريستان («حديقة الربيع» Spring Garden) لجامي، وفيها يقف الطاووس على الشرفة بأفضل وضعية لرؤية كسائه الرائع.

Terrace للرسام بال تشاند في حوالي ١٦٣٣، وهما يحدقان في عيني أحدهما الآخر، وتتضمن فتاة من الخدم تلوح بمروحة من ريش الطاووس. وتظهر حزم كبيرة من ريش الطاووس في أوانٍ في اللوحات التي تصور القصور من الداخل جاهزة للاستعمال كمراوح.

كان أوستاد منصور أشهر فناني جاهانغير، وقد نُسب إليه ألبوم جميل يحوي صورة طاووس أنثى رسمت في عام ١٦١٠. تظهر الطواويس في معظم الرسومات الغربية بحالة جامدة تعوزها الحياة، لذا، فإن صورة هذا الطائر الذكر الذي يركض نحو الأمام لينقضّ على أفعى صغيرة تأكل، هي صورة فريدة مفعمة بالحياة. وأوليت ساقا الطاووس القويتان الكثير من الاهتمام (وقد اضطر منصور إلى رسم إحداها عدة مرات، لكي يحصل على الزاوية الصحيحة)، وتظهر فيها الأنثى القلقة أيضاً؛ إن هذه اللوحة ليست بارعة فحسب بل هي أيضاً متجددة في تصوير الوضعيات المميزة للطائر.

زار السير جون ميلدينهول آكبر في عام ١٥٩٩، بتوصية من مجموعة من تجار لندن الذين أسسوا شركة من أجل المتاجرة مع الهند بشكل مباشر. حيث قامت القوى الأوروبية المنافسة في ذلك الوقت بالسيطرة على تجارة الهند الشرقية وبالتالي على أسعار التوابل النفيسة. فأرسلت إليزابيث الأولى وفداً بقيادة سير جون، للتفاوض مع آكبر للحصول على امتيازات هذا المشروع. ونجح ميلدينهول في مهمته وقاد الامتياز الملكي لتأسيس شركة الهند الشرقية في ٣١ كانون الاول من عام ١٦٠٠إلى ثلاثة قرون ونصف من التجارة التي تحولت فيما بعد الى استعمار.

ربما تكون الإمبراطورية المغولية قد وصلت أوجها في ظل عهد آكبر، لكن شاه جيهان كان قد أصبح أكثر شعبية من أجل موقع تاج محل الجميل الذي بناه من أجل زوجته. فقد كان يبني بإسراف في جميع أنحاء الإمبراطورية المغولية. وبمعزل عن تاج محل (حوالي ١٦٣٢-٤٧)، بنى شاه جيهان قصوراً جديدة داخل الحصون في لاهور وآغرا، والمسجد العظيم في آغرا وقصراً ومدينة



خادمة تلوح بريشة طاووس فوق عاشقين على الشرفة في مجموعة صور رسمها بال تشود. تزوج شاه شوجا، الابن الثاني لشاه جيهان ابنة أحد أبناء الجالية الملكية وأصبح بفطنته نسيباً للعائلة الملكية في إيران.

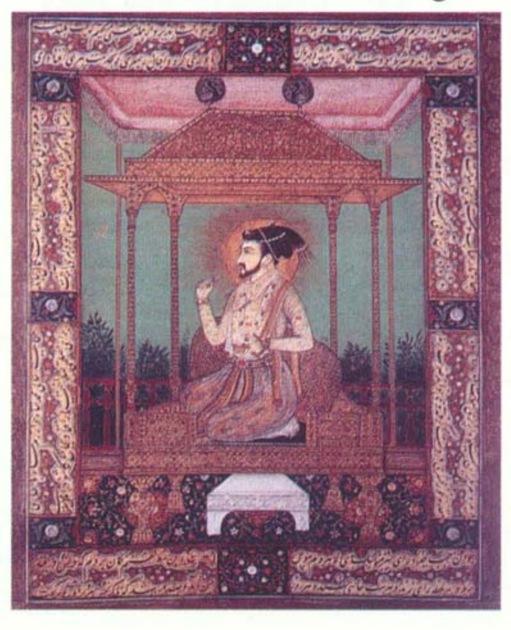
تصوير لطاووس من أوائل القرن السابع عشر للرسام المغولي أوستاد منصور.



جديدين في دلهي، التي أصبحت عاصمته. وقد أصدر شاه جيهان عام ١٦٢٩ أمراً بصناعة عرش الطاووس من أجل قصره في دلهي. وقد تم وضعه في منتصف ردهة «ديواني خاص»، وهي قاعة مخصصة للمقابلات الرسمية الخاصة ومجالس الأمراء والاجتماعات.

استخدم شاه جيهان تلك القاعة للتشاور مع وزيره وكبار موظفيه وحكامه المحليين؛ كما كانت محاكم القانون، أثناء عهده، تجتمع في قاعة الديواني الخاص أمام العرش أيام الأربعاء. أما العرش، فقد كان عبارة عن سرادق مرصع بالجواهر ومتوج بقنطرة ذهبية يعلو قمتها زوجان من الطواويس. وقد زين العرش بأجمل أحجار الياقوت والزمرد واللؤلؤ، ووُضعت آنية تحوي ريشات طاووس الى جانب العرش. وكان يتم الاعلان عن حضور الراجا (ملك أو أمير هندي) براية مصنوعة من ريش الطاووس، من بين كل تلك الزخارف.

انتهت سلسلة النسب التي انحدر منها حكام المغول الأشداء حوالي سنة ١٧٠٧ وما لبثت الإمبراطورية أن تداعت بسرعة؛ وأصبحت الهند ضعيفة أمام الهجمات الخارجية، وأثناء إحدى غارات السلب والنهب للجيش الفارسي بقيادة نادير شان عام ١٧٣٩، تم نهب مدينة دلهي والاستيلاء على عرش الطاووس وأخذه إلى بلاد فارس، حيث رآه هنري رولنسون، الذي كان يؤدي خدمته العسكرية في طهران، في عام ١٨٣٧ أثناء زيارة لمحمد شاه، ووصفه قائلاً بأنه (عرش الطاووس الرائع من القرن السابع عشر والذي يزينه ٢٦٠٠٠ حجر من الياقوت والزمرد واللآلئ قد يكون أجمل حجيرة في بلاد فارس، وأكثرها لفتاً للانتباه)». إلا أن العرش اختفى منذ ذلك الحين(٤). انضم التجار المتنافسون في شركة الهند الشرقية البريطانية ونظيرتها الفرنسية خلال فترة الفوضى، جراء الجيوش الغازية والولايات التي تناور للحفاظ على مواقعها، إلى ذلك النزاع، واستحوذ البريطانيون على فرصة طرد الفرنسيين، ثم قاموا

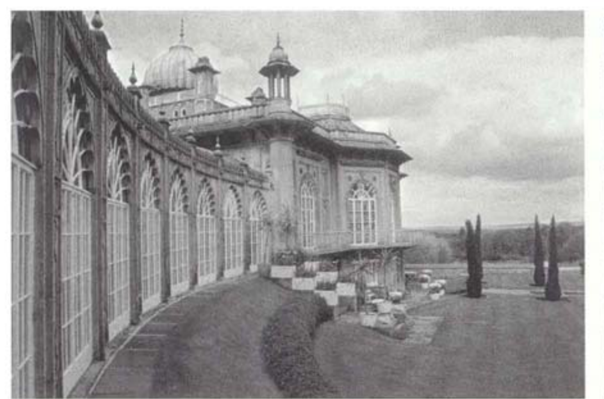


لوحة مغولية تُظهر الحاكم شان جيهان الذي حكم في القرن السابع عشر، على عرش الطاووس الخاص به.

بالاستيلاء على المناطق المغولية بشكل منظم في غضون القرن التاسع عشر.

حمل موظفان في شركة الهند الشرقية، يعملان في الهند، انطباعات عميقة عن أسلوب البناء الهندي وجسدوها في بناء منازل لهم في بريطانيا؛ وشاركهما الفنان توماس دانييل المعرفة بأسلوب البناء الهندي. أمضى دانييل (١٧٤٩-١٨٤٠) عقداً من الزمن في التجوال في الهند مع ابن أخيه ويليام بعد وصولهما إليها عام ١٧٨٤؛ حيث رسما المناظر والمباني، وعند عودتهما إلى الوطن، قاما بنشر كتاب مناظر من الشرق Oriental Scenery ، مرفقاً بصور توضيحية بالألوان المائية. ألهم هذا الكتاب المهندس المعماري ساموبل بيبيز كوكيريل (١٧٥٤-١٨٢٧) لابتكار تصميمات لمنزل سيزينكوت، غلوسيسترشاير، الذي اشتراه أولاً الكولونيل جون كوكيريل عام ١٧٩٥ عند عودته من البنغال، ثم ورثه شقيقه الأصغر تشارلز كوكيريل في سنة ١٧٩٨، الذي عمل كمساح للأراضي في شركة الهند الشرقية. عمل كوكيريل وتوماس دانييل على تلك التصاميم معاً وابتكرا أقواساً على شكل ذيول طواويس مرفوعة فوق نوافذ الطابق الأول على الواجهة الجنوبية، وربما ذكر ذلك المالك بالطواويس التي تزين العديد من المباني في راجاستان. وعلاوة على ذلك، فقد بُني في عام ١٨٠٥ ، مستنبت زجاجي منحنٍ، يؤوي في قسم منه طيوراً غريبة، واحتوى البناء على المزيد من قناطر ذيل الطاووس. وحوالي عام ١٨٠٧، زار الأمير ريجينت منزل سيزينكوت ويُعتقد أنه قد كان متأثراً بالطراز الهندي حين أعاد تشييد مبنى برايتون. كما ظهرت أفكار زخرفية هندية مماثلة في المنزل الذي بني في الجوار في دايليزفورد، وورسيستيرشاير، من أجل صديق جون كوكيريل الذي كان يفوقه شهرة، وهو وارن هاستينغز.

بينما ضمنت شركة الهند الشرقية الولايات المتعاقبة، انطلق المبشرون في إثرهم، وقامت كنيسة إنكلترا ببناء الأبرشيات عبر البلاد. كما حاز التاريخ الطبيعي للهند على اهتمام بعض رجال الدين البريطانيين، ويظهر ذلك بوضوح في الطريقة التي يصف فيها الأسقف هيربر، الذي راقب الطيور الحية عن كثب، طاووساً أزرق لحظة إقلاعه وكأنه طائرة هارير، قال:





أقواس الطاووس
في سيزينوت،
غلوسسترشاير، وهو
منزل ريفي على الطراز
الهندي بناه ساموبل بيبيز
كوكيريل في عام ١٨٠٣.

بذيل متدل وأجنحة تصدر حفيفاً
ينطلق الطاووس البهي عالياً؛
وهو، الطائر ذو المائة لون،
الذي تجل سيدات آفا ريشه كثيراً.

انضم المحترم رينالد هيربر (١٧٨٣-١٨٢٦) الكاهن الإنكليزي ومؤلّف ترانيم إلى العائلة التي تعيش في هودنيت في شروبشاير، وقبل الكرسي الأسقفي لكلكوتا في عام١٨٢٣، لكنه توفي بعد ثلاث سنوات في تريتشينوبولي، بالقرب من مادراس. وكان لهيربر خبرة مباشرة بالطواويس في الهند، ومنها كان يستقي ذلك الوصف الحيّ لها(٥).

تابع الحكام الراجيوتيون في الهند الغربية والوسطى بناء المقرات المحصنة الرائعة في القرن التاسع عشر، وكان هؤلاء الأمراء تحت إمرة امبراطور دلهي، وبالتالي فقد تأثر مهندسوهم بالمهندسين المعماريين المغول. وأفضل مثال على ذلك، إطار باب فاتن مستوحى من الطاووس، بناه ساواي جاي سين، مؤسس جايبور في راجاستان، في مقره الملكي الذي اكتمل في عام ١٧٣٣. وتوجت الأبواب المنمقة والمصنوعة من النحاس الأصفر للجدار الخارجي لإحدى القاعات بلوحات خشبية صغيرة تحتوي طواويس بهية الألوان؛ حيث تشكل

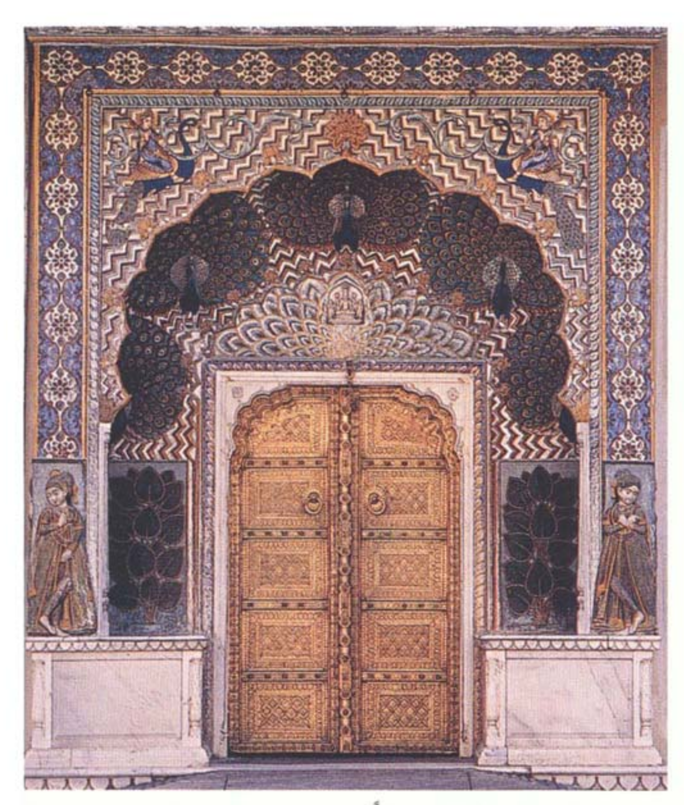
خمسة طيور مرفوعة الذيول قوساً يعلو الأبواب، وهناك طاووسان آخران على زاويتي إطار الباب العلويتين يمثلان مطيتين لأشخاص صغار الحجم.

قامت شركة الهند الشرقية بعد سيطرتها على البنغال والكارناتيك في عام ١٧٥٦ بتوسيع نفوذها في الهند بأكملها. وكان أمراء الهند النبلاء والمهراجات مجبرين على قبول الحكم الاجنبي ومُنعوا من الاحتفاظ بجيوش مستقلة، كما تُركوا في حصونهم ليحكموا ولاياتهم الواقعة وهم خاضعون للسيطرة البريطانية، فكانت احدى الطرق لتوكيد مكانتهم الملكية هي بناء الكثير من المقرات الضخمة وفق الطراز الحديث. تمتع الأمراء في ذلك الوقت بأمان أكثر حيث أنهم لم يكونوا مضطرين للقتال فيما بينهم باستمرار للمحافظة على حدودهم. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان في استطاعتهم الاستمتاع بممارسة أنواع الرياضة مثل صيد النمور والطواويس خارج حصونهم.

لم يكن الهندوس يأكلون لحم الطواويس، لكن أعضاء الديانات الأخرى لم يمانعوا وجود لحم الطواويس في وجباتهم. وفي القرن التاسع عشر، جرب الطباخون الهندوس فكرة وضع أنواع عِدّة من لحوم الحيوانات، أحدها في داخل الآخر ثم طهيها جميعاً ضمن رزمة توضع في حفرة في الأرض، على حرارة البخار ببطء ولوقت طويل. فبدؤوا بلحم الجمل، ووضعوا عنزة في داخله، ثم وضعوا بداخل العنزة طاووساً، ثم دجاجة، ثم قطاة، ثم سماني وأخيراً عصفوراً دورياً في المركز. لقد كانت المأكولات الغريبة بالنسبة للأمراء المنغمسين في رغباتهم، أمراً اعتيادياً داخل تلك القصور الفخمة.

استمتع الأوصياء البريطانيون والميليشيا الذين يقيمون في الهند، باصطياد الطرائد الطائرة فكتب ويليام تيغيتميار:

على الرغم من أنه لا يمكن القول إنها رياضة مفضلة لدى الصيادين في الهند، فإن قلة هم من يستطيعون مقاومة اصطياد طاووس جيد يفر من أمامهم أثناء اصطيادهم الطرائد الصغيرة: إلا أن فراخ الطاووس جديرة بالخروج في شيكار (صيد) صباحيٍ من أجل إحضارها إلى المائدة، كما أن لحم أنثى طاووس صغيرة وممتلئة ممتاز حقاً إذا تم حفظه ليومين أو ثلاثة؛ أما الطاووس المسن فهو



الأبواب المصنوعة من النحاس الأصفر والمحاطة بطواويس مرفوعة الذيول من الآجر في قاعة داخلية في جايبور، وهو حصن راجيوتي فخم تم إنجازه في عام ١٧٣٣. ويظهر الإله كاريتيكيا في الزوايا العليا يمتطي طاووساً.

غير ملائم إلا لصنع الحساء؛ وغالباً ما يفر الطائر المجنح ببساطة برشاقة ساقيه. لكن هذه الطيور تبيت عادة على أشجار معينة، ويمكن قنصها بسهولة عند الذهاب إلى ذلك المكان في وقت مبكر أو متأخر(٦).

لابد من أن هناك العديد من القصص التي تروى على المائدة في نهاية يوم من الصيد، لكن قلة منها تتفوق على رواية أحد العقداء . فبينما كان العقيد يطارد طاووساً خلسةً، دُهش لاكتشافه أنه اقترب من هذا الطائر اليقظ اقتراباً استثنائياً، فهو عادة ذكي في اجتناب المراقبة والملاحقة، ولا يدع نفسه في مدى الطلق الناري ولكن ذلك الطائر تجاهل العقيد وحدّق عمداً في بقعة صغيرة

من الغابة أمامه تماماً. وعندها لاحظ العقيد وجود نمر مرقط يزحف على بطنه خلسة متجهاً نحو الطاووس ودهش العقيد فهو لم يسمع عن وجود نمور مرقطة في الجوار، فرفع بندقيته وصوبها نحو النمر ولكن ما أثار ذهوله هو أن النمر انتصب فجأة رافعاً قائمتيه الأماميتين وصرخ بصوت أجش مليء بالخوف «لا يا سيدي، لا يا سيدي، لا تطلق النار». ظن العقيد لوهلة أنه يفقد صوابه، حتى رأى رجلاً متخفياً ببراعة شديدة في جلد النمر ورأس محشو بشكل جيد، يحمل قوساً وسهاماً في إحدى قائمتيه، ينهض ويقف أمامه(٧). كان السكان الأصليون بارعين في تعقب الطواويس وقتلها كما استطاع البعض الآخر إيقاعها في الفخاخ بتقليد صيحات الذكور.

وبحلول القرن العشرين، كان المهراجات قد أنشأوا مدناً جديدة، مثل تلك المبنية في مايسور في الهند الجنوبية. حيث بني قصر آخر هناك في أوائل القرن التاسع عشر، وتم توسيعه في عام ١٩٣٢؛ وكان فريداً من حيث الاستفادة من حديد الزهر في بناء اثنتين من حجراته الرئيسية، ومن حيث استخدام مهندس معماري بريطاني لبنائه. فقد قام والتر ماكفارلين وشركة سيراسين لسبك المعادن بصناعة الأعمدة والأسقف من حديد الزهر في غلاسكو، ثم تم شحنها إلى مايسور. كما صمم هنري آيروين الردهتين والزخارف بما فيها الطاووس. استخدم آيروين الزجاج الملون، الذي كان رائجاً في بريطانيا، في زخرفة الردهتين، مبتكراً فكرة جديدة في الهندسة المعمارية الهندية.

كان روديارد كيبلنغ هو أشهر مؤلف بريطاني كتب عن الهند. لكنه بالكاد أتى على ذكر الطواويس، حتى في قصص ماوكلي، فلم يذكره إلا ذكراً عابراً في قصيدة قصة الصياد الصغيرThe Story of the Little Hunter، التي لا تفارق الأذهان:

قبل أن يصفق الطاووس مور بجناحيه، وقبل أن يصرخ البشر العابثون،
قبل أن تنقض الحدأة تشيل على المنحدر العالي،
يمر شبح عبر الغابة بهدوء، وتمر تنهيدة-
إنه الخوف، أيها الصياد الصغير، إنه الخوف!



طواويس من الزجاج الملون في كاليان ماندابا (قاعة الزفاف) في قصر مايسور من تصميم هنري اروين في عام ١٨٩٧.

في عام ١٩٠٣، حضر اللورد كارزون، نائب ملك الهند، وزوجته حفلة راقصة تلت تتويج الدوربر في دلهي. ارتدت ماري، الليدي كارزون ثوباً رسمياً منمقاً ثقيل الوزن، من قماش مطرز بأيدي فنانين هنود بخيوط وجواهر معدنية على نسيج من الذهب على منوال ريش الطاووس. تلألأ الثوب تحت أضواء المساء، خاصة عين كل ريشة والتي كانت ممثلة بجناح خنفساء خضراء قزحية، وكان الثوب من صنع شركة Worth of Paris وربما لا يزال معروضاً في قاعة كيدلستون هول في ديربيشاير.

وفي عام ١٩٤٧ قُسمت الهند وغادر البريطانيون. واقتطع وادي السند، مهد الحضارة الهندية، ليشكل الباكستان، حيث يكافح الطاووس الأزرق اليوم من أجل البقاء، فلا يتوفر له هناك سوى القليل من الحماية. وكما هي الحال دائماً، تتغذى تلك الطيور بشكل أفضل في الهند الهندوسية، لكن حتى هناك، تصبح الحياة أكثر خطراً بالنسبة للطاووس الهندي الأزرق بسبب تداعي

القيم والمعتقدات القديمة. ويكمن الأمل الأفضل في الحفاظ على الطواويس في المتنزهات الوطنية المحمية، والتي يوجد منها العديد اليوم. فقد تم تعزيز الوعي العام بالطيور عبر العالم، في المؤتمر المعني بها والذي تم عقده في طوكيو في عام ١٩٦٠ واقتُرح على كل دولة أن تقوم رسمياً بتسمية نوع من أنواع الطيور بصفته الطائر القومي لها. وفي عام ١٩٦٣، اختارت الهند الطاووس الأزرق لتجعل من ذلك دافعاً قوياً.

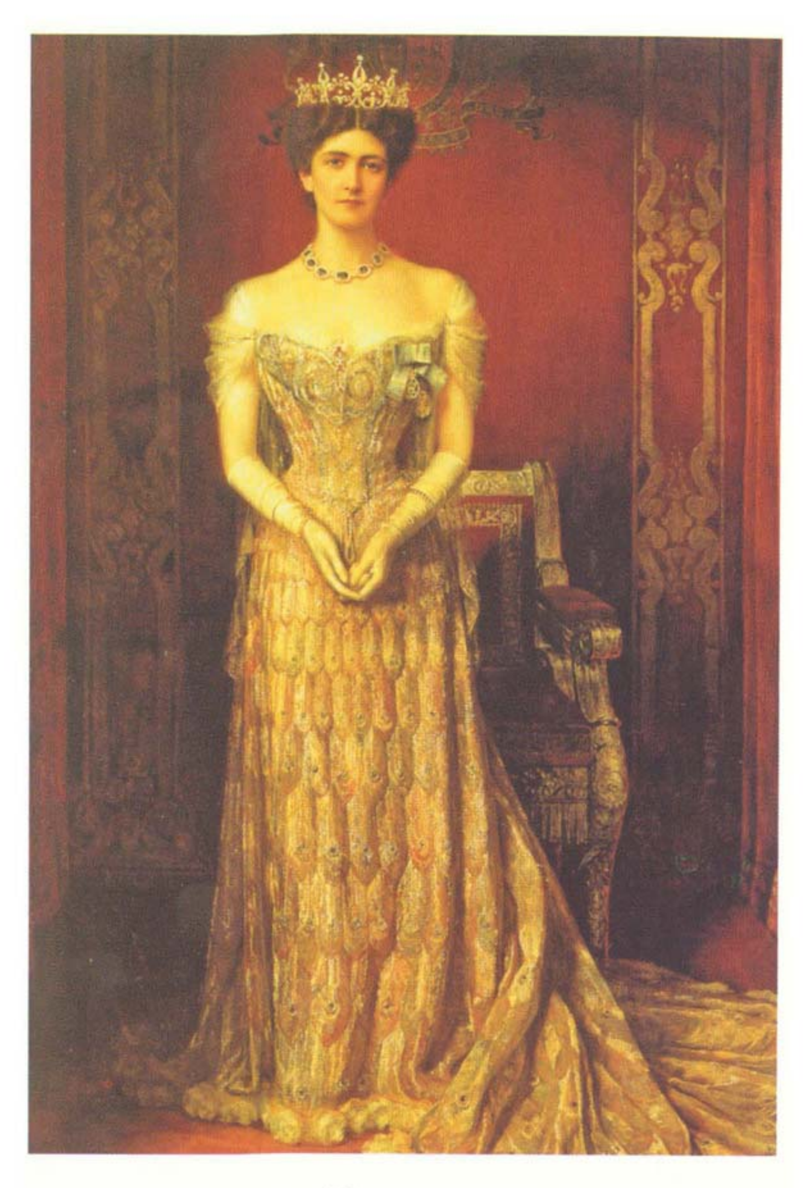
سريلانكا

في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد، سافر البحارة الرومان عبر الساحل الغربي للهند وانعطفوا حوله نحو أقرب يابسة، وكانت مرفأ جالي النشط على الساحل الشرقي لسريلانكا (والتي كانت تسمى سيلان سابقا)، قبل عبورهم خليج البنغال.

لقد كان البحارة يبحثون عن الذهب والقصدير من سريلانكا وعن التوابل من شبه جزيرة مالاي وبورما(٩). وجالي، وهي كلمة سيرلانكية تعني الصخور حيث تقع المدينة على نتوء صخري يمتد إلى غرب خليج مكشوف إلى جهة الجنوب، وهي مرفأ بحري له تاريخ طويل جداً(١٠). وفي حوالي سنة ٥٤٣ قبل الميلاد، قام ويجيا أمير الهند الشمالية باجتياح واحتلال سريلانكا، ولكنَّ المدهش هو أنّه عثر على مجموعة صغيرة تنحدر من سلالة السكان الأصليين الذين أخضعهم ويجيا، وهم الفيدايون Veddas ، أحياء . حيث عُثر على أفراد من هذه القبيلة يعيشون في مكان ناءٍ من الجزيرة في الثلاثينات من القرن العشرين، وكانوا ما يزالون يستخدمون الأقواس والسهام ويضعون ريش مالك الحزين والصقر والطاووس على سهامهم.

لا يتوفر لدينا سوى بعض التقارير المكتوبة التي تصف الطواويس في سيلان، وهذا ما يجعل التقرير المصورللسير جيمس إيمرسون تينيت عنها وهي تستمتع بالحياة بحرية في غاباتها الطبيعية في عام ١٨٦٠، ذا قيمة نفيسة. وقد كتب:

حالما يظهر طاووس من الظلال العميقة ويدنو مما يبدو أنه مداخل المتنزه المتاخمة للريف المنخفض، حتى نتمكن من إيجاد أعداد من الطواويس إما



تتغذى على البذور أو حبات الجوز التي سقطت على الأرض بين الأعشاب الطويلة، أو تعرض نفسها لأشعة الشمس على الأغصان والأشجار المحيطة. ولايوجد شيء في الأراضي الإنكليزية يمكن أن يعطي فكرة كافية عن حجم هذا الطائر وروعته عندما يُشاهد في منعزلاته الطبيعية. هنا، ينتقي الطائر عادة غصناً بارزاً يمكن لريشه أن يتدلى حراً عن أوراقه...أو يبسطه تحت أشعة شمس الصباح ليتخلص من رطوبة وعرق الليل. وفي بعض المناطق شبه المهجورة من المقاطعة الشرقية، التي نادراً ما يتردد الأوروبيون إليها، وحيث لا يزعج السكان المحليون تلك الطيور، تكون أعداد الطواويس استثنائية، ذلك أنها لم تعد «رياضة» تتم ممارستها للفتك بها باعتبارها طرائد؛ حيث تكون صرخاتها في أول الفجر صاخبة ومتواصلة حتى أنها تطرد النوم وترتقي لتصبح مصدر إزعاج حقيقي. إن لحم الطواويس لذيذ المذاق عندما يتم تقديمه ساخناً، وعلى الرغم من ذلك يقال انه عسير الهضم؛ لكنه عندما يبرد، ينكمش فيصبح كريهاً وذا لون مائل للحمرة(١١).

لوحة الفنان ويليام لوغسدايل التي تُصور السيدة كورزون زوجة نائب حاكم الهند، في حفل تتويج دوربر في دلهي في عام ١٩٠٣، ويظهر فيها ثوبها المنسوج من قماش ذهبي على شكل ريش الطاووس.

إن الصراع بين جماعة نمور التاميل وقوات الأكثرية في سريلانكا لم يقدم الكثير لحماية البيئة أو الطيور التي تسكن سريلانكا (يعني اسمها الجزيرة المتألقة وتم إقراره في عام ١٩٧٢)، إلا أن التأثير الكامل للحرب الأهلية على حيوانات تلك الجزيرة ليس معروفاً.

النيبال والتيبت

يُصور الطاووس في النيبال الهندوسية والتيبيت البوذية، كما في الهند، على أنه رمز للحظ الجيد والازدهار والعمر المديد في الديانتين الهندوسية والبوذية، ويُعظم على أنه الطاووس العظيم (ماها-مايوري). كانت صور الآلهة البوذية من التيبيت تُزين بالحلي الثمينة المطعمة بالجواهر. ويرتبط رمز آخر بالطاووس بصفته حامياً من الأذى، ويأخذ شكل مظلة من ريش الطاووس تستظل تحتها بالدن لامو (الحارسة ذات اللون الأزرق الداكن والتي تحمي جميع فئات الديانة البوذية) بينما تقود بغلها عبر بحر ملتهب من الدماء.

سيلحظ زائر هذه المنطقة، على الفور، الطواويس بين كميات هائلة من



هذه صورة إحدى الحلي الشعائرية الخاصة بشعب نيوار في النيبال وهي مصنوعة من الفضة المذهبة والفيروز والبريل والياقوت والزفير والألماس والعقيق الأحمر واللازورد

المجوهرات التي يضعها أفراد المجتمع بشكل يومي، حيث تُصنع تلك المجوهرات من أحجار الفيروز والمرجان واللازورد واللؤلؤ التي تُرصع في الفضة والذهب. فقد كانت التيبت غنية بالذهب والأحجار الكريمة التي استُخدمت في السيوف الشعائرية والأواني المقدسة بالإضافة إلى الزينة الشخصية، والفيروز هو الحجر المفضل ويحتل المرتبة الثانية بعد الذهب فقط بصفته مادة قيمة لصنع المجوهرات.

في نيوار في النيبال، تُوضع المجوهرات للدلالة على كل مرحلة من حياة الإنسان التي يمر بها بسبب الاعتقاد بأن تلك المجوهرات تمنح الحماية وتتمتع بخصائص توفر له الصحة الجيدة، ويدعى أفراد العائلة إلى ارتداء جميع مجوهراتهم في احتفالات الولادة والزواج، وينتمي تجار المجوهرات إلى الطبقة الثرية ويتمتعون باحترام كبير.

يُستخدم ريش الطاووس في الطقوس البوذية التي تترافق مع تنقية المياه،

كما تُعتبر الطواويس رمز الشفقة والخلود، ويُعتقد أنها توفر ترياقاً يقاوم السم (على اعتبار أنها تأكل الأفاعي) فأصبحت بذلك مرتبطة بالقدرة على تحييد على المشاعر البشرية المؤذية كالغضب والجشع. وهناك قصة تقليدية في التيبيت تدعى (الوهج الذهبي، الطاووس في الأيكة السامة Goldenglow the Peacock in the Poison Grove»، لدارماراكشيتا وهي تتحدث عن طاووس ملك له ٥٠٠ من الاتباع، وقد عاش على المنحدر الجنوبي من كايلاش. وسمعت زوجة الملك براهماداتا ملك بيناريس عن الطاووس وشاهدته وطلبت من الملك أن يحضره لها. وجد خدام الملك الطائر إلا أنهم لم ينجحوا في الإمساك به، وعندما واجههم الطاووس، شرحوا له بأنهم قد يموتون إن لم يعودوا به إلى البلاط الملكي. فوافق الطائر على المثول في حضرة الملك، بعد أن أقام الملك حفل استقبال يليق به. وبعد إقامة كل الشعائر اللازمة، ذهب ملك الطواويس إلى قصر الملك وقدم له جميع أفراد الحاشية الولاء. كان الملك براهماداتا يكرم الطاووس بشكلٍ يومي، وينحني ويقدم القرابين له. وفي أحد الأيام، اكتشف أنه لم يعد قادراً على فعل ذلك فأوكل بالمهمة إلى الملكة، التي قامت بذلك لفترة؛ إلا أنها كانت على علاقة غرامية بأحد رجال الحاشية الملكية، واكتشفت أنها حامل وسعت إلى قتل الطاووس بالسمِ خشية أن يكشف الحقيقة للملك. إلا أن ملك الطواويس أصبح أكثر جمالاً وتألقاً وأخبر الملكة أنها لا تستطيع أبداً أن تقتله بالسم، وأن زوجها سيكتشف أمرها ويقتلها. وعندها أغمي على الملكة، وهزلت ثم ماتت.

وتنتهي القصة بالجملة التي تقول: (ملك بيناريس الآن هو شاريبوترا وأنا (بوذا) الوهج الذهبي Goldenglow كنت ملك الطواويس.»(١٢)). مُنح الطاووس في هذه القصة القدرة على معادلة تأثير عشبة البيش السوداء (عشبة الأقونيطن) أو عشبة سم الثعلب وسمومٍ أخرى.

الطواويس الزرقاء تؤخذ شمالاً

أقر السفراء السنغاليون الذين وصلوا إلى روما أثناء حكم الإمبراطور كلاوديوس (٤١-٥٤ ميلادي) أن أجدادهم وصلوا إلى الصين باجتياز الهند

وجبال الهمالايا، قبل وقت طويل من بدء محاولات القيام بهذه الرحلة بحرا باستخدام السفن، وفي أواخر القرن الخامس الميلادي، سلم مبعوث ملك سيلان خطاباً لإمبراطور الصين يُظهر أن كلا الطريقين كانا مستخدمين حينها، لكننا لم نعثر على بيانات موثوقة عن وجود تلك الرحلات في الأدب الصيني حتى ما بعد القرن الثالث الميلادي؛ فقد نشر الحجاج البوذيون عند عودتهم إلى الهند يومياتهم ووصفاً للبلدان التي زاروها(١٣).

جذبت سريلانكا التجار من أجل التجارة، حيث كانت السفن الصينية منذ ٣١٧ وحتى ٤١٩ ترسو في جالي من أجل الأرز والخضار و خشب الصبر وخشب الصندل وخشب الأبنوس والكافور والتمور والسمسم وجوز الهند والفلفل وقصب السكر و الصمغ وزيت اللبان والمواد المخدرة. كما تاجروا أيضاً بالعاج، ومئات من تماثيل بوذا، واللآلئ وأحجار المرجان والكريستال والياقوت والزفير وأحجار الجمشت الأرجوانية، حيث كانت تلك الجزيرة غنية بالبضائع المطلوبة في كل من الشرق والغرب.

وقد تم تسجيل أقدم سفارة لسيرلانكا إلى الصين في سجلات التاريخ الصينية في بداية القرن الخامس الميلادي، حيث وصلت تلك السفارة الصين براً عبر طريق الهند، واستغرقت الرحلة عشر سنوات لبلوغ عاصمة الصين. وفي القرن السادس الميلادي، أعلن ملوك سريلانكا تبعيتهم لإمبراطور الصين وبدأوا في ارسال الجزية إليه في عام ٥١٥ م واستمر هذا التقليد لقرون تلت. وأدى ذلك إلى تطوير حركة البضائع والأفراد من سيلان والهند، عبر الهيمالايا وشمالاً إلى الصين، ولم يرِدْ أي ذكر للطواويس، لكن من المحتمل أنها قد أخذت شمالاً، أو من الأرجح أنه تمت المتاجرة بريشها. في تلك الفترة، لم تكن يونان[١]، بطواويسها الخضراء الطبيعية، قد أصبحت جزءاً من إمبراطورية الصين بعد، بل حافظت بكل تصميم على استقلالها. ولعل الفصيلة الزرقاء من الطووايس كانت بداية معرفة الصينين بالطواويس. وسيتطلب الأمر صوراً صينية مُفصلة ومؤرخة لكلا النوعين لمعرفة أيهما كان معروفاً وفي أي فترة زمنية في الصين.

(١) مقاطعة في جنوب غرب الصين ويعني اسمها حرفياً (الى الجنوب من الغيوم).

هوامش

١ مورتايمر ويلر، Civilization of the Indus Valley and Beyond (لندن،١٩٦٦)، صفحة ٥٢؛ Time Life، Ancient India، Land of Mystery (لندن، ٢٠٠٥)، صفحة ٩-٣٦.

٢ Time Life، Ancient India، الصفحات ٢٧-٣٠.

٣ كلاوديوس آليان، On the Characteristics of Animals، with an English Translation by A. F. Schofield ترجمه للانكليزية أ.ف. شوفيلد (كامبريدج، ماساشوستس ولندن ١٩٥٨)، الكتاب الثامن،١٨ والكتاب الثالث عشر،١٨.

٤ ليزلي أدكينز، Henry :Languages of Babylon Empires of the Plain Rawlinson and the Lost (لندن، ٢٠٠٣)، صفحة ٤٠.

٥ كتب رينالد هربير أيضاً Narrative of a Journey through India، ١٨٢٨ وألف الترانيم «من جبال غرينلاند الجليدية، من شاطئ الهند المرجاني...التي مع نسماتها اللاذعة، تنشر نسمات لطيفة من جزيرة سيلان» (١٨٢٧).

٦ ويليام برنارد تيغيتمير، The Poultry Book: Comprising the Breeding and Management of Profitable and Ornamental Poultry، النسخة الثانية (لندن، ١٨٧٣)، صفحة ٣٢٧.

٧ أ.أو. هيوم و سي.إم.تي. مارشال، The Game Birds of India، Burmah and Ceylon (كالكوتا، ١٨٧٩-٨١؛ لندن، ١٩١٣-١٧)، صفحة ٨٣-٤. عمل آلان أوكتافيان هيوم في السلك المدني الهندي من ١٨٤٨ إلى ١٨٨٢ وقد كان صياد طرائد بارزاً، وعالم طيور وعالم نباتات، وقام بجمع أكبر مجموعة من الطيور الهندية المعروفة. وقد أوصى بمجموعته للمتحف البريطاني (التاريخ الطبيعي)، وهو الآن متحف التاريخ الطبيعي، لندن.

٨ مؤتمر المجلس الدولي للحفاظ على الطيور، طوكيو، ١٩٦٠. تم وصفه في التقرير السنوي لعام ١٩٦٠ للمجلس، القسم البريطاني، القرار ٩، صفحة ١٤. (وقد اختير طائر أبو الحناء للقب طائر بريطانيا القومي.)

٩ Time Life، Ancient India، صفحة ١٠٩-١١٠.

١٠ يؤكد البعض ان جالي ربما تكون المصدر الذي زود الملك سليمان بالعاج والقردة والطواويس. كما أنهم يوردون أدلة على ان هذه المنتجات كانت معروفة للكتاب العبريين القدماء بالأسماء نفسها التي تحملها الآن بين تاميل سريلانكا. إرنست هايكل، Indische Reisebriefe (برلين، ١٨٨٣)، الفصل ٩.

١١ سير جيمس إي. تينيت، Ceylon: An Account of the Island، Physical،Historical and Topographical، الطبعة الخامسة (لندن، ١٨٦٠)، المجلد ١، الجزء ٢، علم الحيوان، الفصل ٢، «الطيور»، صفحة ١٦٤-٥.

١٢ «Peacock in the Poison Grove» للمؤلف التبيتي دارماراكشيتا، حُررت عن Shariputra Sutra، وترجمها ويليام وودفيل روكهيل (لندن، ١٨٩٧).

١٣ تينيت، Ceylon، الفصل الثالث.

4 – الطاووس الأزرق الهندي يسافر غرباً

إن الطاووس الأزرق هو بالفطرة طائر مقيم، فهو لا يهاجر ولا يرغب بالطيران لمسافات شاسعة. وإذا أعطي الطاووس طعاماً كافياً وشجرة ملائمة للمبيت، فإنه يشعر بالراحة في منطقة صغيرة. قد يتجول طائر وحيداً بعيداً أحياناً، إلا أن أغلبية العائلة ستبقى داخل مكان محدد. ولذلك، فإن أكثر ما يلفت النظر في الأمر، هو أن هذا الطائر الملازم لبلده قد وُجد بالقرب من البحر على بعد ٥٠٠٠ كيلو متر بحراً من أراضي الوطن الهندية، ويعيش على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، بأعداد كبيرة كما كان الحال قبل ٣٠٠٠ عام، ويعود انتشاره هذا كلياً إلى تدخل الإنسان.

تعتبر البيانات التوراتية استيراد الملك سليمان للطواويس في حوالي ٩٥٠ قبل الميلاد أول سجل يدل على جلب الطواويس إلى الغرب. وتحركت الطواويس بالتدريج من الشرق الأوسط غرباً إلى أوروبا وأميركا الشمالية، ويمكننا تتبع مسارها من الهند، الموطن الأصلي للطاووس الأزرق، إلى الدول القديمة المتحضرة، إذا تبعنا الطريق الذي سلكه التجار الذين كانوا يحملون من الهند الذهب والجواهر والعاج وخشب الأبنوس والتوابل. ففي عام ٢٣٠٠ قبل الميلاد، كانت حضارة وادي السند التي ازدهرت في المنطقة التي تقع فيها الباكستان الآن، تقوم بالتبادل التجاري مع المدن الواقعة في جنوب بلاد ما بين النهرين. وحيث أن وادي السند كان منطقة تكثر فيها الطواويس، فمن المرجح أنه قد تم تبادلها بحراً عبر الخليج الفارسي، حتى قبل عهد الملك سليمان.

كان التجار الفينيقيون هم أول من أدخل الطواويس، في عهد سليمان، إلى ما يعرف اليوم بسوريا حيث كان الاسم الإغريقي لمنطقة شمال كنعان على الساحل الشرقي من البحر المتوسط، بما فيه ساحل لبنان وسوريا، هو فينيقيا (الإمبراطورية التي ازدهرت من عام ٣٣٢ إلى عام ١٢٠٠ قبل الميلاد).(١) وقد كانت التجارة الفينيقية واسعة ووافرة؛ وقدّم الكتاب المقدس في (سفر حزقيال ٢٧، ٣–٢٥) وصفاً شاملاً يذكر التجارة مع مصر وإيران وقبرص وبلاد



صورة لطاووس أثناء طيرانه.

النوبة وتركيا واليونان وبلاد ما بين النهرين والجزيرة العربية وإفريقيا بالإضافة إلى الهند. حيث وصلت الطواويس المرتحلة إلى بلاط الملك سليمان في فينيقيا، عن طريق السفن التي كان يقودها ملاحو الملك حيرام ملك صور (حالياً في لبنان) جارالملك سليمان. كانت مملكة صور تقوم بمقايضة الأخشاب والمعادن بالمنتجات الزراعية والزيت والعطور مع مملكة يهوذا التي يحكمها الملك سليمان. وعاش سليمان في القدس، التي تقع حوالي ١٦٠ كيلومتراً جنوب صور، وكان يتاجر عند الساحل الشرقي للبحر المتوسط حيث كان حيرام يتاجر أيضاً. وفي عام ٩٤٧ قبل الميلاد أرسل (حيرام خدمه على متن سفن برفقة خدم على دراية بالبحر، وذهبوا مع خدم سليمان إلى أوفير، وأحضروا إلى الملك سليمان من هناك ٤٥٠ طالن (وحدة وزن قديمة) من الذهب)(٢). وأبحرت البعثة المشتركة عبر خليج العقبة إلى البحر الأحمر وانعطفوا إلى الموزمبيق (أوفير). وكان سليمان قد بنى ميناءً في رأس خليج العقبة، موفراً بذلك منفذاً إلى البحر الأحمر، ودعاه إيزنجبر وكانت سفنه ترسو على السواحل الشرقية والغربية لخليج العقبة، متوجهة نحو موانئ بانت (إثيوبيا) على الجهة الغربية وسبأ (جنوب اليمن) على الجهة الشرقية(٣). وربط مسار بحري دائري الخليج

الفارسي بتجارة الشرق، بما فيها وادي السند. وسيطر سليمان على أكبر إمبراطورية في الشرق الأدنى، بما فيها المحطات الأخيرة للطرق التجارية التي استخدمتها قوافل مملكة سبأ. ومن المحتمل أن الطواويس الزرقاء قد وصلت إلى سليمان بواسطة سفنه التي كانت تتوقف مؤقتاً في سبأ، حيث أنه ربط تجارته بالذهب والتوابل بتجارة ملكة سبأ والتي امتدت مملكتها على جانبي البحر الأحمر، في إثيوبيا وجنوب اليمن في تلك الفترة(٤). وقد نشأت ثروة سبأ من أشجار اللبان (التي كانت بيئتها الأصلية مقتصرة على دوفار) والصمغ الراتنجي الذي كان مستخدماً في طقوس البخور في العديد من الديانات وأيضاً في تحضير الجثث للدفن، كما استُخدم كلٌ من اللبان والصمغ الراتنجي في الطب. كُررت البعثة، (فسفن الملك كانت تذهب إلى طرسوس مع خدام هيرام ومرة كل ثلاث سنوات تعود تلك السفن طرسوس وهي تحمل الذهب والفضة والعاج والقردة والطواويس).

أغلق مصدر الثروة والطواويس هذا في زمن يهوشافاط (حاكم يهوذا، ٨٤٩-٨٧٣ قبل الميلاد)، الذي (أجبر سفن طرسوس[١] على الذهاب إلى أوفيرلجلب الذهب، لكن السفن تحطمت في اتزيونجافير[٢]). وبعد مرور قرن من الزمان، كان سكان الأرض المقدسة لا يزالون يملكون دراية بالطواويس، ورد في الكتاب المقدس أن أيوب سأل الرب: «ألست من منح الأجنحة الحسنة للطواويس؟»(٥)

وصلت الطواويس من الهند إلى بلاد ما بين النهرين، الأرض الواقعة بين الفرات ودجلة، وهي الآن جزء من العراق في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد(٦). وفي الوقت نفسه تقريباً، تلقى تغلات بلاصر[٣] الثالث، ملك آشور (٧٤٥ - ٧٢٧ قبل الميلاد)، الطواويس من الجزيرة العربية كجزية، عندما كانت

(١) استخدم الكتاب المقدس هذا المصطلح للدلالة على السفن التي تنفذ رحلات طويلة، على اعتبار ان اطول الرحلات كانت تتجه نحو طرسوس.

(٢) ميناء بحري في أقصى جنوب خليج العقبة.

(٣) توكولتي – ابلي – إشارا (تغلات بلاصر) ويعني اسمه بالأكادية (توكلي على ابن العشيرة) من ملوك آشور، حكم الدولة الأشورية من ٧٤٥ – ٧٢٧ق.م.

نينوى عاصمة مملكة آشور في بابل.

توسعت الإمبراطورية الفارسية التي أسسها سايروس العظيم سنة ٥٥٠ قبل الميلاد في عهد ابنه داريوس (٤٨٥-٥٢٩ قبل الميلاد) لتضم أفغانستان وشمالي غرب الهند، وتوفر منفذاً مباشراً للطواويس الهندية الزرقاء. وقد أنهت الحرب مع اليونان السيطرة الفارسية على العالم القديم، وفي عام ٣٣١ ق.م دفع الاسكندر العظيم الفرس بقيادة داريوس الثالث للتراجع نحو نهر دجلة مسجلاً نهاية العهد الفارسي وبداية الحقبة الهلنستية(٧). وقد قيل إن الاسكندر، تلميذ أرسطو الفيلسوف الإغريقي (٣٨٤ -٣٢٢ق.م) ، جلب الطواويسَ إلى اليونان؛ إلا أن الطواويس كانت معروفة مسبقاً في اليونان في زمن أرسطو، حيث كانت مصانة بسبب جمالها، كما صدرت الأوامر بمنع الناس من قتلها(٨). وحمل التجار الفينيقيون الطواويس إلى اليونان براً من إيران وميديا وبابل، وربما هم أول من حملها إلى جزيرة ساموز أيضاً.

لا نعلم التاريخ الدقيق لدخول الطاووس إلى معبد هيرا في ساموز، والذي بناه بوليكراتس تكريماً لهيرا، وقد بلغ حجمه أربعة أضعاف حجم البارائينون في أثينا واعتُبر ثامن عجائب الدنيا. وكتب أنتيفانيس أنه (لدى هيرا في ساموز نوعٌ ممتازٌ من الطيور، وهو الطاووس الذي نحدق فيه لرؤية جماله)(٩). وعندما تمردت ساموز على سلطة أثينا في عام ٤٤٠ ق.م، محرضة بذلك على اجتياح الجزيرة، مما وفر للأثينيين فرصة نهب الطواويس، حيث كان منظر تلك الطيور يشكل مشهداً نادراً وأثارت اهتماماً كبيراً حين أخذت إلى أثينا، وتمت الإشارة إليها في العديد من قصائد شعراء الكوميديا. وأشار أريسطوفانس (حوالي ٤٤٨ -٣٨٠ ق.م) إلى الطواويس في مسرحيته الهزلية (الطيور) Birds.(١٠)

يروي الخطيب أنتيفون (٤٨٠ – ٤١١ق.م) قصة ثري أثيني يدعى ديموس كان يهوى تربية الطيور، لكنه ارتبك بسبب الزوار الذين قدموا من مناطق بعيدة مثل لاسيدايمون وثيسالي لكي يروا طواويسه ويشتروا بيضها مما اضطره إلى تحديد يوم واحد في الشهر، هو يوم ظهور الهلال، لاستقبال الزوار. وجد أنتيفون أن من المستحيل تدجين طيوره والحصول على بيضها، لأنها لم تكف

عن الطيران بعيداً ولم يتمكن من تقليم أجنحتها خوفاً من أن يفسد مظهرها. لقد بقيت الطواويس نادرة، ومع ذلك فقد تزايدت أعدادها شيئاً فشيئاً حتى روى أنتيفانيس، منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، أنه «قديماً، كان شيئاً رائعاً أن تملك ولو زوجاً واحداً من الطواويس، أما الآن فهي الآن أكثر شيوعاً من طيور السماني!»(١١) كانت هليوبوليس (مدينة الشمس) مدينة يونانية أخرى ارتبطت بالطاووس عندما اتخذت منه شعاراً للمدينة. كما أن للقديسة بربارة، التي ولدت في هليوبوليس، رمز طاووس كأحد ميزاتها.

تأثر الإسكندر العظيم بالطواويس التي شاهدها بينما كان يقود حملاته في مناطق بعيدة كالسند. ووفر لها الحماية وأراد، من غير ريب، أن يكوّن مجموعة في مدينة الإسكندرية بعد أن أسسها في سنة ٣٣٣ قبل الميلاد، إلا أنه توفي بينما كان ما يزال يقود الحملات. وقد تُركت هذه المهمة لسلالة البطالمة التي حكمت مصر منذ موت الإسكندر في عام ٣٢٣ قبل الميلاد وحتى الغزو الروماني. فأسس بطليموس الأول حديقة حيوانات هائلة في الإسكندرية، ثم أكمل بطلينوس الثاني تأسيس الحديقة وتوسيعها. استغرق أحد المواكب المستخدمة لعرض مقتنيات الملك، والذي جرى في عيد الإله ديونيسوس أوائل عام ٢٧٠ قبل الميلاد، يوماً كاملاً لعبور المدرج في الإسكندرية؛ وقد تضمن الموكب ٨ أزواجٍ من طيور النعام المربوطة المسرجة، وطواويس حملت في أقفاص ودجاجاً حبشياً وطيور درّج، و٩٠ فيلاً و٢٤ أسداً و١٤ فهداً و١٦ نمراً والمزيد من الحيوانات ذات الأربع(١٢). ولدى استلام أحد البطالمة لطاووس قام بإهدائه للإله زيوس بوليوس. ما زالت بعض تماثيل الطاووس الصغيرة المصنوعة من الطين النضيج موجودة منذ ذلك العصر، بالإضافة إلى طاووس مصمَّم على أرضية فسيفيائية في منزل روماني في الإسكندرية في كوم الدكة، «فيلا الطيور». كما تضم متاحف عِدّة في القاهرة وفي مكان آخر في مصر صوراً وتماثيل لطواويس من مقابر، وهي مصنوعة إما من البرونز أو النسيج أو الخزف.

كان أرسطو أحد الكتاب الأوائل الذين كتبوا ما كان معروفاً آنذاك عن التاريخ الطبيعي. وتبدو بعض التفاصيل وكأنها جُمعت بالمراقبة الدقيقة للأزواج

المتوالدة من الطواويس، إلا أن ألطف ملاحظاته كانت: (يطرح الطاووس ريشه عندما تنثر أولى الأشجار أوراقها، ثم يستعيده حين تسترد الأشجار نفسها أوراقها)(١٣). وكتب ديودوروس، وهو صقلي معاصر ليوليوس قيصر Bibliotheke historike، تاريخ العالم منذ العصور الأسطورية حتى غزو سيزار لبلاد الغال. ذكر ديودوروس وجود الطواويس في بابل. ففي القرن الأول قبل الميلاد، حيث كان حكام آسيا الصغرى، والتي تشكل القسم الآسيوي من تركيا اليوم، يحتفظون غالباً بالطواويس في المتنزهات والحدائق.

يتضح من هذه الأدلة المتفرقة أن الطواويس كانت معروفة عبر منطقة واسعة من الشرق الأوسط. حيث أنها اعتُبرت مع ريشها رفاهية مرغوبة. لكن، أثناء ازدهار وانحلال الإمبراطوريات، وبسبب اجتياح الجيوش، من المرجح أن الطواويس قد نُقلت مع الغنائم أو هربت إلى الأرياف المجاورة، حيث من المحتمل أن تكون قد نجت إن لم تكن شروط الحياة صارمة جداً.

أصبحت رحلات التجارة البحرية في البحر الأحمر والمحيط الهندي أمراً عاديا عقب اكتشاف التاجر اليوناني هيبالوس للرياح الموسمية في القرن الأول الميلادي. و«كان تجار الرومان يبيعون بضائعهم من مراكز تجارية ثابتة كتلك التي في آريكاميدو على خليج البنغال، ويمكن العثور على المنتجات الرومانية، وأحياناً على الرعايا الرومان، في أمكنة بعيدة مثل جنوب شرق آسيا والصين(١٤).

وتغيرت المواقف الغربية نحو الطواويس منذ أن حصل الرومان على وسيلة مباشرة للوصول إليها. ولكن ليس هناك أي دليل على أن الإغريق تناولوا لحم الطواويس،على عكس الرومان. حيث قدم هورتينسيوس لحم الطواويس في حفلة في روما؛ ومنذ ذلك الوقت، اعتُبرت الطواويس إحدى أروع المفاخر في كل مأدبة(١٥). وكان الطائر يحَضر بسلخ جلده، والحفاظ على رأسه وعنقه وساقيه أثناء الطهو، ثم يعاد وضع الجلد عليه حين يكون جاهزاً لتقديمه على المائدة. كان هورتينسيوس قنصلاً رومانياً سنة ٦٩ قبل الميلاد، وفي زمنه، كان ريش الطاووس يُستخدم أيضاً في الولائم كمراوح وكوسيلة لابعاد الذباب.

ذكر العالم والمؤرِّخ بليني اسم أوفيديوس هوركو كأول شخص قام بتسمين



طاووس على عملة رومانية للإمبراطور دوميتيان(٨١-٩٦ بعد الميلاد).

الطواويس من أجل ولائم الأثرياء المترفة. وبهدف توفير الطواويس بأعداد كافية للولائم، كانت تُربى في الجزر الصغيرة المحيطة بإيطاليا مثل جزيرة بيانوسا. وحيث أن الطواويس لا تحب الطيران لمسافات طويلة، فقد كان من الآمن تركها تتجول بحرية في الجزر حيث تلتقط طعامها بنفسها وتتكاثر دون أن تزعجها الحيوانات المفترسة، وكل ما كان على مقتني الطووايس عمله هو توفير مؤونة يومية من الشعير. شرح ماركوس تيرينتيوس فارو (٢٧-١١٦ قبل الميلاد) ذلك النظام في كتابه On Agriculture، الذي يشير نصه إلى انتفاع الرومان واستغلالهم لهذا الطائر بالتناقض مع سياسة الحماية التي اتبعها اليونانيون، حيث جنى المقاول الروماني لوركو أرباحاً هائلة من تسمين وبيع الطواويس كطعام. وقد دهش فارو كثيراً للأسعار التي أحرزها لوركو من بيع الطواويس وبيضها أيضاً(١٦). وكان أولوس فيتيليوس، أحد أكثر أباطرة الرومان شراهة، إمبراطوراً لتسعة أشهر فحسب سنة ٦٩ ميلادية، لكن حين وصل فيتيليوس من المقاطعات إلى روما، أقام شقيقه مأدبة احتفالية من أجله قُدم خلالها ٢٠٠٠ سمكة و٧٠٠٠ طائر. لكن فيتيليوس تخطى ذلك بنفسه بطبق وصفه بأنه «ترس مينيرفا، حارسة المدينة» نظراً لحجمه الهائل. واشتمل الطبق على أكباد سمك اللبروس، وأمخاخ الطواويس وطيور الدرّج وألسنة طيور النحام وبيوض سمك الموراي. لقد كان فيتيليوس مدمناً على الطعام، وحتى عند تقديم القرابين للآلهة، كان يسرق من الهيكل أي شيء صالح للأكل دون أنْ يقوى على مقاومة التهامه كله بنفسه.

اشتهر باسيانوس، إمبراطور روما من ٢١٨-٢٢٢ م، بتقديم ألسنة وقلوب وأمخاخ الطواويس في ولائمه بالإضافة إلى رؤوس طيور النحام والأعراف المقطوعة من ديوك حية. وانتشرت عادة تقديم الطواويس على الموائد الرومانية انتشاراً واسعاً حتى أصبح هذا الرمز الاعتباري، بلا شك، ملازماً لأصحاب المقام الرفيع بينما كان الرومان يستولون على البلدان الأوروبية وينتشرون فيها. لم يرتفع سوى صوت ماريتال الوحيد ليندد بتلك المذبحة، فقد كتب هذا الشاعر الذي ولد في إسبانيا وذهب إلى روما سنة ٦٤ بعد الميلاد قائلاً: «إنك



فسيفساء طاووس في قنطرة في كنيسة بيليغنا، القرن الخامس الميلادي.

لتُدهش كلما فتح الطاووس جناحيه المذهلين، فكيف يمكن لأي شخص أن يكون قاسي القلب بحيث يسلم هذا الطائر لطاه»(١٧). في نهاية الأمر، تزايد حجم الطلب وفاق الإنتاج، فتم تأسيس مزارع على البر الإيطالي. أما الكتاب، فقد سجلوا برامج العناية بالطواويس والمحافظة عليها بكثير من التفاصيل.

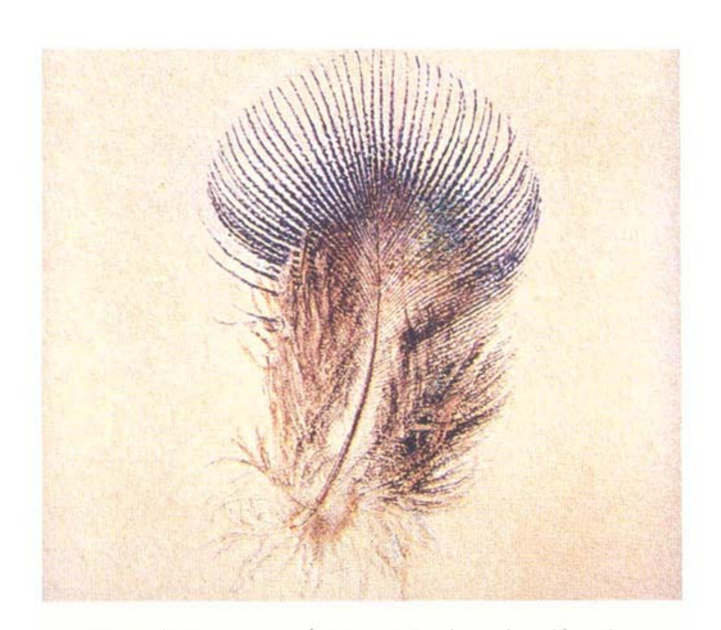
تتواجد أدلة على انتشار الطواويس الواسع عبر إيطاليا في الحقبة الرومانية على مصابيح خزفية يدوية وتماثيل معدنية صغيرة ولوحات فسيفساء ولوحات جدارية، وأصبح رائجاً إدخال نوافير وأحواض رخامية مسطرة بالموزاييك في فجوات شبه دائرية في الجدران في حدائق الأثرياء في القرن الأول الميلادي. كما ظهر الطاووس على القطع النقدية لأكثر من قرن على العملة الذهبية لجوليا تيتي سنة ٨٩ م، وعلى عملات أنطونيوس بيوس في عام ١٧٦م، والمصنوعة من مزيج من الذهب والفضة ومعدن خسيس، وأيضاً على الدنانير الفضية التي تحمل صورة زوجته فوستينيا، في عام ١٤١ قبل الميلاد. إن ما حدث عام ١١٧ قبل الميلاد، هو مثال عن إمبراطور روماني يهدي الإغريق هدية دبلوماسية، حيث قدم هادريان طاووساً رائعاً من الذهب والجواهر إلى هيرايون في مقاطعة كورنثيا.

في نهاية القرن الثاني في روما، كان هناك ما يكفي من الطواويس لجميع المواطنين الأثرياء، وفي كتابه Navigium جعل لوتشيان إحدى الشخصيات

تتخيل أنه (إن أصبح ثرياً يوماً ما، فسيكون طموحه هو أن يحصل على طاووس من الهند من أجل مائدته)، فقد كان الجميع في ذلك الوقت مدركين لمصدر تلك الطيور، وأنها ما تزال تستورَد من الهند عن طريق البحر الأحمر، وربما عن طريق إيران أيضاً(١٨).

وفي حوالي عام ٢٠٠ قبل الميلاد سجل كلاوديوس آيليان، مؤلف كتاب (حول الحيوانات) ،On Animals، بشكل خيالي ما ظن أنه كان يعرفه عن الطواويس:

يعلم الطاووس أنه الطائر الأكثر جمالاً بين الطيور؛ كما يعلم أيضاً أين موقعه من الجمال، ولهذا هو فخور ومغرور بنفسه، وهو يجني الثقة من ريشاته التي هي حليه، والتي تثير الذعر في الغرباء. في فصل الصيف، يوفر له ريشه غطاءً خاصاً به لا يلتمسه من أحد ولا يأخذه منه أحد. إذا أراد الطاووس، على سبيل المثال، أن يخيف أحدهم، فإنه يرفع ريش ذيله ويهزه ويطلق صرخة، فيذعر المتفرجون، كما لو أنهم يفزعون من رنين درع هوبلايت (وهو جندي إغريقي مدجج بالسلاح). ثم يرفع رأسه ويومئ به بغرور كبير، كما لو أنه يهز ثلاث ريشات في آن. ومن ناحية ثانية، عندما يحتاج الطاووس لتبريد نفسه فهو يرفع ريشه ويحنيه نحو الأمام وينشر ظلاً طبيعياً من جسمه، ويرد عنه ضراوة أشعة الشمس. أما إذا هبَّتْ عليه رياح من الخلف، يبسط ريشه بالتدريج، فيمر الهواء عبره بلطف وتناغم مما يمكن الطائر من تبريد نفسه. ويدرك الطاووس الإطراء حين يتلقاه، وكما يُظهر فتى وسيم أو امرأة فاتنة هذه الميزة التي تتفوق على كل الميزات الأخرى، هكذا يرفع الطاووس ريشه في حركات منتظمة؛ ويشبه في ذلك مرجاً مزهراً أو لوحة جملتها تدرجات الألوان، وعلى الفنانين أن يكونوا مستعدين لبذل الجهد في سبيل تمثيل المميزات الخاصة بهذا الطائر. ويثبت ذلك كيف أن الطاووس يستعرض نفسه بلا تذمر تاركاً للمتفرجين فرصة إشباع أنظارهم بجماله بينما يدور هنا وهناك دؤوباً على التفاخر بتباين ريشه البهي، ومظهراً، بأكبر قدر من الزهو، حلة تفوق ملابس الميدين ومطرزات الفرس(١٩).



وصلت الإمبراطورية الرومانية ذروتها في عهد تراجان (٥٣-١١٧ بعد الميلاد)، فقد امتدت من بريطانيا إلى بلاد ما بين النهرين وبحر قزوين، وربما كانت الطووايس موجودة في بريطانيا خلال فترة الاحتلال الروماني، حيث تضمنت بعض أرضيات الفسيفساء الرومانية في بريطانيا صوراً صغيرة لطواويس. ومن أمثلة ذلك فسيفساء الكينشام، بالقرب من باث، وهي واحدة من أعظم المنازل الرومانية، و فسيفساء وودتشستر، وهي أكبر فسيفساء عُرفت في بريطانيا الرومانية، لها دائرة داخلية تحوي ماء، وتشغل تلك الأرضية تماثيل أورفيوس وطاووس وطيورٌ أخرى.

وبعد سقوط إمبراطورية روما، قيل عن تشارلرمان (٧٤٢-٨١٤) الذي احتل معظم بلدان الغرب المسيحي، بأنه كان يحتفظ بالطواويس وطيور الدرج في اقطاعاته وأنه قدم الآلاف من الطواويس في مأدبة واحدة رفيعة المستوى. لكن أدلة قليلة توفرت على مر القرون العشرة الأولى الميلادية، لتثبت

وجود الطواويس في البلدان الأوروبية باستثناء قلة من الإشارات المستقاة من المخطوطات المرفقة بالرسومات، لكن الرهبان كانوا ينسخون من كتب تحوي نماذج عن الحيوانات، وقلدوا أيضاً المخطوطات التي كان يتم إحضارها إلى أديرتهم من أمكنة بعيدة. في القرن الخامس أو السادس، صورت أوائل اللوحات الكنسية في انجيل Rabula Gospels، والتي رسمت في شمالي العراق، العديد من الطيور بما في ذلك الدجاج الحبشي والبط وحجل الشوكار والطواويس.

احتل الساكسونيون معظم أراضي بريطانيا في القرنين الخامس والسادس، وتم العثور على عظام طاووس في ثيتفورد وهو موقع يعود لأواخر العهد الساكسوني ولا يعرف تاريخه بالضبط، لذلك من الممكن أن بعض الطواويس كانت ما تزال تعيش في بريطانيا خلال تلك الفترة. ومن جهة أخرى، فقد احتفظ التجار البريطانيون بالعلاقات التجارية مع الشرق الأدنى والأقصى والهند وإفريقيا وقارة أوروبا. ويعود تاريخ استيراد الأطعمة، خصوصاً منها التوابل والزنجبيل من الهند وإفريقيا، إلى هذه الحقبة، بالإضافة إلى العقيق الأحمر من الهند وسيلان. وتمت المباشرة بالتجارة مع المناطق البيزنطية ومركزها القسطنطينية من بريطانيا في القرنين السادس والسابع. وظهرت صور إيضاحية لما قد يُعتبر طواويس في مخطوطات منذ حوالي سنة ٧٠٠، وظهرت الكلمة اللاتينية (الطاووس) بافو pavo في مفردات القرن الثامن مع ترجمتها (باوا) pauua.(٢٠)

كانت أناجيل لينديسفارن وكيلس من بين الأناجيل الأوربية الاولى،



صورة من نسيج بايو تابستري، تمت خياطته حوالي سنة ١٠٦٧-٧٠، وتظهر فيه الطواويس على سقف قصر الدوق ويليام في نورماندي.

وظهرت فيها بعض الطوواويس المرسومة بشكل سيئ. وفي كتاب كيلس Book of Kells الذي يعود للقرن الثامن الميلادي، تكرر رسم طيور شبيهة بالطوواويس مع الكأس والكرمة اللتين تشيران إلى موت المسيح ومن المرجح ان تكون طوواويس بما أنها كانت رمزاً للاستقامة وقيامة المسيح.

ربما أصبح الرومان جزءاً من الماضي البعيد، لكن يبدو أن عاداتهم في الطعام استمرت لدى النورمانديين. ففي فرنسا، ثم في إنكلترا بعد عام ١٠٦٦، ظهر الطاووس على أنه طبق رئيسي في الولائم. وتظهر الأدلة على اعتبار الطواويس طيوراً ملكية ذات قيمة عظيمة على نسيج بايو تابيستري[١]، حيث خيطت صور طواويس في الحواف العليا والسفلى على طول هذا النسيج. فالطائران اللذان فوق تمثال ويليام الفاتح المتوج هما طاووسان.

في القسم الخاص بمقاطعة اسكيس في كتاب يوم الحساب[٢] Domesday Book، ورد اسم شخص يدعى بيكوك (مرادفة لكلمة طاووس بالإنكليزية) كمواطن في كلوتشستر سنة ١٠٨٦. وفي البلد نفسه، في كوغشال، كان منزل تاجر صوف ثري يدعى منزل بايكوك. وربما يكون اسم بيكوك، في الأصل، لقباً لشخص له مشية مميزة أو شخص مغرور بطبعه إلى حد بعيد، وموِلع بالملابس الأنيقة. لكن هذا الاسم استُخدم فيما بعد كاسم شخصي ليس له أي دلالات.

وظهرت المزيد من الطيور المرسومة وفق المذهب الطبيعي في مخطوطات حوالي عام ١٠٠٠، بالإضافة إلى إنجيل، يرجح أنه كُتب في وينشستر، وقد احتوى لوحة كهنوتية تبدو فيها طواويس واضحة، حسنة الرسم بكل معنى

---

(١) نسيج طوله ٥٠ سم ويمتد ٧٠ متراً، من القماش المزخرف وتشرح رسوماته الأحداث التي قادت إلى الاحتلال النورماندي لانكلترا وكذلك أحداث الغزو نفسها وهو مكتوب باللغة اللاتينية ويوجد حالياً في متحف خاص في بايو في مقاطعة نورماندي بفرنسا.

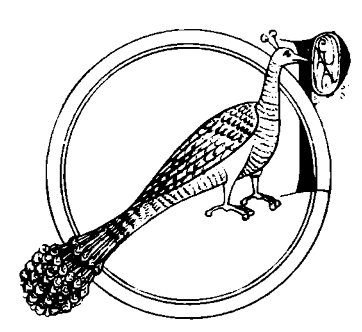
(٢) عبارة عن كتاب فيه أول مسح جغرافي للمدن والبلدات في إنجلترا . تم وضع الكتاب في عهد وليام الأول وبالإضافة للمسح، كان الكتاب عبارة عن كشف شامل عن العقارات والأملاك والأراضي في مملكته .تم الأمر بكتابته من قبل الملك وليام عام ١٠٨٥ م و تم الانتهاء منه عام ١٠٨٦ م ويعرف أيضا باسم (كتاب وينشستر).

الكلمة. يقول برونسدون ياب، وهو مرجع في الطيور في مخطوطات القرون الوسطى، أن الطواويس هي أكثر شيوعاً في المخطوطات الأوروبية، وأشار إلى ٣٢ كتاباً مزخرفاً من كتب الصلوات اليومية كان نصفها يحمل الطواويس، لكنها لم تكن موجودة سوى في ٧ كتب من بين ٣٥ كتاباً من كتب الصلوات اليومية الإنكليزية(٢١).

ويظهر طائرا طاووس مرسومان بشكل أفضل في Lovell Lectionary في المكتبة البريطانية، في حين أن الطاووس الأقرب إلى الطبيعة مرسوم في كتاب رسوم أدبية يملكه ساموبل بيبيز، كلا الكتابين يعودان لحوالي ١٤٠٠.

وصف فرانسيس كلينغندر، الذي كتب في Animals in Art and Thought to the End of the Middle Ages، واصفاً مصدر صور الحيوانات التي استخدمها الرهبان من أجل صورهم االمخطوطات التوضيحية بعد حوالي ١١٥٠:

لقد استخدم الرهبان نماذج النسيج الشرقية، كما كيّف الرسامون التوضيحيون لكتب الحيوانات نماذج من حيوانات «ناطقة» عايشت المهارات الصناعية في الشرق الأوسط منذ العصور السومرية التي اضطلع العرب بها ومن ثم نشروها غرباً بعد احتلالهم للإمبراطورية الساسانية (سلالة حاكمة فارسية، ٢٢٤-٦٣٦ م). وقد شكلت الطيور والحيوانات داخل الزخارف الدائرية، في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، مصدراً للأفكار الرئيسية، ليس فقط في الفن الزخرفي المحمدي من سيفيل إلى بغداد، ولكن أيضاً في الحرير البيزنطي. وبعد ذلك تحت تأثير بلاد فارس، اندمج هذان الأثران معاً أثناء الورشات الحرفية التي أقامها روجر الثاني الصقلي في باليرمو في عام ١١٤٧. ولم يكن من الضروري لمؤلفي كتب الحيوانات الموضحة بالرسومات أن يغادروا أديرتهم للبحث عن نماذجهم، فقد عرف عن الاديرة والكاتدرائيات المشهورة بسعيها إلى إغناء خزائنها بمثل تلك الأقمشة والعاجيات الشرقية الثمينة. حتى أن عظام القديس كوثبرت أعيدت إلى دورهام في تلك الحقبة ملفوفة في قطعة من الحرير المصري الذي يعود للقرن الحادي عشر، والتي لا تزال موجودة إلى



بافو الطاووس»، مبنية على مؤلفٍ على لسان الحيوانات من القرن الثاني عشر

اليوم، وتظهر عليها طواويس في أشكال دائرية ومشاهد صيد ونصوص قرآنية بالخط الكوفي. وتضمن جرد خزينة كاتدرائية القديس بولس الذي جرى في عام ١٢٩٥ وصفاً لقطع مشابهة كثيرة(٢٢).

نشط شعب الفايكنغ منذ القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر، وامتدَّ تحرّكه من الدائرة القطبية الشمالية إلى البحر الأسود، مما جعله قادراً على التقاط بعض من ثروة البيزنطيين؛ من خلال الطرق التجارية البرية للقسطنطينية التي تعبر بغداد إلى الخليج الفارسي وإلى مسافة أبعد شرقاً نحو طرق الحرير والتوابل. وربما يفسر هذا الطريق وجود ريش الطواويس في النرويج، فأثناء التنقيب في قبر أحد الفايكنغ في أوسلو، تم اكتشاف حزمة صغيرة من ريش الطاووس القزحي بين دروعه وأسلحته، وما يزال ذلك الريش يحتفظ بأناقته وكأنه وُضع هناك للتو.

كان استخدام الفسيفساء لزخرفة الأرضية والجدران والسقف لا يزال قائماً، لكن عندما يظهر طاووس في فسيفساء فهو بمعايير اليوم أمر يحمل دلالاتٍ مسيحية. ففي البندقية وبين عامي ١٢١٥-١٢١٨، رُتبت سلسلة من لوحاتِ الفسيفساء في ردهة كنيسة القديس مرقس على القبب والأسقف المقنطرة للحجرات، وهي تُظهر مشاهد من قصص العهد القديم منذ التكوين وحتى زمن النبي موسى؛ وتمثّل إحداها نوحاً وهو ينقل طاووساً إلى ظهر الفلك، في حين أن الأنثى كانت في الداخل وتنظر عبر المدخل، بينما تنتظر بقية الطيور بصبر دورها.



جزء من لوحة فسيفسائية من القرن الثالث عشر في مدخل كنيسة القديس مرقس في البندقية يظهر فيها نوح وهو يرفع طاووساً إلى داخل الفلك.

في لندن عام ١٢٥٣-٤ كان الطاووس يُمنح كجائزة للأفضل في اللعبة الشبابية (الركض والمرامحة). وفي رياضة المرامجة (المقارعة بالرماح)، يكون الهدف عبارة عن عمود لتوجيه الضربات إليه، ثبتت عليه قطعة دوارة بالعرض، لتضرب اللاعب غير البارع. وقد ارتبط الطاووس في هذا العهد بالفروسية وكافة شعائر ونشاطات الفرسان.

في القرن الثالث عشر، تم استحداث مهنة صانع التحف الريشية من ايطاليا إلى فرنسا، وكانت تدعى أيضاً «تشابيليار دي باونز» chappellier de paons أو «باونيارز paonniers»، نظراً لأن تلك الحرفة اعتمدت بصورة عامة على ريش الطاووش. وقد ازدهرت تلك التجارة لبعض الوقت. وشكل صناع تحف الريش نقابة نالت موافقة هنري الثالث، وتم التصديق عليها عام ١٥٧٩ ومرة أخرى في ١٥٩٣. أما المبتدئون فقد كانوا يعملون لأربع سنوات ثم يقومون بتقديم تحفة قبل أن يُجاز لهم بأن يصبحوا أرباب عمل، وقد كان لأعضاء النقابة فقط الحق في إنجاز كامل التحف الريشية الفنية. في أوائل القرن الرابع عشر، ظهرت الريشة للمرة الأولى كحلية في الخوذ والقبعات الرجالية في فرنسا وإنكلترا. لكن في البداية، لم تُستخدم سوى ريشة واحدة طويلة يتم تثبيتها

في القلنسوة بميدالية مرصعة بالجواهر أو دبوس زينة ذهبي. لكن بحلول نهاية القرن الخامس عشر، كانت الريشات تُستخدم بكثافة، فيتم جمعها بإحكام في رزم على الحواف والأجزاء العليا من القبعات المصنوعة من المخمل أو الجوخ لتشكل «قبعات طاووس» صارخة. أما في فرنسا فقد كانت تلك الريشات تُلبس في قبعات الصيد، حيث كانت تشكل اكليلاً من الريش فوق قبعة من فرو القندس، برباط يتم عقده تحت الذقن لتثبيت القبعة في مكانها. وقد كان لخوذة الرماية في تلك الحقبة اكليل مماثل من الريش المرصوف دائرياً بإحكام في حلقة معدنية فوق الواقية الوجهية. أما القبعات ذات الحواف العريضة المائلة فقد كانت تحمل ريشاً من ذيل الطاووس بأطوال كبيرة وفي ذلك العهد كان الرجال شديدي التأنق يلبسونها.



صورة: صورة للوحة محفورة في الخشب للفنان هانز برغكمير تعود لعام ١٥١٨، وهي تمثل ماكسيميليان الأول يمتطي صهوة حصانه. تمت صناعة الدرع في أينزبيرك للإمبراطور الألماني، «الفارس الأول في عصره» وريش الطاووس يزين الخوذة.

استُخدمت شعارات النبالة، التي بدأت برموز أحادية، على الرايات والدروع من أجل تمييز هوية حاملها في المعارك. وقد كانت هذه الشارة تمثل شخصاً أو عائلة أو سلالة حاكمة. وبحلول القرن الرابع عشر، أصبحت الشارات لغة تصويرية معقدة لها هيئاتها التنظيمية الخاصة (محاكم الفرسان) وقد استخدمتها العائلات النبيلة والمؤسسات والمدن والممالك. ويعتبر مبنى الكلية العسكرية الانكليزية أقدم المباني التي حملت أحد شعارات النبالة في العالم وقد أنشأه الملك هنري الخامس (الذي حكم منذ ١٤١٣-٢٢). لقد أصبحت ريشات الخوذ أو مجموعات الريش التي على أعلى الخوذ طرقاً مستقلة للتعرف على العائلات، موضحة غالباً كنية ما. في حين تبنى الأشخاص المدعوين «بيكوك» الطاووس في شعارات االنبالة الخاصة بهم. وورد في كتاب فيربيرن للشعارات، أنه لا تزال هناك مجموعة من عائلات «بيكوك» تستخدم صوراً لبعض الطواويس زرقاء كثيرة الزخرفة إلى حد ما(٢٣).

في إنكلترا، يرجح أن إشارات ولافتات الحانات قد أُخذت عن الرومان، حيث عُرفوا بامتلاكهم العديد من الإشارات التي تدل على أهل حرفة أو صناعة ما بما فيهم بائعو الخمر. كما استُخدمت أسلحة بعض مالكي الأراضي كرموز، فارتبطت بذلك شعارات النبالة بإشارات الحانات. أصبحت حانة الطاووس، في روزلي في ديربيشاير، الآن فندقاً أنيقاً ينتصب على سطحه طاووس حجري فوق الباب الأمامي. وأصبح هذا الفندق، المبني في سنة ١٦٥٢، مقصداً لسكان هادون هول المجاورة، مقر عائلة مانرز، التي حمل أفرادها لقب إيرل روتلاند، والذين اختاروا الطاووس شعاراً لهم.

أشار كلٌ من الشاعرين الإنكليزيين العظيمين من القرن الرابع عشر، ويليام لانغلاند (من حوالي ١٣٣٢-إلى حوالي ١٤٠٠) وجيفري تشوسر (من حوالي١٣٤٥-إلى ١٤٠٠) إلى الطواويس في قصائدهم. فقد استخدم ويليام في Vision of William concerning Piers the Plowman مقارنة تقليدية بين الطاووس والقبرة(٢٤).

As for hus peyntede pennes the pocok is honoured

More than for hus faire flesh other for hus murye note . . .
Thus the poet preiseth the pocok for hus federes،
And the riche for hus rentes othere rychesse in hus schoppe.
The lark، that is a lasse fowel، is louloker of lydene،
And swettur of sauour and swyfter of wynge.
To lowlyungemen the larke is resembled



الطاووس يُجل لريشه الملون أكثر من طعم لحمه العادي وصوته المرح..
ولهذا يقدر الشاعر الطاووس من أجل ريشه
ويقدره الأثرياء لما يعود عليهم من أرباح بسببه
والقبّرة تعتبر طائراً أقل شأناً على الرغم من صوتها الجميل
وطعمها الطيب ورشاقة جناحيها
فهي تشبه رجلاً بسيطاً



(يُعامل الطاووس باحترام نظراً لريشه الملون، أكثر مما يجَل نظراً للحمه معتدل الجودة أو صوته المرح. وهكذا، يمدح الشاعر الطاووس لريشه، ويقدره الأغنياء للدخل الذي يغدقه عليهم، وعلى الرغم أن طائر القبرة له صوت أجمل ومذاق أطيب، وجناحان أكثر رشاقة، إلا أنه يعتبر طائراً أقل شأناً ويرتبط بالرجل البسيط.)



أشار تشوسر إلى الطواويس وريشها في مناسبات عدة، مصوراً، في مقدمة عمله Canterbury Tales، إقطاعياً موسراً كان يرتدي معطفاً أخضر وقلنسوة، ويحمل حزمة من سهام الطاووس الحادة الزاهية والمثبتة بعناية تحت حزامه، حيث قال:



بعض شعارات النبالة الخاصة بالعائلات التي لقبها الطاووس أو بيكوك.

كان مرتدياً معطفاً وقلنسوة بلون أخضر؛
حاملاً حزمة من سهام الطاووس المشرقة القوية
مربوطة تحت حزامه بإحكام وثبات
وفي حكايات ريف Reeve،s Tale، تُعرَّف شخصية الطحان بأنها « مثل



طاووس من الحجر فوق المدخل الأمامي لفندق الطاووس، روزلي، ديربيشاير. يظهر الطاووس على شعار عائلة مانرز؛ كان الفندق هو المنزل الذي أقامت به العائلة سابقاً، ويعود تاريخه إلى ١٦٥٢.

أي طاووس فخور ومبتهج». وتدور أحداث قصيدة تشوسر Parlement of Foules حول الحب اللطيف، في حديقة بحضور الآلهة والعشاق والطيور. تحمل الطيور أسماء وأوصافاً، حيث ارتبطت بعض تلك الطيور بشخصياتها التقليدية، فعلى سبيل المثال، فإن عبارة (الطاووس بأجنحته الملائكية البراقة) قد استُخدمت لوقت طويل مترافقة مع الطاووس. وقد قام تشوسر بترتيب الطيور وفق الميزات كما كان ترتيب البشر المتبع في المجتمع الإقطاعي في ذلك العصر. فاحتلت الطيور المعرَّضة للافتراس المرتبة الأولى، ثم الطيور التي تتغذى على الديدان والبذور، أما طيور الماء فقد احتلت المرتبة الأخيرة. بينما جاء الطاووس في مرتبة متوسطة بين طيور القمرية وطيور الدرّج. وما يُثير الصدمة أنه على الرغم من روعة جمال ريش الطاووس ، فإنه يُعتَبَر مجرد طائر من سكان تلك الحظيرة. حتى أنه لا يستطيع أن يتحدى، ولو بمقدار ضئيل، المكانة الأهم للنسر كملك لعالم الطيور(٢٥).

وفي القرن الرابع عشر تمت الاشارة للمرة الأولى إلى استخدام ريش



تبدو في هذه الصورة ريشتان بلون بني ضارب الى الحمرة من جناح الطاووس الأزرق، والتي استُخدمت فيما مضى في ترييش السهام.

الطاووس من أجل ضبط حركة السهام. وقد قام كل من الفلاندريين والإنكليز بالانتفاع من ريش الطاووس جيداً في ترييش سهامهم. وبما أن على الريش أن يكون قوياً، فقد استُخدمَ ريش أجنحة الطاووس من أجل تلك الغاية. وذلك الريش، ذو اللون البني المائل للحمرة، قوي وغليظ القوام، على الرغم من أنه هش أيضاً، وهذا هو السبب وراء تفضيل ريش الإوز الأكثر قوة عليه. ونقرأ في the Wardrobe Accounts of Edward II في عام ١٣١١، السجل التالي: قيمة ترييش ١٢ سهماً للملك بريش الطاووس هي ١٢ بنساً).

لم يكن هناك سوى القليل من الفرص للفنانين الذين عملوا في رسم الطيور تحت رعاية رجال الدين، فقد سُمح لهم فقط برسم المشاهد المتعلقة بالكتاب المقدس واقتصرت الأحداث التوراتية الممكنة على التكوين، وآدم يقوم بتسمية الحيوانات، ودخول الفلك؛ والتي تم استخدامها بتعصب من قبل رسامي المخطوطات.

في حين قام الفنان الذي رسم انجيل أنجليان هولكهام الشرق بملء السماء فوق خالق مهيب بحشد عظيم من الطيور، ضم بومة وطاووساً وطيور أبو زريق وطيور عقعق وببغاوات وصقراً كان ينقض على بطة، على الرغم من أن تلك اللوحة كانت بالكاد حادثة ملائمة لمشهد التكوين. وكانت هذه الفصائل المتمايزة تقدماً هائلاً في مجال صور الطيور في المخطوطات الأولى.

تضمنت كراسة الرسومات، ذات الأصل الايطالي المرجح، والتي يملكها كاتب اليوميات ساموبل بيبيز والتي تعود لأواخر القرن الرابع عشر (والتي

هي الآن في المجموعة التي تخص ساموبل بيبيز في كلية ماغدلاين في جامعة كامبريدج)، العديد من الطيور المرسومة بألوانها الطبيعية والتي يبدو بعضها نابضاً بالحياة؛ وقد تم إرفاق بعض الكلمات التوضيحية التي تتضمن «الطاووس». إن هذا الطاووس البيبيسيني ممتع في إظهار ذيل الطائر في ارتصاف صحيح مع ريشات الذيل والجناحين.

زُودت مقاعد فرق الإنشاد (الكورس) في العديد من الكنائس، خلال القرن الرابع عشر، بمقاعد من خشب السنديان تزينها دعامات، والعديد من هذه النقوش تحت المقاعد كانت تماثيل طوواويس خشبية منحوتة بدقة وهي تعرض ذيولها عادة. استخدم أساتذة الأخلاق، في المؤلفات الرمزية عن الحيوانات، هيئة الطاووس الذي يعرض ذيله متباهياً ليحذروا من خطيئة الغرور. وقد يفسر هذه الطواويس ذات الذيول المرفوعة والمحفورة كدعامات في أبرشية نيو كوليج وأوكسفورد وكاتدرائية ويلز ودير وكاتدرائية دورهام وكارتميل. حيث يظهر طاووس يعرض ذيله في طمأنينة وهو يحمل كرسي الأسقف في هودنيت؛ في حين وُضعت مجموعة أخرى من الطواويس الإكليركية المحفورة التي تعود لتلك الفترة على حواف كنيسة في أدربيري في أوكسفوردشاير، وعلى باب في مالمزبيري بمقاطعة ويلتشاير، وعلى المنصات والمقاعد الأمامية في كنائس بريستول ونانتويتش، وعلى أطراف المنصات في كنيسة ستوغرسي في سومرسيت(٢٦).

في مأدبة تتويج الملك هنري الرابع عام ١٣٩٩، تكونت الوجبة الأولى من الإوز العراقي والديوك المسمنة وطيور الدرّج ومالك الحزين، تبعتها الطواويس وطيور الكركي والواق، ثم وجبة ثالثة من طيور البلشون والكروان والحجل والحمام والسماني والجهلول والعصافير الصغيرة. وقد تم تقديم تشكيلة مماثلة عند تنصيب أسقف ويلز، جون ستافورد، سنة ١٤٢٥. إلا أن وصفات الطهو في ذلك العهد كانت دقيقة واضحة حول تحضير الطاووس وتقديمه:

أحضر طاووساً، والوي عنقه واذبحه. ثم اسلخه واحرص أن تبقي الجلد والريش معاً، وابق الرأسَ متصلاً بجلد العنق واحتفظ بالجلد والريش

صحيحين معاً. ثم اسحب عظامه كما تفعل مع الدجاجة، وحافظ على الرقبة سليمة، ثم قم بشيّ الطائر، وضع عظم الرقبة على سيخٍ، كما لو أن الطاووس حي، وفوقها الساقين حتى الجسد، كما لو كان الطائر حياً. وعندما يشوى الطائر كفايةً، أبعده ودعه يبرد. ثم قم بتهوية الطائر باستخدام الريش والذيل ثم قدمه كما لو كان حياً، أو انتف لحمه بينما لا يزال جافاً، واشوه، وقدمه كما تقدم دجاجة(٢٧).

كان الطاووس يُحمل إلى المائدة، قرب نهاية المأدبة، بشكل شعائري، مكتسياً بريشه اللامع، ويقع شرف حمله على سيدة مميزة الأصل أو المنزلة أو الجمال، يتبعها موكب من السيدات اللاتي يتقدمن بخطوات متناغمة مع الموسيقا، حتى تضع السيدة الطائر أمام رب المأدبة. هناك لوحة من النحاس الأصفر لروبرت برونشي في كنيسة القديسة مارغريت، في كينغز لين، تظهر سيدة تحمل طاووساً إلى مأدبة، كما تظهر مخطوطة موضحة في مكتبة مورغان في نيويورك مشهداً مماثلاً.

أما إذا كانت المأدبة تتبع دورة مباريات في المبارزة، فإن الفارس الذي ربح البطولة هو من سيحمل الطاووس إلى المائدة ويقطعه، وتعتمد النذور التي تحل على الطاووس بعد ذلك على كمية النبيذ والجعة التي شربها الحضور؛ فيقسم فارس ما، واضعاً يده على الطائر، بالإقدام على مأثرة جريئة، مثل تثبيت راياته على جدران مدينة محاصرة، أو الدفاع عن شرف سيدته، أو أي شيء قد يخطر على باله، وربما يندم الفارس على ذلك القسم في اليوم التالي عندما يصحو من ثمله. وقد ورد ذكر هذه العادة في أدب ذلك العصر مراراً مما يُظهر أنها كانت شائعة فعلاً في القرنين الرابع عشر والخامس عشر.

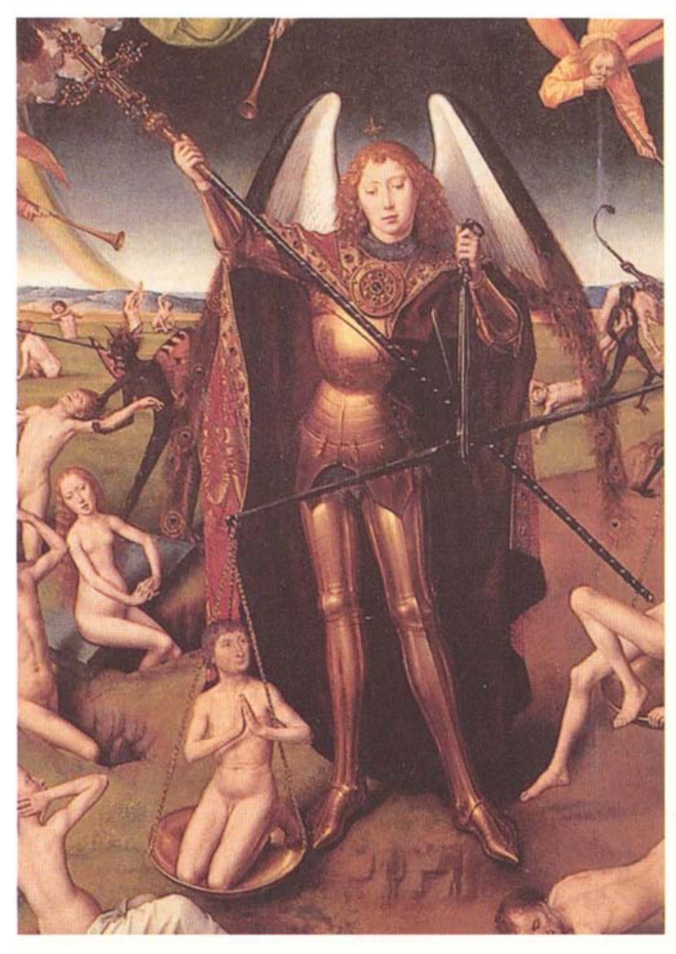
بقيتْ الطواويس تُقدم في الولائم في فرنسا، ولكن حدثت بعض التغييرات في زمن فرانسوا الأول (١٤٩٤-١٥٤٧). فأصبحت العادة أن يُقدَّم الطاووس على مآدب النبلاء، ليس بغرض أكله، بل لمشاهدته فقط. وقد كان الطائر يُسلخ، ويُتبل لحمه بسخاء، ثم تعاد تغطيته بالجلد. وقد وفر طاووس واحد محفوظ بهذه الطريقة عرضاً مترفاً على مر العديد من السنين، وكانت تُقدم إثارة إضافية

خاصة من أجل حفلات الزفاف، حيث يُحشى منقار الطائر وحلقه بالقطن المشرب بالكافور، ثم يشعل القطن مباشرة قبل التقديم.

عام ١٤٢٠، أشار كتاب وكيل دوق غلوسستر، جون راسل Boke of Nurture، إلى أن الطاووس كان يحضًر في إنكلترا للولائم، بسلخه وسلقه وإضافة المواد الدهنية له، ثم غرز حبات كبش القرنفل فيه، قبل شيه مع لف قدميه لحفظهما من الاحتراق. وعندما ينضج كان الطائر يغطى ثانية بريشه ثم يدعَّم لكي يبدو كأنه يقف كما لو كان حياً. هكذا تم تقديمه في لوحة «طاووس في هاكيل ريالي»(٢٨).

في لندن وفي العشرينيات من القرن الرابع عشر، كانت هناك حانتان تحملان اسم (بيهين) أي أنثى الطاووس؛إحداهما «بوهن بلا آلدغيت»، والأخرى «بيهين ين بايشوبسغيتستريت»، ومن الغريب أنه في لندن تحل الإشارات المسجلة التي تتعلق بأنثى الطاووس «بيهين» قبل أي إشارة تتعلق بالطاووس الذكر أي «بيكوك»، على الرغم من أنه قد يكون هناك العديد من الإشارات غير المسجلة في لندن أو في مكان آخر في إنكلترا تسبق عشرينيات القرن الرابع عشر. وفي العقد الأول من القرن الخامس عشر، تم تسجيل حانتين أخريين في لندن تحملان اسمي طاووس، حانة (بيهين) في عام ١٥١٩ وأول حانة دُعيت «بيكوك» بالقرب من أنجل في دائرة كلركويل في عام ١٥٦٤. كما أن حانة الطاووس «بيكوك» ما تزال موجودة اليوم في الطريق الذي دُعي لاحقاً بيكوك هاي ستريت في إيزلنغتون(٢٩).

ابتدع الفنان الإيطالي بيسانيللو (حوالي ١٣٩٥-١٤٥٥) رسومات طيور نيقة فاتنة ومشاهد صيد صوّرها بعين ثاقبة حساسة للتفاصيل الطبيعية؛ وقام بتضمين الطواويس في لوحته Annunciation أي عيد البشارة (التي هي الآن في البندقية، أكاديميا)، ولوحة Archangel Gabriel في بادوا، ولوحة Vision of St Eustaceفي المتحف الوطني بلندن. وبحلول نهاية القرن الرابع عشر، بدأ فنانون عصر النهضة العظام في إيطاليا وأوروبا الشمالية يرسمون بالألوان الزيتية على لوحات خشبية بشكل أساسي، واتَّبع البعض منهم تقليد



جزء من اللوحة المركزية للقديس ميخائيل في لوحة ثلاثية زيتية لهانز ميلمنغ (يوم الحساب The Last Judgement، ١٤٦٧-٧١.

تزويد الملائكة في لوحاتهم بريش أجنحة الطيور، ويمكن رؤية الأجنحة المؤلفة من ريش ذيل الطاووس في اللوحة الثلاثية (المرسومة على ثلاثة ألواح منفصلة) للفنان الهولندي هانز ميملينغ والتي أنجزها في عام ١٤٧٣ حول يوم الحساب Last Judgement (وهي الآن في جيدانسك). ففي القسم الأيسر من

اللوحة الثلاثية، تملك بعض الملائكة ريشات طاووس لها بقع تشبه الأعين في أجنحتها. وفي اللوحة المتوسطة، يقف رئيس الملائكة ميخائيل في المنتصف وهو يزن أرواح الأموات. ويرتدي الملاك المحارب درعه سلاحه، وفوق السلاح زوج من الأجنحة الضخمة، لها نهايات منتشرة وهي، بوضوح، ريش ذيل طاووس ذو عُيينات. كان ميلمينغ تلميذاً لروجر فان دير ويدين، الذي تم كشف النقاب عن لوحة مركزية مماثلة له حول يوم الحساب Last Judgement في بيوني سنة ١٤٥١، وهي تُظهر أيضاً ميخائيل بزوج من الأجنحة ذات ريش ذيل الطاووس. وفي فلورنسا، رسم الفنان الإيطالي فرانسيسكو بوتشيني، حوالي عام ١٤٧٠، Tobias and Three Archangels، بطريقة مزج الألوان مع مواد أخرى (أوفيزي، فلورنسا)، حيث يملك الملاكان الخارجيان أجنحة ذات ريش عادي أخضر وأحمر اللون على التتالي، أما الملاك الرئيسي الذي يمسك توبياس بيده فله جناحا طاووس.

كما أن طاووساً رُسم في لوحة رافاييل Creation of the Animals، وفي لوحات كلٍّ من كراناش وأنطونيلا دا ميسينا عن St Jerome in his Study، وقام الفنان كارلو كريفيللي بتضمين طاووس في لوحته Annunciation with St Emidius ليعبر عن القيامة، وهذه اللوحة الآن في المتحف الوطني بلندن.

ظهرت الطواويس في أواخر القرن الخامس عشر على الخزف الإيطالي التي كان يُصنع في فاينزا، ربما كاطراء لكاساندرا بافون، (المرادف الإيطالي لكلمة لطاووس)، والتي كانت عشيقة غالكوتو مانفريدو، لورد فاينزا، وعلى الطواويس التي زينت متنزه فيسكونتي في بافيا، والمرسومة في لوحة Visconti Hours المحفوظة الآن في المكتبة الوطنية في فلورنسا.

توجد العديد من صور الحدائق المتقنة التي تحوي أشجاراً وأسيجة من الشجيرات والمروج ومساكب الزهر، حيث تطوف الطواويس بحرية ويجلس الناس للتمتع بالمنظر، في المخطوطات الأخيرة المرسومة في هولندا وبلجيكا، في أواخر القرن الخامس عشر.

واستمر تدفق الرسومات الرائعة لعصر النهضة في أوائل القرن الرابع عشر، وخاصة رسومات الايطاليين تينتورتو (١٥١٨-١٥٩٤) وعائلة باسانو، جاكوب وابنه ليوناردو.كان تينتورتو يبتهج برسم المواضيع التقليدية، بما فيها Origin of the Milky Way (المتحف القومي بلندن)، حيث أشار بوضوح إلى جونو من خلال وجود طاووسها. كما ظهر طاووس آخر في لوحته Lazarus and Dives، وهي الآن في فيينا، كإشارة إلى الرجل الغني الذي يرتدي ملابس زاهية.

في القرن الخامس عشر، توقف إنتاج المخطوطات المرسومة والمؤلفات التي تتحدث عن الحيوانات والمزامير واللوحات الكنسية وكتب الصلوات. ومع بدء عهد الطباعة بالاعتماد على الكليشيهات الخشبية، أوشك عهد كتب التاريخ الطبيعي الموضّحة على أن يحل محل المخطوطات. وقد تم نشر ثلاثة كتب عن التاريخ الطبيعي للحيوانات بالرسومات التوضيحية في القرن الخامس عشر، وهي LHistoire de la nature des oyseaux، للكاتب الفرنسي بيير بيلون عام ١٥٥٥؛ وHistoriae animalium للكاتب السويسري كونراد جيسنر في الأعوام ١٥٥١-١٥٥٨؛ و Ornithologiae hoc est de avibus historiae للكاتب الإيطالي يوليسي ألدروفاندي في الأعوام ١٥٩٩-١٦٠٣. إن لتاريخ الطيور لبيلون ١٤٤ كليشيه خشبية، وعلى الرغم من أن أفكاره تحاكي المؤلفين التقليديين، خاصة أرسطو، فقد حاول أن يصنف الطيور بناءً على دراسته في علم التشريح، ويظهر طاووسه الأزرق وهو يعرض ذيله. كان جينسر أول مؤلف يكتب وصفاً شاملاً لجميع أنواع الحيوانات المعروفة مع الإشارة إلى المصادر الأساسية ومؤلفي القرون الوسطى والبيانات المعاصرة بالترتيب الأبجدي. وهناك ٢٢٢ كليشيه خشبية للطيور في المجلدات الثلاثة من كتاب Historiae animalium، بعضها من مصادر أكثر قدماً، والأخرى تم تصميمها من أجل هذا الكتاب لترافق النص اللاتيني. توقع جيسنر بأن المطبوعات الخشبية سوف تفتن «محبي الفنون جميعاً، والأطباء، والرسامين، والصاغة، والنحاتين... ومطرزي الحرير، والصيادين والطباخين،

ليس لمجرد التسلية السائغة، بل من أجل الفائدة الخدمية والعملية». وبمعنى آخر، فإنه سيكون كتاباً نموذجياً من التصاميم. لقد كان كتاب جيسنر شائعاً إلى أقصى حد، نظراً للمرات العيدة التي أعيد طبعه فيها. كان آلدروفاندي قادراً على أن يضيف للمعلومات التي قدمها بيلون وجيسنر وذلك بتكوين مجموعة كبيرة من القطع الجلدية والصور الزيتية التي يصنع منها فنانوه وصانعو الكليشيهات الخشبية صوراً توضيحية بخطوط عريضة، وتُعد الصور الثلاث للطواويس من بين الأفضل بين ٦٨٥ صورة توضيحية في المجلدات الثلاثة من مؤلفه Ornithologiae. لقد أدرج الكتّاب الثلاثة صوراً مماثلة للطاووس الأزرق، الذكر رافعاً ذيله ورأسه متجها إلى اليمين؛ وقدم آلدروفاندي صور طواويس خضراء للمرة الأولى.

اعتبرت مروحة الريش من الأشياء الضرورية لإنهاء تبرج سيدة ما منذ عام ١٥٦٠ حتى ١٦١٠، وقد حظيت ريشات الطاووس ذات الأعين بالأفضلية، وكان لهذه الإكسسوارات المهمة الشائعة قبضات عاجية. واستمرت أفضلية مراوح الريش إلى أن تم إدخال المراوح الشرقية القابلة للطي إلى أوروبا عن طريق إسبانيا في أواخر القرن السابع عشر.

كانت الطواويس مألوفة بالنسبة إلى الإسبان في القرن السادس عشر وتثبت رقصة البافان ذلك، وهي رقصة بطيئة تحمل اسماً مشتقاً من الكلمة الإسبانية «بافو» والتي تعني الطاووس. وأصبحت الطوايس شائعة في باقي البلدان الأوربية على مدى القرنين السادس عشر والسابع عشر. فقد صُممت موسيقا تلك الرقصة، بحركات رباعية، لتناسب حركة أقدام الراقصين المصممة بعناية كما لو أنها مشية الطاووس المتبخترة، ويقوم الراقصون بالدوران أمام بعضهم بحركة تشبه ذيل الطاووس وكذلك يقلدون الطريقة التي يدور فيها طاووسان متنافسان حول بعضهما.

وبمعزل عن تلك الأمثلة القليلة عن الطواويس في الأدب والفن، هناك بعض الأدلة الأخرى على الاهتمام بها في القرن السادس عشر. فقد ازدهرت التجارة بريش النعام منذ عصر النهضة ، وحلّت النعامة محل الطاووس فيما

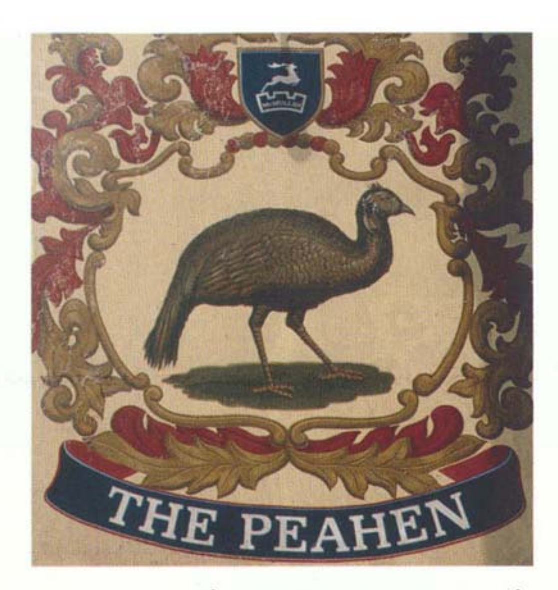
Ordo quintus.

LATINE Pauo.
ITALICE Pauon, Pauone, Pagone.
GALLICE Paon.
GERMAN. Pfaw. Saxonicè Pagelûn.



طاووس أزرق يعرض ذيله في كليشيه خشبية ملونة يدوية من كتاب Historiae animalium (زيوريخ، ١٥٥٥) لكونراد جينسر. وتتمتع الصورة التوضيحية لبيلون بوضعية مماثلة، لكن باتجاه معاكس.

لافتة عصرية لحانة في شارع ألبانز، هيرتفوردشاير، تحمل صورة أنثى طاووس، مع زخارف رمزية أكثر قدماً.



يتعلق بالأهداف التزيينية. وعلى الرغم من أن الرجال استمروا في ارتداء الريش في قبعاتهم حتى نهاية عهد الملك جيمس الثاني (١٦٨٩)، إلا أن الريش لم يُستخدم، خلال القرن التالي، في حرفة تصميم القبعات النسائية.

في عام ١٥٧٠ تم إدخال الديك الرومي إلى بريطانيا وحل محلّ الطاووس في الولائم. فلا بد أن الديوك الرومية قد بدت لذيذة المذاق ووافرة اللحم بشكل مدهش بالمقارنة بلحم الطاووس القاسي. وأصبح الطاووس الآن غرضاً للزينة في الأعداد المتزايدة للممتلكات الريفية يُقصد باقتنائه تجميل الحدائق، كما أطلق سراح بعض الطواويس من حظائرها حوالي ذلك الوقت.

نُشر كتاب Ornithologia libri tres لجون راي وفرانسيس ويلوغبي في لندن عام ١٦٧٦. وكتب روي في مقدمة البحث المنهجي الأول عن الطيور والذي نشر في بريطانيا: «لقد كان هدفنا الرئيسي هو توضيح تاريخ الطيور»، والذي شكل أساس علم الطيور في بريطانيا وتضمن كتاب Ornithologia نقوشاً غير ملونة لطواويس زرقاء. حيث رسم فرانسيس بارلو (حوالي ١٦٢٦-

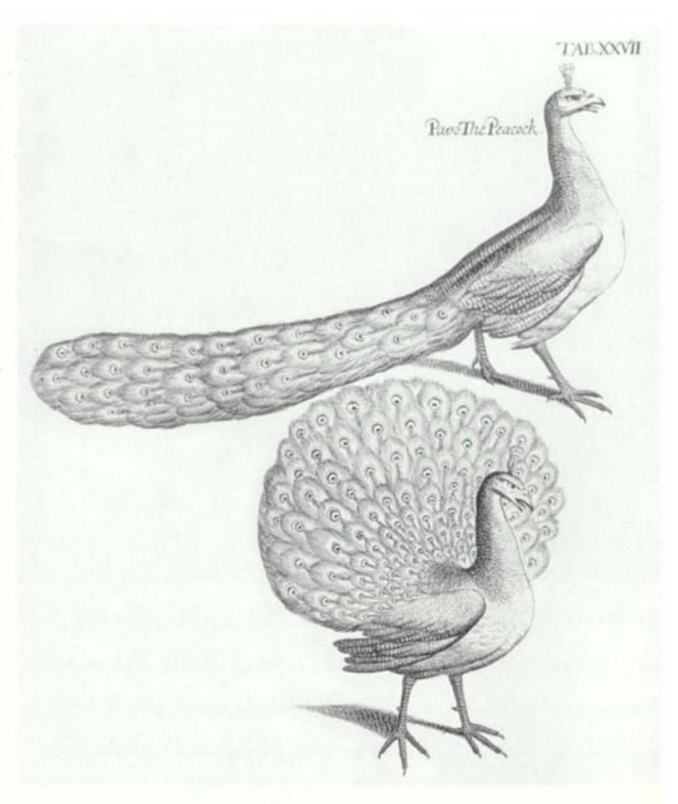


يبدو غلام ريفي وهو يضع ريشة طاووس في قبعته في جزء من لوحة بيتر بروغيل الزيتية (زفاف ريفي) Peasant Wedding، حوالي عام ١٥٦٧.

١٧٠٤) الأسماك والطيور وحفر مطبوعات عنها في الوقت نفسه الذي كان فيه جون راي ينشر كتبه. بدت رسومات بارلو أكثر قرباً إلى الواقع بكثير، على الرغم من أنه كان لدى الحرفيين الذين عملوا معه ومع راي نماذج حية لينقلوا عنها من مجموعة طيور تشارلي الثاني في متنزه القديس جيمس. وعلى الأرجح أن لوحة بارلو التي ضمت طائر شبنم ودرّج ونعامة وطاووس وأنثاه قد رسمت بالاعتماد على الرسوم التخطيطية لما في أقفاص الطيور الخاصة بالملك. وضع بارلو الطواويس في محيط غريب، مثل العديد من رسومات الفنانين الألمان في القرن السابع عشر.

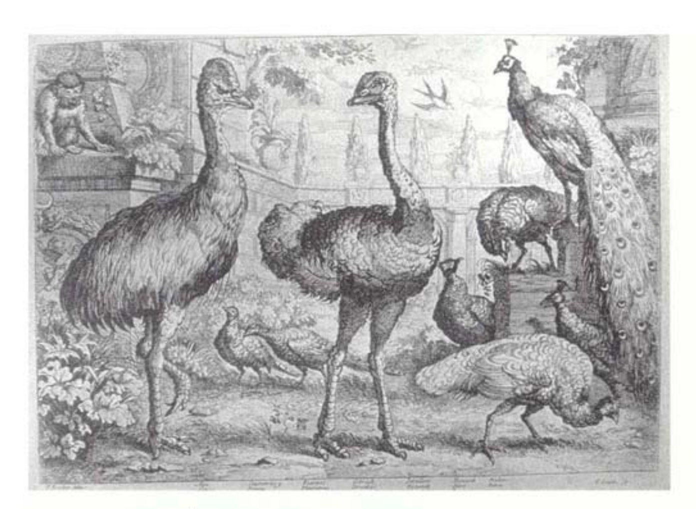
رسم ريمبراندت في عام ١٦٣٩ إحدى أروع لوحات الطاووس القماشية، ونادراً ما رسم ريمبراندت الطيور ولكن لوحته Still Life with Two Dead Peacocks and a Girl، التي رسمها حوالي ١٦٣٩، كانت إنجازاً رائداً في رسم الريش. وليس معروفاً من أين حصل ريمبراندت على الطائر (ومن المحتمل أن النوع نفسه قد رُسم مرتين) أو لماذا اختار رسم الطائر بوصفه موضوعاً ساكناً. وبعد ذلك بقليل، رسم بعض الفنانين الألمان والفلمنكيين لوحات طبيعية ساكنة عن الطيور. وقد كان الفنان الألماني ميلتشوير دهونديكويتر (١٦٣٦-١٦٩٥) أفضل فنان رسم الطيور في العصر الذهبي للفن الألماني والفلمنكي،

هذه الصورة توضح نقوشاً لـ «الطاووس بافو» بينما يقف رافعاً ذيله، من كتاب Ornithologia libritres لجون راي وفرانسيس ويلوغبي، (١٦٧٦).



حيث صورت العديد من لوحاته الزيتية الكبيرة حدائق المقرات الريفية في مزيج من طيور الحظائر المفعمة بالحياة وأنواع من الطيور الأجنبية الغريبة، وقد رُسمت هذه الطيور برشاقة وجمال وعناية، لتعكس ذوق الرجال الأثرياء كثيري الأسفار، ممن استطاعوا أن يتحملوا نفقات الاحتفاظ بمجموعات من الطيور في أراضيهم. واحتلت الطواويس مرتبة الشرف في هذه اللوحات وعادة ما تظهر وهي تقف في مكان مرتفع أو تتبختر وهي تجر ذيولها على الأرض خلفها ليصبح بالإمكان رسمها بكل بهائها.

كانت حانة «بيكوك بروهاوس في وايت كروس ستريت» في لندن، بوابة



تمثل هذه الصورة لوحة فرانسيس بارلو Birds and Fowles (١٦٦٥)، حيث كان بارلو أول فنان إنكليزي يضع الطاووس في حديقة كخلفية للوحة.

كريبل في الفترة من (١٦٤٨-١٦٧٢)، مجرد واحدة من أعداد لا تحصى من الحانات التي حملت لافتات باسم بيكوك في لندن في القرن السابع عشر. إلا أن أحد مالكي الحانات التي تحمل اسم بيكوك كان أكثر إقداماً، فأضاف قصيدة قصيرة إلى اللافتة في عام ١٦٣٦ وهي:

برغم أن عيني أرغوس في ذيل الطاووس،
يمكن للرجل أن يشرب حتى يضعف بصره؛
لكن إن حافظ الرجل على لياقته،
فسيكون بصره أكثر صفاءً ونومه أعمق.

لم تُعلق اللافتات الرمزية التي تحمل صور طواويس في الشوارع من أجل الإعلان عن الحانات فحسب، بل كان يستخدمها أيضاً الخياطون وبائعو الكتب وصانعو الأحذية ذات السيقان الطويلة والعادية وتجار أقمشة الجوخ والكتان بالإضافة إلى صانعي الجعة(٣٠).

في القرن الثامن عشر، مرّ الطهاة في هولندا وإنكلترا بفترة قصيرة من الحنين لصنع فطائر الطاووس ثانيةً. وقام طباخ دوق بولتون، جون نوت، بتأليف كتاب The Cooks and Confectioners Dictionary، الذي نشر في عام



لوحة Peacock in a Garden Landscape، القماشية الزيتية للفنان ميلتشوير دو أونديكوتر (١٦٣٦-١٦٩٥)،

١٧٢٣؛ واحتوى الكتاب على اثنتين من وصفات طهي الطاووس، الأولى عن سلق الطاووس والثانية عن خبزه في فطيرة. تُطبق الوصفة الأولى بفرم لحم الطاووس ببراعة إلى قطع صغيرة جداً قبل إضافة الكثير من المكونات الأخرى التي تجعل من التعرف على لحم الطاووس عندما يتم سلقه مهمة صعبة.

في نهاية القرن الثامن عشر، كان اثنان من رسامي الطيور يعملان في بريطانيا في رسم لوحات قماشية متألقة بالألوان الزيتية، تملؤها الطيور المفعمة بالحياة ضمن مناظر طبيعية فسيحة. أحد هذين الفنانين كان الإنكليزي مارمادوك كرادوك (١٦٦٠-١٧١٧)، والآخر فقد كان بيتر كاستيلز (١٦٨٤-١٧٤٩) من أنتويرب لكنه أمضى أغلب أوقات حياته في إنكلترا. كان الاثنان يعملان لصالح زبائن دائمين من أصحاب الممتلكات الضخمة، وكانت لوحاتهما بمثابة رسائل تذكير لمالكيها برحلاتهم الرائعة في أوروبا. فقد كان الفنان بحاجة إلى راعٍ ملكي أو أرستقراطي، يمتلك معرضاً لأنواع غريبة من الكائنات لرسم لوحات قماشية مفعمة بالحيوية مع أنواع دخيلة ملونة من الطيور. وقد عرف

وصفتان لإعداد الطاووس، واحدة بسلقه، والأخرى بخبزه، من كتاب جون نوت، The Cook›s and Confectioner»s Dictionary (١٧٢٣).

45. To boil a Peacock.

FLEY off the Skin, but leave the Rump whole with the Pinions, then mince the Fleſh raw with ſome Beef-ſuet, ſeaſon with Salt, Pepper, Nutmeg, and ſavoury Herbs ſhred ſmall, and Yolks of Eggs raw; mingle with theſe ſome Marrow, the Bottoms of three Artichokes boil'd, Cheſnuts roaſted and blanch'd, and Skirrets boil'd pretty ſmall; then fill the Skin of the Peacock, and prick it up in the Back, ſet it to ſtew in a deep Diſh in ſome ſtrong Broth, White-wine, with Salt, large Mace, Marrow, Artichokes boil'd and quarter'd, Cheſnuts, Grapes, Barberries, Pears quarter'd, and ſome of the Meat made into Balls, cover it with another large Diſh; when it it ſtew'd enough, ſerve it up on carv'd Sippets, broth it, and garniſh with ſlices of Lemon, and Lemon-peel whole, run it over with beaten Butter, garniſh the Diſh with the Yolks of hard Eggs, Cheſnuts, and large Mace.

46. To bake a Peacock in a Pye.

BONE your Peacock, parboil it, and lard it with large Lardons of Bacon; then ſeaſon it with Salt, Pepper and Nutmeg, of each two Ounces and a half; when your Pye is ready, lay ſome Butter in the Bottom, with ſome Cloves beaten; then lay in your Peacock, and the reſt of the ſeaſoning upon it, lay good ſtore of Butter, cloſe it, baſte it with Saffron-water, and when it is bak'd and cold, fill it with clarified Butter.

جاكوب بوغداني (١٦٦٠-١٧٢٤) طيور الببغاء ودجاج الماء الملون عن قرب عندما قام بالرسم في حديقة حيوان الأدميرال جورج تشرشيل. وكمثال على عمل بوغداني، الذي يركز على الطاووس الأزرق ويشتمل على تشكيلة من طواويس بيضاء وأخرى مرقطة. حيث كانت تلك الرسومات تبدو كأنها حقيقية وواقعية لما تبدو عليه الطواويس، بدون أي معانٍ أخلاقية أو دينية، فقد كان فن القرن الثامن عشر خالياً من الرمزية المبالغ بها. وبرغم ذلك، فإن الآراء المتحاملة على الطواويس تواصلت، بينما نبّه ويليام كوبر قرّاءه حين ألقى بنظره مستمتعاً بمنظر هذا الطائر في قصيدته (الحقيقة) Truth (١٧٨١، ١,٥٨):

هذه الصورة تظهر تفاصيل من عملية خبز فطيرة الطاووس من كليشيه خشبية لجان لافكين (١٦٤٩-١٧١٢)



انظر إلى الطائر الذي يمتدح نفسه، انظر إلى الطاووس-
انتبه كم هو مراءٍ كبير.

وتم تصدير هذا التحيز إلى أمريكا مع المؤسسين الأوائل وقد ظهر ذلك بشكل غير متوقع عندما ألَّفَ جورج واشنطن كتابه «Rules of Civility» في عام ١٧٥٤. حيث تنص القاعدة رقم ٥٤ من قوانين الكياسة، التي يتحدث عنها هذا الكتاب، على: «لا تمثل دور الطاووس، متلفتاً في كل مكان حولك، لترى إذا كان لباسك حسناً.» وأظهرت لوحة لجونيوس بروتوس ستيرنز Washington and the Indians(رُسمت عام ١٨٤٧) واشنطن في



صورة توضح تفاصيل مروحة ريش طاووس متقنة الصنع وهي تظهر في لوحة إنغريس الزيتية La Grande Odalisque، ١٨١٤.

مهمة مع قادة حلف آيروكويز في لوغزتاون، على نهر أوهايو في عام ١٧٥٣، وتبدو فيها إحدى النساء الهنديات وهي ترتدي رداء من الريش بلا كمّين، ضُمَّ فيه ريش ذيل الطاووس معاً. اكتشف الباحثون الأميركيون أن ريش الطاووس كان يُسوّق بين الحين والآخر في ثلاثينيات القرن الثامن عشر إلى بعض المناطق الهندية مثل ساوك وميسكواكيز(٣١). وكما هو الحال غالباً، سبق الريش الطواويس الحية في توسع وجودها غرباً.

ربطت بين الملك جورج الثالث الذي خسر المستعمرات الأميركية وبين الطاووس علاقة عابرة غريبة. وبينما كان الملك يتعافى من إحدى نوبات مرضه، قرر وزراؤه أنه كان أهلاً بما يكفي لإلقاء خطاب. كان الملك معتاداً على التحدث بسرعة كبيرة وبكلام غير مفهوم، ولذلك فقد اقترحوا أن يقوم بهمس كلمة «طاووس» في نهاية كل جملة، من أجل جعله يتمهل قليلاً، حتى وإن لم يتمكنوا من جعله ينطق

بوضوح، وبالفعل فقد جعله ذلك يبطئ، لكن ما كان المعنى الذي أدركه الناس من هذا الأمر ولماذا اختار الوزراء كلمة «طاووس»، فهذا غير مسجّل.

في فرنسا وإنكلترا، في الثمانينيات من القرن السابع عشر، عادت موضة ارتداء ريش الطاووس في القبعات إلى الحياة، لكن مع بعض الاختلاف ففي هذه المرة، كان الريش يزين قبعات النساء لا الرجال. وكانت ماري أنطوانيت السبّاقة في نشر هذه الموضة، بوضع ريش طاووس وريش نعامة في تسريحة شعرها ذات مساء. وقد أطرى زوجها لويس الرابع عشر على تلك التسريحة، وهكذا ولدت هذه الموضة الجديدة. وعلى الفور، قامت البلاطات الأوروبية الأخرى بتقليد النموذج الفرنسي وتصاعد الطلب على ريش الطاووس والنعام. فيما بعد، استمر ارتداء القبعات المزينة بريش الطاووس وأنواع الريش الأخرى، كزي نسائي، حتى نهاية عهد جورج الخامس في بريطانيا، حوالي عام ١٩٣٦. وظهر استخدام إضافي لريش الطاووس في أوروبا في القرن الثامن عشر، في شكل هواية لقضاء الوقت من خلال صنع لوحات من ريش الطاووس تُستخدم كستائر، وصور طيور واقعية تُعلق على الجدران.

ذكر ريتشارد بولكر في كتابه The Art of Angling(١٧٧٤) طعم الطاووس لأول مرة، لصيادي سمك السلمون بالتحديد، وقد دعي الطعم بهذا الاسم لأنه صُمم بجناح طعم السلمون المصنوع من ريش عنق أو ذيل الطاووس. يتم قص الجزء العلوي من ريشة الطاووس (التي تحوي شعيرات كثيرة) من الشعيرات الخضراء لريش الذيل المنمق، ومنذ ذلك الحين، استُخدمت الكثير من الأشكال المختلفة لهذا التصميم. إن الخاصية الخفيفة الرقيقة والوميض المتألق لريشة الطاووس تمنح الطعم مظهراً فطرياً. وأحد تلك الأشكال هو العنكبوت الأسود وعنكبوت الطاووس، وهي أنواع تقليدية من الطعوم الرطبة لسمك التروت (السلمون المرقط)، والتي توجد بكثرة في المياه الراكدة، وتوجد بأحجام أصغر على الأنهار المتدفقة بسرعة أكبر. في يومنا هذا، ما يزال ريش الطاووس يُستخدم بشكل واسع في الصيد، لصنع طعوم السلمون والتروت. يتم استخدام الشعيرات لبناء جسم أو صدر الطعم الصناعي. أما عراق ريش

الطاووس فيُستخدم لصنع عوامات من أجل الصيد بكميات كبيرة.

في نهاية القرن التاسع عشر، ظهرت حملة تنادي بحظر استخدام ريش الطاووس في تصميم القبعات النسائية، وامتدت لفترة طويلة. وشجبت الحملة ارتداء ريش الطيور لأن العديد منها، خصوصاً طيور البلشون البيضاء، كانت قد قُتلت من أجل إرضاء الطلب المتزايد على ريشها. وقد نشأت هذه الاحتجاجات على كلا جانبي المحيط الأطلسي. وفي إحدى مجلات الطيور الأميركية The Auk، تم نشر قائمة مبيعات كاملة خاصة بإحدى المؤسسات في لندن، والتي تضمنت ١٦٠٠٠ صندوق ورزمة من حزم ريش طائر العقاب النسارية والطواويس وطيور الآرغوس وطيور الدرّج الأخرى، الخ. بالإضافة إلى عدة آلاف من الحصائر وأغطية المصابيح اليدويةhandscreen . وقد تابع التقرير: «كانت المتاجرة بالطيور المستَخدمة لتزيين القبعات النسائية شنيعة جداً في العام الماضي بحيث اعترف أحد تجار لندن بأنه قام ببيع ٢,٠٠٠,٠٠٠ من الطيور الصغيرة من كل صنف ولون(٣٢)». كما أكد تشارلز بيبي، حين كتب من وحي تجربة انتهاء المتاجرة بريش الطواويس في الهند، حوالي ١٩٢٠:

كانت المتاجرة بجلود الطواويس وذيولها هائلة حتى وقت قريب. فقد قام تاجر واحد باستيراد ٧٠,٠٠٠ رزمة من ريش الطاووس ذي الأعين إلى بريطانيا في أسبوع واحد فقط. ويتم تصدير معظم كمية الريش التي تُجمع في الهند، على الرغم من وجود صناعة واسعة عبر الساحل الغربي الجنوبي، حيث يُستخدم الريش لتزيين أغطية المصابيح اليدوية والمراوح والحصائر المصنوعة من عشبة الكاسكاس(٣٣).

أحدثت جمعية اودوبون الوطنية الأمريكية في عام ١٨٨٦ وجمعية حماية الطيور في بريطانيا في عام ١٨٩١، مما شجع كثيراً على التصميم على انهاء هذه التجارة؛ وتطلب تطبيق التشريعات التي تمنع مثل هذا الاستيراد المفرط عقوداً، ويعتبر الريش الذي تم طرحه بشكل طبيعي من ذيل الطاووس جزءاً من تجارة ريش الطواويس، وساهمت قرارات منع استيراد البضائع غير الضرورية خلال الحرب العالمية الثانية وعقبها في انتهاء المتاجرة بجميع أنواع الريش. إلا أن رياضة

الرماية ازدهرت في إنكلترا سنة ١٨٤٤، مما تسبب بوضع بعض الضغوطات على تجارة ريش الطاووس.

كان الاهتمام بالطواويس شديداً في الفترة الأولى من انتشارها في الغرب، إلا أن هذا الاهتمام تضاءل بشكل ملحوظ بين ١٦٠٠ والفترة العصيبة التالية والتي وقعت في نهاية القرن التاسع عشر؛ عندما تبنى الفنانون من الحرفيين والحركات الحرفية والحركة الجمالية والفن الحديث الطاووس في تصاميمهم. طوال هذه العقود، كانت الطواويس تحفظ في أقفاص و ترسل في رحلات طويلة إلى الغرب، حيث يتم الاحتفاظ بها في الأسر، أو في وضع شبه داجن بمجرد وصولها الى وجهتها، لكنها نادراً ما تأقلمت في تلك المناطق أو استوطنتها. ولم تنجح سوى أعداد قليلة من هذه الطيور في توطيد نفسها والتمتع بحياة مستقلة. فقد كان الناس يقومون بإيقاع الطواويس التي تتجول بحرية في شرك ويقتلونها ويأكلونها، وربما يكون أولئك الناس قد ضاق صدرهم ذرعاً بتلك الطيور ولم يعد بإمكانهم أن يحتملوا صرخاتها الخشنة وعاداتها المتلفة للحدائق، حيث أن العناية بالحديقة ستفشل تماماً عند إدخال مجموعة صغيرة من الطواويس الزرقاء إليها. حيث أن الطاووس لم يستحق عبثاً شهرة امتلاكه لريش ملاك وصوت شيطان وأرجل يخجل بها تماماً.

على الأرض اليوم ملايين من الطيور المحلية، تنحدر جميعاً من نوع غالوس غالوس، أو طيور الأدغال المشابهة في آسيا الشرقية. وفي الوقت ذاته، توزعت هذه الطيور في الوقت نفسه وعبر الطرق ذاتها التي توزعت عبرها الطواويس الزرقاء وإلى المناطق نفسها، بدءاً من شمالي الهند. تكاثرت الطيور المحلية مكونة مجموعة هائلة من الأشكال، كنتيجة لقرون من التهجين إما من أجل اللحم أو البيض أو الريش الفاخر. وطوال ٣٠٠٠ عام، توزع الطاووس الأزرق أيضاً بثبات من الهند وسريلانكا حتى مسافة أبعد إلى الغرب، إلا أنه احتفظ بسلامته النوعية ولم يكن قط داجناً تماماً. وما نراه في يومنا هذا عندما نعجب بالطاووس الأزرق هو على الأغلب ما رآه الملك سليمان وقدره كثيراً.

دخول السفينة.



صورة للكليشيه الخشبية الصغيرة لتوماس بيوي تظهر فيها امرأة تلبس ريشة طاووس في قبعتها.

هوامش

١ ليس هناك أي دليل على أن الطواويس أدخلت إلى مصر في هذا الزمن، على الرغم من أن العديد من الكتاب يؤكدون حدوث ذلك. فالبحث الدقيق الذي قامت به المؤلفة في أعداد لا تحصى من النصوص والرسومات من المقابر المصرية والأبنية الأخرى، لم يسفر إلا عن نتائج سلبية. وقد تم التأكد من عدم وجود هذا الدليل من قبل باتريك .ف.هوليهان، في The Birds of Ancient Egypt (القاهرة، ١٩٨٨)، والذي لم يتضمن الطاووس، بالإضافة إلى مقالته في مجلة مصر القديمة Ancient Egypt Magazine، ٤،٣ (كانون الأول ٢٠٠٣–كانون الثاني ٢٠٠٤). أما أقدم دليل تم إيجاده فيعود إلى مصر البطليموسية. كما يؤكد هذا أنتيرو تاميستو، Birds in Mosaics (روما، ١٩٩٤)، صفحة ٢٧٠. بطليموس الأول (٢٨٣–٣٢٣ قبل الميلاد)؛ بطليموس الثاني (٢٤٦–٢٨٥ قبل الميلاد، الذي حكم في البداية بالتعاون مع والده).

٢ الكتاب المقدس، سفر أخبار الأيام الثاني ٨،١٨، ٩،٢١؛ ١ سفر الملوك الأول ٢٢،٤٨.

٣ لقد حصلت العديد من الطيور خطأ على صفة guinea، guinienis (دجاج الحبش)، فكلمة

غوينا في أسمائها قد أعطيت لها من العلماء الذين تلقوا الجلود من السفن القادمة من غوينا، غرب إفريقيا. إلا أن هذه الطيور كانت أنواعاً آسيوية تم أخذها إلى غوينا ثم نُقلت على السفن الأوروبية التي تنقل المواد التجارية لمسافات لا تتجاوز موانئ ساحل غوينا. وبالمثل، فقد كان بإمكان السفن الطرسوسية التي تتاجر جنوباً إلى أوفير، أن تجمع الطواويس من وادي السند أولاً، وفي رحلة العودة من الساحل الإفريقي الشرقي، أثناء الوقوف في موانئ جنوب اليمن.

٤ دافيد رول، The Lost Testament. from Eden to Exile: the Five-Thousand Year History of the People of the Bible (لندن، ٢٠٠٢)، صفحة ٣٧١-٥.

٥ الكتاب المقدس، سفر الملوك الاول ٢٢:٤٨؛ سفر أيوب ٣٩:١٣.

٦ فريدريك .إي.زيونر، A History of Domesticated Animals(لندن، ١٩٦٣)، صفحة ٤٥٦. لم تعط أية مراجع لهذه العبارة.

٧ اعتلى داريوس الثالث عرش الطاووس في بابل عام ٣٣٦ قبل الميلاد.

٨ تي بي غاردنر، Peafowl: Their Conservation. Breeding andManagement (دراسة، ١٩٩٦)، صفحة ٢.

٩ جورج جنيسون، Animals for Show and Pleasure in Ancient Rome (مانشستر، ١٩٣٧)، صفحة ١٦. كتب انتيفانيس في وقت ما بين ٣٣٦ و٤٠٠ قبل الميلاد.

١٠ أريستوفانيس، Birds(٤١٤ قبل الميلاد)، ١١,١٠٢,٢٦٩.

١١ فيكتور هين، The Wanderings of Plants and Animals from their First Home (لندن، ١٨٨٥)، صفحة ٢٦٤-٦.

١٢ جيرالد دوريل، Beasts in my Bed (غلاسكو، ١٩٧٣)، صفحة ١٨٥.

١٣ أرسطو، The Works of Aristotle Translated into English، المجلد الرابع: Historia animalium (أوكسفورد، ١٩١٠)، الكتاب السادس، ٥٦٤ بي.

١٤ جيه آر إس.فيليبز، TheMedieval Expansion of Europe (أوكسفورد، ١٩٩٨)، صفحة ٣.

١٥ أوليفر غولدسميث، A History of the Earth and Animated Nature (لندن وإدنبرغ، ١٧٧٤)، المجلد الرابع، صفحة ٦٠، مقتطفات عن بليني سيكانداس (٢٣-٧٠ بعد الميلاد).

١٦ جينيسون، Animals for Show and Pleasure in Ancient Rome، صفحة ١٠٩.

١٧ ماركوس فاليريوس مارتيال، Epigrams. xxx، ٧٠.

١٨ هين، Wanderings of Plants and Animals، صفحة ٢٦٨. كان لوتشيان (حوالي ١١٥-٢٠٠ بعد الميلاد) كاتب حوارات هجائية في أثينا.

١٩ كلاوديوس آيليان،On the Characters of Animals (كامبريدج، ماساشوستس، ١٩٥٨)، الكتاب الخامس، ٢١، صفحة ٣١٣-١٥.

٢٠ هنري سويت، The Oldest English Texts (لندن، ١٨٨٥)، صفحة ٨٥، رقم.١٥٠٥، pavo: pauua؛ صفحة ٥٨٨، pawa, peacock.

٢١ برانسدون باب،Birds in Medieval Manuscripts (نيويورك ولندن، ١٩٨١)، صفحة ٢٠. كتاب الرسائل في جامعة ترينيتي، كامبريدج، ماساشوستس. بي.١٠,٤ (جيمس ٢١٥)، اف ٩ ر.

٢٢ فرانسيس كلينغندر، Animals in Art and Thought to the End of theMiddle Ages (لندن، ١٨٧١؛ الطبعة الجديدة ١٩٧١)، صفحة ٣٩٠.

٢٣ Fairbairn's Book of Crests (ادنبرغ، ١٩٠٢)، المجلد الأول، صفحة ٤٣٥.

٢٤ المصدر الأساسي لهذه المقارنة، بواسطة بورفيري، بلاتو، سقراط، سولومون وأرسطو، هو Physiologus، نص نُسب فيما مضى إلى إيبفانيوس.

٢٥ جيفري تشوسر، CompleteWorks (لندن، ١٩١٢، أعيدت طباعته في ١٩٦٩)، Reeve's Tale، السطر السادس؛ برولوج، السطر ١٠٤؛ Parlement of Foules، السطر ٣٥٦.

٢٦ جي.ال.ريمنانت، A Catalogue of Misericords in Great Britain(لندن، ١٩٦٩).

٢٧ توجد تفاصيل هذه المأدبة في المكتبة البريطانية، هارلي ٤٠١٦. تم اقتباسها من بيتر بريرز A Taste of History: ١٠,٠٠٠ Years of Food in Britain (لندن، ١٩٩٣)، صفحة ١٢٥.

٢٨ فريدريك جيه فورنيفال، Early English Meals and Manners (لندن، ١٨٦٨)، صفحة ١٠٣، تم اقتباسها من Book of Nurture لجون راسل

٢٩ برايان ليليوايت، London Signs (لندن، ١٩٧٢)، صفحة ٤٠٢-٤٠٤.

٣٠ المرجع السابق، صفحة ٤٠٣.

٣١ سارة بويهمي وإيما إل. هانسن، «الرداء بلا أكمام واللوحة التجريبية الملونة: إن نوعاً محدداً من التلوين يبدد سرّ أصل الأردية الريشية النادرة بلا أكمام. Points West (ربيع ١٩٩٧).

٣٢ The Auk، ٥ (١٩٨٨)، صفحة ٣٣٤-٥.

٣٣ سي. دبليو. بيب، A Monograph of the Pheasants (لندن ١٩١٨ -٢٢) المجلد الثالث، الصفحة ٢٥١.

5- الطاووس الأخضر في الشرق

يتفق جميع المؤلفين الذين كتبوا عن الطاووس الأخضر، بافو ماتيكاس، على أنه أكثر رقة من النوع الأزرق بكثير، فهو أقلّ تكاثر بكثير، كما أنه أكثر خجلاً، حيث يتجنب مساكن البشر حتى ولو كان محمياً فيها. وأيضاً ينتقد كثيرون لينوس بسبب الاختيار غير الموفق لاسم هذا النوع سنة ١٧٦٦، فلا يمكن أن يلقب هذا الطائر بالخرس أو الصمت فصوته أقل حدة بقليل من صوت الطاووس الأزرق. وعلى الرغم من أن الطاووس الأخضر شبيه بدنياً بالطاووس الأزرق، إلا أنَّ له شخصية مختلفة تماماً. فالطاووس الأزرق طائر اجتماعي، يعيش ضمن مجموعة من أربعة عشر أو خمسة عشر طائراً أو أكثر؛ بينما يتواجد الطاووس الأخضر في عائلة مؤلفة من ثلاثة إلى أربعة أفراد. كما ويغادر الطاووس الأزرق الغابات وينضم إلى البشر في قراهم، ويمكن أن نجده بأعداد هائلة بالقرب من المعابد الهندوسية. أما الطاووس الأخضر فيعيش عميقاً في الغابة حيث أنه قليل الاحتمال للبشر. تعيش ذكور الطواويس الزرقاء بسلام معاً، وبرغم أنها تتقاتل في موسم التزاوج، إلا أن أحدها لا يقتل الآخر في شجار، كما أنها لا تقتل أيضاً الطيور الأصغر حجماً. لكن الطاووس الأخضر مستعد للتصارع مع ذكر آخر حتى الموت، كما أنه لن يتوانى عن مهاجمة الطيور الأصغر حجماً وقتلها، بل ومهاجمة البشر أيضاً. إلى حد ما، لن يصاب طفل تائه بالقرب من طاووس أزرق بمكروه، إلا أن الوالدين الحكيمين سيبعدان طفلهما تماماً عن طاووس أخضر. يعني هذا السلوك غير الاجتماعي بأن الطاووس الأخضر لا يُرى عادة حتى في مواطنه الطبيعية، فلا يُعرف عنه سوى القليل ولم يُكتب عنه سوى القليل القليل. لم يقم البورميون بتدجين الحيوانات البرية ولم يحاولوا، مع الشعوب التي شاركت الطواويس الخضراء في بيئتها المحلية، أن يقوموا بتدجين تلك الطواويس. في الغرب، حيث تكون الطواويس الخضراء في الأقفاص، يتم الاحتفاظ بالذكور منفصلةً، وهذا هو السبب وراء عدم تواجد

أنثى الطاووس الأخضر إلا بأعداد قليلة جداً في أوروبا أوأميركا.

إن التوزع الطبيعي للطاووس الأخضر منتشر على نحو واسع، وتتواجد تلك الطيور، في الوقت الحاضر، متفرقة في كل موقع. هناك ثلاث سلالات أو أنواع فرعية للطاووس الأخضر، تعيش في مناطق متفرقة واضحة المعالم، وهي الطاووس الجاوي والطاووس الصيني الهندي والطاووس البورمي الأخضر. تختلف السلالتان الأوليتان فقط في كثافة اللون الأخضر لكل منهما، وفي بعض الصفات البسيطة الأخرى، في حين ريش الطاووس البورمي أشد زرقة وأكثر قتامة، كما أن في ظهره لوناً أسود أكثر ولوناً ذهبياً أقل.

واليوم، يقتصر توزع الطاووس الأخضر الجاوي (بافو ماتيكاس ماتيكاس Pavo muticus muticus) على جزيرة جاوا، على الرغم من أنه وُجد في السابق في تايلاند وشبه جزيرة مالاي. ويحمي القانون الطاووس الأخضر في جاوا، لكن هذا لم يحل دون اصطياده بإسراف من أجل لحمه وريش ذيله الذي يُستخدام في الرقصات المحلية. إنه لأمر مثبط للعزيمة ومنذر بالخطر على حد سواء أن تفقد هذه السلالات الكثير من مناطقها وأن يقتصر تواجدها إلى حد كبير على جزيرة جاوا الصغيرة.

لدى سكان جاوا اعتقاد راسخ بالألفة بين النمور والطواويس، وهم يزعمون أن الطاووس يحب أن يتغذى على الديدان المعوية لضحايا النمر بعد أن يكون النمر قد تخلى عن فريسته. كما أن في جاوا وبورما على حد سواء، اعتقاد منتشر بأنه من الخطر جداً ترك الصغار على مقربة من الطاووس، حيث أن تلك الطيور مولعة بابتلاع الأحجار الكريمة، وستضللها عيون الأولاد بحيث ستسعى إلى نقرها(١). لا يظهر الطاووس الأخضر بشكل واسع في الفن الجاوي الذي يُعنى بصور بوذا في الدرجة الأولى. قد توجد مبخرة أو تمثال برونزي بشكل طاووس في بعض المعابد، إلا أن الطاووس هناك لا يرتبط ببوذا بأي صيغة.

حين كان الطاووس الأخضر موجوداً في مالاي، كان يسمى ميراك، وهو لقب يماثل صيحته ويصف صيحة الطاووس الحادة، إلا أن للطائر صيحة

أخرى، خافتة ومع ذلك فهي نافذة، ولهذه الصيحة مقاطع عدة. يُعتبر الطاووس في مقاطعات مالاي طائراً نجساً، لذا فإن المسلمين لا يأكلونه، لأنهم يعتقدون أنه قاد الأفعى إلى شجرة المعرفة في جنة عدن وبسبب ذلك لحقت به اللعنة الأبدية. أما شعوب مالايا التي تتبع ديانات أخرى فقد كانت تأكل بسرور لحم الطواويس الصغيرة لأنها اعتبرته لذيذاً، في حين أن لحوم الذكور البالغة قاسية بشكل لا يصدق(٢).

وفي عام ١٩٤٩، أطلق الفرنسي جين ديلاكور (١٨٩٠-١٩٨٥)، على الطاووس الأخضر الصيني الهندي اسم بافو ماتيكاس الامبراطور Pavo muticus imperator. قاد ديلاكور سبع بعثات إلى الهند الصينية (وهي الآن فييتنام ولاوس وكمبوديا) بين الحربين العالميتين، قضاها يجمع جلود الطيور والعينات الحية، والتي كان بعضها غير معروف للعلماء من قبل. وأدرك ديلاكور أن الطاووس الهندي الصيني يختلف في اللون بشكل كبير عن الطاووس الأخضر في جاوا وبورما ليبرر استحداث سلالة منفصلة من بافو ماتيكوس(٣). وانتشرت هذه السلالة قديماً في بورما الشرقية وأقصى جنوب يانان وتايلاند ولاوس وفييتنام. إلا أن هذه السلالة تصبح نادرة شيئاً فشيئاً في فييتنام، أما ما بقي في تايلاند من طيور قابلة للاستمرار فهي محمية في محمية الحياة البرية هواي خا. وقد تم بذل الكثير من الجهود في السنوات القليلة الماضية في تايلاند من أجل محاولة الحفاظ على آخر مواطنها الرئيسية واستيراد الطيور البرية إليها. وفي إندونيسيا، موّلت الجمعية العالمية لطيور الذيال دراسة تجريبية لإلقاء الضوء على أفضل الشروط اللازمة من أجل الحفاظ عليها(٤).

إن أفضل مكان لرؤية الطواويس في الفن التايّ (التايلاندي) هو معابد تيرافادا البوذية أو ما يسمى بـ(وات wats)، فقد تم صُنع نقش طاووس خشبي جدير بالملاحظة من أجل إفريز مكتبة تيل في مجمّع وات فرا ثات هاريبونتشاي في لامفان، وهي بلدة قديمة في شمال تايلاند. وهناك نقش آخر محفور على لوح يعلو مدخل وات فان تو في تشيانغ ماي، من الواضح أنه مستوحى من الفن البورمي وهو فكرة شائعة في زخرفة المعابد، حيث كان الطاووس يمثل



صورة لوحة زيتية
لأراكي كامبو
(١٨٣١-١٩١٥)
تُظهر طاووساً أخضر
يفر بعجلة

طائر الثُّمار البورمي. ونظراً لغزارة الغابات عبر تايلاند بأكملها، ظهر فن النقش المعماري على الخشب كحرفة رئيسية قديماً في تاريخ مملكة سيام. وكانت المعابد التايلاندية تسقف بالخشب غالباًما يترك مجالاً واسعاً لفنان الحفر على الخشب لابتداع الأشكال الأثيرة، البشرية والخيالية على حد سواء(٥). ومن بين آلهة

الهندوس في الفن التايلاندي، يتم تصوير سكانداكومارا، إله حرب له اثنا عشر ذراعاً، وهو يمتطي ظهر طاووس أخضر. ويشبه كاراتيكيا، إله الحرب في الهند، الذي يمتطي ظهر طاووس أزرق.

كان ريش الطاووس يُدخر خصيصاً من أجل أغطية الرأس، وما يزال رجال فيتنام الجنوبية يضعون ريش طاووس في شعرهم. فقد كان الفيتناميون يعتبرون الطواويس رموزاً للسلام والازدهار. ويندر هذا الطائر في فيتنام شيئاً فشيئاً بسبب نقص أراضي بيئته الطبيعية، ولكن له الآن مكانته الوطنية المحمية(٦).

لكن مأزق الطاووس الأخضر البورمي أشد سوءاً حيث أن بافو ماتيكاس سبيسفاير Pavo muticus spicifer، الذي أطلق عليه شو ونودار هذا الاسم في عام ١٨٠٤، قد وُجد فيما مضى في آسام وشمال شرق الهند وجنوباً عبر مانيبور وشيتاغونغ وتلال لوتشاي هيلز في بنغلاديش، وأيضاً في ميانمار الغربية وإلى الشرق من نهر إيراوادي. إلا أنه انقرض الآن ضمن الكثير من ذلك النطاق. توحي المعلومات الحديثة بأن هذا الطاووس يتشبث بآسام، وبأجزاء من غربي بورما، ولكن في الحقيقة فإن الطاووس البورمي الأخضرلم يعد موجوداً في بورما بعد الآن. وكما هي الحال في المناطق الأخرى، تُعتبر خسارة الموطن والصيد الجائر مسؤولين عن هذا الانحطاط. إن الدليل على المتاجرة بريش الطاووس موجود في بورما في القرن الثامن عشر بعد الميلاد، حين كان نهر ميكونغ يُستخدم كطريق عام إلى الشمال.

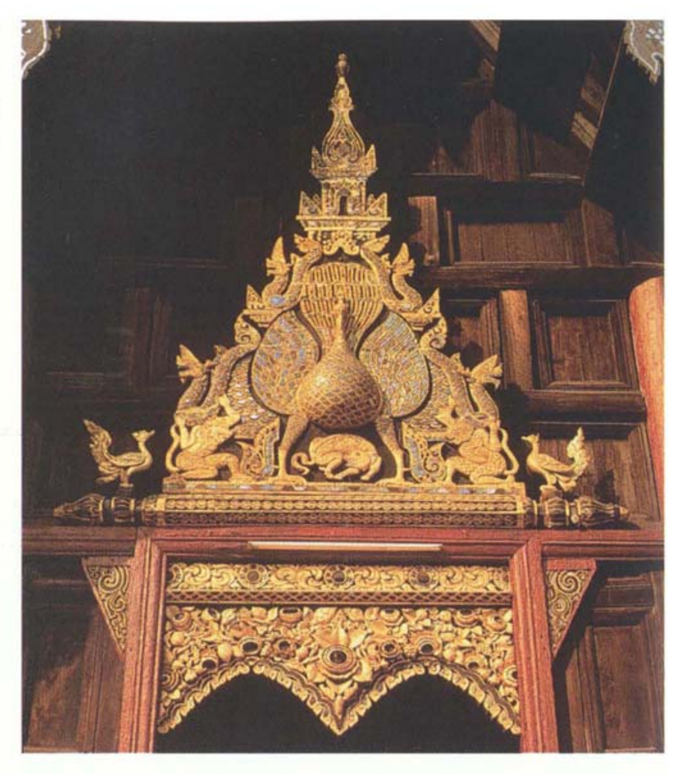
وجدت في بورما في عام ١٧٥٢ سلالة حاكمة جديدة وهي سلالة كونباونغ، التي اتخذت من الطاووس كرمز لها. وحملت الزوارق الملكية و زوارق الكانو الحربية المموهة، التي يسيّرها ٤٠ إلى ٦٠ رجلاً مستخدمين المجاديف المموهة، راية بشعار الطاووس الخاص بكونباونغ. كما يحمل العرش وأثاث قاعة الجمهور الملكية طواويس وأرانب رمزية كزينة داخلية، تمثل الشمس والقمر. في مكان آخر، يمثل الرمز فكرة فنية رئيسية يتم إنجازها فوق مداخل الأبنية، خاصة تلك المبنية خلال هذه العهد، ١٧٥٢-١٨٨٥. وعندما كان البريطانيون في بورما



أنثى طاووس
جاوي أخضر

منذ ١٨٨٦ وحتى ١٩٤٨، حملت راية ذلك الشعب صورة صغيرة لطاووس رافع ذيله. وفي عهد الاستعمار، اشتهر النقش على الأصداف كمنتج جانبي لصنّاعة استخراج اللآلئ؛ حيث يمكن إيجاد صور لطواويس أو أشخاص أو مناظر طبيعية إما مرسومة أو منقوشة أو مطبوعة في داخل الصدفة باستخدام التصاميم البورمية التقليدية.

إنّ التقاليد القديمة تستمر. لعلّ الطواويس تختفي في هذا العصر، ولكن تبقى ذكرى تلك الطيور من خلال حرفة مزدهرة تقوم على الأعمال الورقية. فمع أنّ هذه الأعمال تُنتج بشكل رئيسي من أجل سوق السياح، إلا أنّ البورميين يستمتعون بالأوريغامي ويتعاملون معها بجدية أكبر. ففي المناسبات الخاصة، وكفعل خيّر، يختار واهبٌ ما أشياء على شكل طاووس أو زهرة، بين بقية الأشياء الطبيعية، لتقدمتها إلى معبد أو دير كقرابين للآلهة؛ لعل تلك الآلهة تحفظ ما تبقى من أعداد ضئيلة من الطواويس الخضراء، في حال تبقى شيء منها.

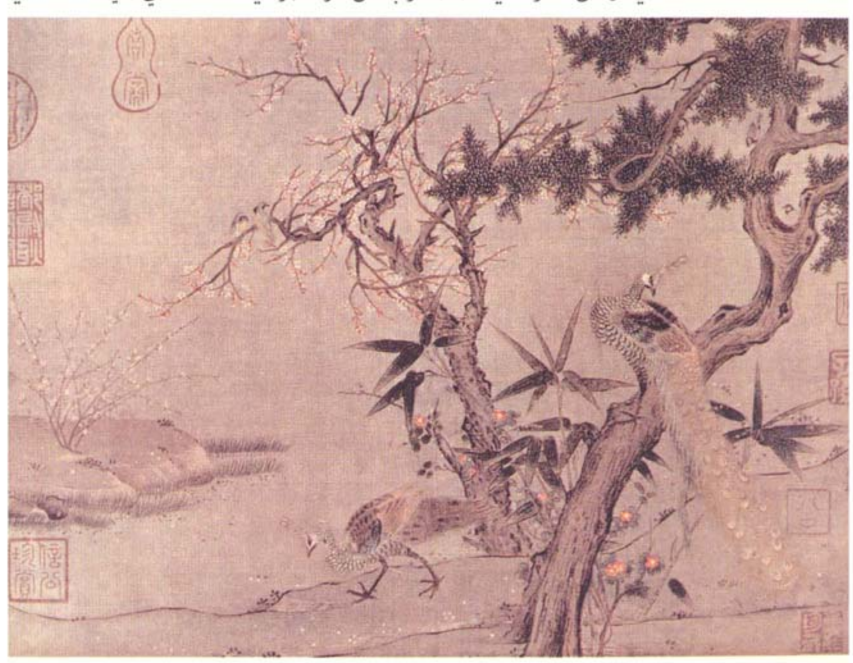


طاووس خشبي منقوش على لوح أعلى المدخل في وات فان تو، تشيانغ ماي، تايلاند.

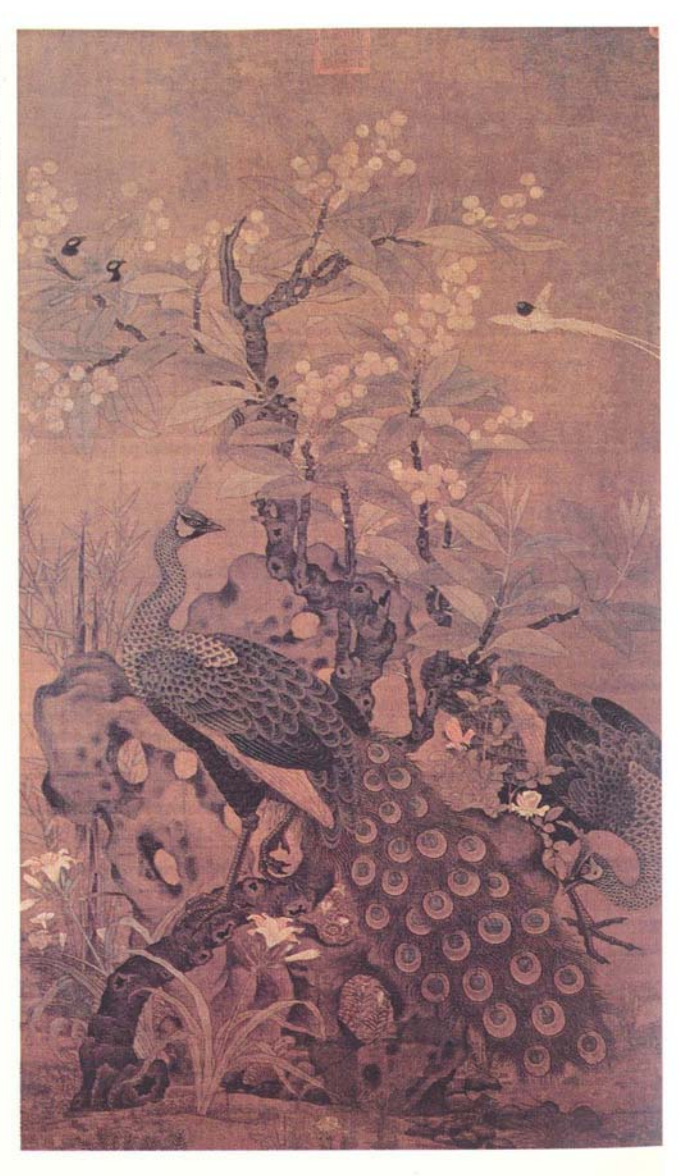
لطالما تمتع الطاووس الأخضر بالشهرة في الصين واليابان حيث تم استيراده من الهند الصينية ومالاي وجاوا، ومن جميع أنحاء المجال المذكور سابقاً والذي جاءت منه السلالات الثلاث. إن معظم الفن الشرقي المستوحى من الطاووس، الذي نعرفه في الغرب، هو صيني أو ياباني في الأصل. كما أن الرسومات والصور التي تُظهر الطواويس مع الزهور والمناظر الطبيعية قد أصبحت مألوفة بالنسبة لنا حين كان يتم استيرادها في القرن التاسع عشر. وتعود تلك الصور للطاووس الأخضر، على الرغم من أن الكثيرين في الغرب يفترضون أن هذا الطائر هو الطاووس الأزرق.

تتواجد الطواويس الخضراء من نوع بافو ماتيكاس الامبراطور Pavo muticus imperator بشكل طبيعي في عدد من المناطق في يونان على حدود بورما ولاوس، إلا أن أعدادها في تدهور. وتوجد في جينغهونغ، وهي بلدة صينية على حدود بورما ولاوس، أسواق مفتوحة حيث يمكن بيع المراوح المصنوعة من ريش الطاووس الأخضر. ويؤخذ الريش من الطواويس التي تقطن غابات جينغهونغ. أما إكسيشوانغ بانا، وهي ولاية شبه استوائية في جنوب الصين بالقرب من الحدود مع لاوس وميانمار، فتُعرف في الصين بوصفها «موطن الطاووس». ويستطيع الزوار شراء ريش ذيل الطاووس التي يأمل المرء بأنها قد سقطت بشكل طبيعي. إن برامج تربية الطواويس الأسيرة هي حالياً ماضية قدماً في ريف لونغلينغ في غرب مقاطعة يانان، ويتم حفظ طواويس أخرى في أراض منفردة في غابة بالقرب من كوينغهوا في مقاطعة دالي باي المستقلة في

رسم على الحرير يعود لعهد كوي باي (من السلالة الشمالية الحاكمة، ٩٦٠- ١١٢٧ بعد الميلاد)، Peacock and Fruit Tree.



رسم على الحرير مجهول المصدر من عهد سلالة سونغ الشمالية الحاكمة (٩٦٠-١١٢٧ بعد الميلاد)، Winter Plum and Peacock.



حديقة كانمينغ الخاصة بالحيوان في العاصمة.

قد نعتبر الطاووس الأخضر طائراً صينياً، إلا أنه يتواجد فقط في يونان، ولم تكن يونان صينية حتى قامت قبائل قوبلاي خان المغولية باجتياحها عام١٢٥٣ ومن ثم دمجها في مملكته. وعلى أي حال كان الطاووس الأزرق أو الأخضر أو الاثنان معاً معروفين في الصين ويحتفظ بهما في الأسر قبل عام ١٢٥٣. وفي ظل حكم سلالة تانغ (٦١٨-٩٠٧ بعد الميلاد)، تاجرت الصين مع العديد من البلدان المجاورة كاليابان وكوريا والتيبيت وكمبوديا وبورما وأثرت بها - وفتحت البحر والنهر والطرق البرية. كما صدرت الحرير واستوردت سلع الرفاهية. حيث حملت السفن مواد غريبة من المحيط الهندي إلى المدن الصينية، فمثلاً أخذت الفضّة من آنام، وهي الآن جزء من فييتنام، والأصباغ من إندونيسيا، والتوابل من بلاد فارس. كان الصينيون يقدرون الأشياء النادرة والجميلة والغريبة، وتندرج الطواويس بالتأكيد ضمن تلك الفئات. ويفسر النفوذ الصيني في البلاد التي تتواجد في براريها الطواويس الخضراء وجود الطيور الحية وريشها في الصين طوال قرون عديدة. لقد أصبح الطاووس الأخضر رمزاً للجمال والكرامة، وغالباً ما يتم رسم زوج من الطواويس مع شجرة الفاوانيا، رمز الربيع، أو الفاونيا التي تعبر عن الحب والجمال الأنثوي.

لقد أصبح الطاووس مألوفاً جداً في الصين لدرجة أنه اندمج في مجموعة الرموز الخاصة بالألهة الصينية. وحوالي نهاية الألفية الأولى قبل الميلاد، تكوّن إعجاب يشبه العبادة حول ملكة الغرب الأم الطاوية، حين تم تصويرها ممتطية طائر غرنوق (كركي) أبيض، وأحياناً طاووساً. أما متى تم استبدال الغرنوق بطاووس، فهذا أمر غير معروف، ولكن يُفترض أن هذا حدث بعد أن شاهد فنان ما طاووساً أو صورةً لطاووس للمرة الأولى. عاشت إكسي وانغ مو، ملكة الغرب الأم، في قصر ذهبي على قمة جبل كونلون، وهي قمة أسطورية في الغرب. وكانت الأسوار المحيطة بالقصر، على امتداد ٥٣٠ كم، متوجة بشرفات مفرَّجة (لإطلاق النار) مصنوعة من أحجار كريمة. وقد قامت خمس فتيات جنيات عذارى على خدمة الأم الملكة، التي اتخذت من سرب من الطيور الزرقاء

رسلا لها. كما تنمو ثمرات الخوخ في حدائقها، لكن تلك الثمرات استغرقت ٣٠٠٠ عام حتى تنمو، و ٣٠٠٠ عام أخرى حتى تنضج. وحين تنضج إحدى الثمرات، كانت تدعو إلى مأدبة احتفالية، وكانت تُجل كثيراً(٧).

إن الطائر الخرافي فانغوانغ أو فينغهوانغ، وهو طائر العنقاء الصيني الذي يظهر في الرسومات الصينية، يدين بالكثير من نسبه الأرستقراطي للطاووس. إن طائر فينغهوانغ ليس طائر عنقاء، على وجه الدقة، إنما هو مزيج بين اللقلق والطاووس والدُرّج. في الفن الصيني، يُعتبر كلٌ من التنين والعنقاء رموزاً للسعادة، وهما متممان لأحدهما الأخر. حيث تزين العنقاء البضائع الخزفية التي ظهرت في جميع الفترات باستثناء الفترة البدائية. ويُعد التنين رمزاً للإمبراطور، أما العنقاء فهي رمز للإمبراطورة.

يعشق الصينيون حكايات الجن، كما أن لديهم بعض القصص الساحرة التي تبرز فيها الطواويس كوسطاء يسعون إلى تحقيق نهاية سعيدة. تروي إحدى القصص كيف ظفر طاووس عادي هو أصغر طواويس الغابة بموهبة القوى السحرية، وذلك بفضل إيثاره، حتى أن ريشات ذيله توهجت وأشرقت بتألق لتبدو كنجوم منطلقة في السماء، حين كان هذا الطاووس يحلق فوق البلدات والقرى في موعد مهرجان الربيع. في الوقت الحاضر، وعندما يحين موعد مهرجان الربيع كل عام، يمكن رؤية الألوان الرائعة في ذيل الطاووس الصغير وهي تومض وتتراقص بين الألعاب النارية أثناء الاحتفالات الصيينة(٨). كما ساعد طاووس آخر فتاة البحر، ابنة التنين الملك، على إيجاد المفتاح الذهبي لتحرير مياه بحيرة عظيمة حتى ترتوي حقول قريتها الجافة(٩).

وتنسب ريشة الطاووس لكوان ين، إلهة الرحمة؛ وقد كان ريش الطاووس موضع تقدير بالغ لدى الإمبراطور ورعاياه. ففي القصر الصيفي في بكين هناك قاعة تُدعى قاعة الخير وطول العمر، بالقرب من العرش المصنوع من خشب الصندل المزخرف بتسعة تنانين، حيث يوجد عمودان طويلان يدعمان أوعية كبيرة وُضعت فيها كميات هائلة من ريش ذيل الطاووس بهدف خلق جو من الفخامة. كان هذا تقليداً قديم العهد عبر منطقة واسعة من الشرق يمكن تتبع

مصدره من اللوحات القديمة للمجالس والمحاكم التي تعرض مزهريات من ريش طاووس تحيط بعرش المغوليين في الهند من بين بقية الحكام الآخرين.

كان ريش الطاووس ذو العُيينات يُمنَح لكبار الموظفين كمكافأة للجدارة. كما كان الأباطرة الصينيون منذ سلالة مينغ الحاكمة (١٣٦٨-١٦٤٤) وما بعدها يضعون ريش الذيل على أولئك الذين يرغبون في تكريمهم. وقد قال بيبي: «على الرغم من أن هناك فكرة شائعة بأن ريش الطاووس يشير إلى المنصب أو الطبقة الاجتماعية، إلا أن الدرجات التسع لكبار الموظفين تتميز بلون الأزرار على قبعاتهم(١٠)». ومن ناحية أخرى فقد كان الطاووس يُستخدم كعلامة مميزة وحيدة تدل على المنزلة الاجتماعية وتوضع على الشارات بين موظفي الإمبراطور المدنيين. كما كانت الشارات، عادة بمساحة ٢٧,٥ سم مربع، تُخاط على ظهر وصدر رداء اللباس الرسمي لموظف الإمبراطور. ويحمل الجنود العسكريون شارات نُقش عليها صور حيوانات ثديية؛ كما يحمل الجنود



دبوس صيني مخرم، مع الجواهر وأحجار التركواز بالإضافة لطاووس ذهبي، حوالي ٩٦-١٧٣٦. من الضريح الملوكي إكسينغلونغ شانكسيانغ في مقاطعة كيلين، الصين.

المدنيون شارات تمثل صور طيور، فصورة المرتبة الأولى هي لطائر الكركي، والثانية لدُرّج ذهبي، أما الثالثة فهي لطاووس.

نال الخزف الصيني الرائع الإعجاب منذ تم استيراده لأول مرة إلى أوروبا في القرن السابع عشر. وقد أنتجت أفران الأتون الخزف الصيني في جنوبي الصين، في مقاطعة جيانكسي بالقرب من بلدة جينغديزهين، كميات هائلة من الخزف عالي الجودة، خاصة في عهد سلالة كينغ الحاكمة (١٦٤٤-١٩١١). وكانت الفترة الأكثر ازدهاراً لأعمال الخزف الصيني، في عهد الإمبراطور كانغكسي (١٦٦٢-١٧٢٢) نتيجة لبراعة الصينين الفائقة في تقنية خبز الخزف والطين المصفى والاستخدام الماهر لأزرق الكوبلات الداكن في الزخرفة. فقد أحدث أزرق الكوبلات تبايناً رائعاً مع الطبقة المتقنة من الجزء الأبيض النقي الناعم نصف الشفاف. ويبدو هذا التأثير المذهل في طبق كبير من حقبة كانكسي، مصنوع في الفترة من ١٧١٠ إلى ١٧١٢، وهو مزخرف بطواويس وزهور، كمثال فاتن عن عمل الخزافين الصينيين.

في أواخر القرن التاسع عشر، أعادت زوجة الإمبراطور الأرملة بناء قصر الإمبراطور الصيفي. وتم تجديد بناء قاعة الخير وطول العمر في سنة ١٨٩٠، وجُهزت بعرش طاووس متقن الصنع من خشب الصندل الأحمر محاط بمروحتين ضخمتين من ريش الطاووس. أنفقت تزوهسي (أو سي إكسي) أموالاً طائلة على الأبنية وامتلكت عدة عروش مرصعة بالجواهر، أسهمت تكلفتها في إفقار بلادها. وكثيراً ما كانت تطلب رسم صورتها وهي جالسة على أحد عروشها، خصوصاً في عامها الستين، حين كانت حاشية ثوبها الرسمي مطرزة برموز طول العمر.

عقب قرون، بعد أن أصبحت الطواويس الزرقاء طيوراً مألوفة تتبختر هنا وهناك في أفنية وحدائق أوروبا الغربية، كان الطاووس الأخضر ما يزال غير معروفٍ في الغرب. ومن سخرية القدر، أن الإشارة الوحيدة على وجود طاووس أخضر، أتت من البلد الوحيد البارز في الشرق الأقصى الذي لم يكن موطناً أصلياً للطاووس الأخضر، وهو اليابان. فقد ضمّن المؤلف الإيطالي أولسي



لوحة زيتية من القرن التاسع عشر تُظهر جمهوراً صينياً ملكياً حيث أدى كافة الموظفين السجود للإمبراطور كرمز لخضوعهم لمشيئته. وقد وضع كل موظف ريشة طاووس وزراً من الياقوت في قبعته.

آلدروفاندي نقوشاً خشبية لذكر وأنثى طاووس أخضر في المجلد الثاني من كتابه Ornithologiae، الذي صدر عام ١٦٠٠. كانت الرسوم التوضيحية مطبوعة من رسومات الطيور التي أرسلها إمبراطور اليابان إلى البابا انسونت التاسع (الذي حمل صفة البابا من تشرين الأول إلى كانون الأول من عام ١٥٩١)، من بين رسومات طيور أخرى «مأخوذة عن الحياة». وقد قال آلدروفاندي أنها أُرسلت إلى إيطاليا من «دي. قيصر فاكتشينيتو، ماركيز وسيناتور مدينتنا» الذي كان أيضاً سفيراً إلى اليابان. وقد عكست مطبوعة ذكر الطاووس الأزرق تعبيراته الوجهية الفريدة، وعرفه المؤّلف من الريش وسيقانه الطويلة، وأضيف إليها رسم لجرادة. وضمّن المؤلف أيضاً نقشاً للأنثى، وهي تشبه الذكر لكن بغياب الذيل الطويل، وأرفقت بسنبلة من القمح. ويبدو واضحاً أنه اعتقد أن للطاووس الأخضر (ذكراً وأنثى) عرفاً شبيهاً بكوز الذرة في الشكل والحجم. (وقد استخدم شو ونودار هذا الاستنتاج عام ١٨٠٤ عندما أطلقا على الطاووس



قبعة رسمية في البلاط الصيني ولها بزر من الياقوت وريشة طاووس.

شارة صينية للموظفين المدنيين من أجل المرتبة الثالثة، «طاووس».



طبق مزخرف بالطواويس
من الخزف الصيني
الأملس من حقبة سلالة
كانغسي (١٦٦٢-١٧٢٢).

الأخضر تسمية «الطاووس المسنبل، بافو سبيسيفاير»، سبايسا لكونها المرادف اللاتيني لسنبلة القمح.) قام عالما الطيور الفرنسيان بريسون عام ١٧٦٠، وبافون عام ١٧٧٠-٨٦ بمحاكاة الكليشيه الخشبية لألدروفاندي بسبب عدم توفر نماذج لإعطاء أمثلة عن هذا الطائر، كما قام ليناوس عام ١٧٦٦ بتسمية الطائر بناء على الرسم بافو ماتيكاس(١١).

وفي إنكلترا، استخدم جون لاثام نموذجاً (وهو جلد طائر) حين ضمنه في كتابه A General Synopsis of Birds (١٧٨١-٥). أما فيما يتعلق بالنماذج الأخرى للطاووس الأخضر، فقد قال عالم الطيور الألماني كونراد جاكوب تيمينك في عام ١٨١٣ أنه لم تصل أية عينة إلى داخل المتاحف الأوروبية، إلا أن رجلاً فرنسياً يدعى فرانسوا ليفايلانت كان قد رأى بعض الطيور الحية في قفص كبير في كيبتاون، وقد أرسلت من ماكاو(١٢). ولم تتوافر



سي إكسي،
إمبراطورة الصين
الأرملة. على عرش
الطاووس.

معلومات دقيقة حول الطيور الحية المستوردة إلى أوروبا قبل أن يذكر إدوارد تي بينيت طائرين كانا يعيشان في حديقة حيوان لندن عام ١٨٣١، أرسلهما اللورد هولمسديل من بورما. وقد تم لاحقاً استيراد طاووس أخضر حي إلى أوروبا وتربى في هولندا في وقت ما قبل ١٨٧٢ وفي فرنسا عام ١٨٧٣.

وقد كتب الباحث الخبير في الفن الياباني، جورج آشداون في عام ١٨٨٢ قائلاً:

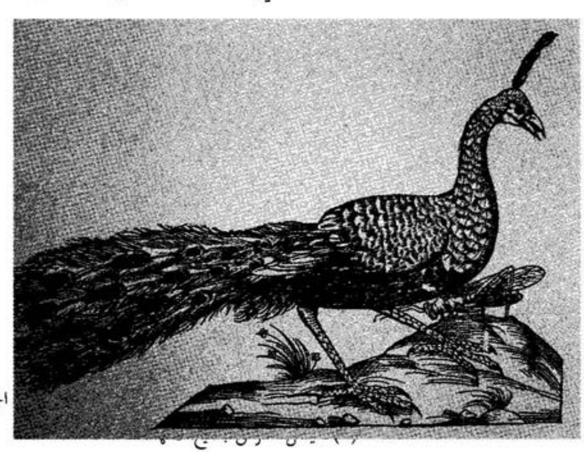
إن صور الطاووس محبوبة جدا لدى الفنانين اليابانيين، ويتم تقديمها بشكل ناجح في كامل فروع فنونهم الزخرفية تقريباً. فالطواويس مرسومة ببراعة في صور الكاكامونية(١) والصور المطوية؛ وعلى أطباقهم الضخمة والأدوات الخزفية الأخرى؛ وهي مشكّلة ومسبوكة ببراعة في تماثيل برونزية(١٣).

هناك حكاية ترتبط بوصول الطاووس إلى اليابان، فمنذ ثلاثة قرون مضت، يُقال أن أحد أمراء هيزين طلب من ضيوفه الذين استضافهم في مأدبة أن يلقوا نظرة على زوج من الطيور الأجنبية الجديدة، وهما طاووسان. ثم سأل الأمير ضيوفه أي الطيرين الذكر وأيهما الأنثى. التفت السادة نحو النساء اللاتي تأنقن بملابس مرحة، وقالوا راغبين في مجاملتهن، بأن لا بد أن تكون الأنثى هي الطائر الأكثر جمالاً. وقررت النساء باحتشام أنه الذكر بلا شك. أجاب الأمير السيدات: «أنتن محقات، فإن الطبيعة بحد ذاتها ستمنح الذكر الكساء الأجمل؛ ويبدو لي الأمر مبهماً أن تكون الزوجة أكثر كبرياء ورغبة في التأنق بترف من زوجها، الذي سيكون عليه تحمل هذه النفقات(١٤).

أصبح الطاووس معروفاً ومشهوراً لدرجة وضعه على البانتيون[٢] الياباني الخاص بالآلهة وبأتباع بوذا. تضم متاحف اليابان الكثير من صور الطاووس الرائعة التي تصور بوذا، مثل الطاووس-الملك بوذا يمتطي ظهر طاووس رافعاً

طبعة عن كليشيه خشبية بعد الرسومات أرسلتها اليابان إلى روما لذكر طاووس أخضر مع جرادة وطاووس أنثى مع سنبلة من القمح، من Ornithologia لأولسي آلدروفاندوس (١٦٠٠).





ذيله. ويُعتبر الطاووس في أجزاء من اليابان مكرساً لإلهة الرحمة كوانون. أما الحكيم الذي يمتطي طاووساً في التصوير الياباني فهو كوجاكوميو، بوذا الشفاء، ويُعتقد بأنه جاء من فايروكانا، وهو واحد من خمسة على غِرار بوذا المتأمِّل.

في القرن التاسع عشر، كان الطاووس جزءاً من التطريز الياباني، وكمثال جميل على ذلك، سترة خارجية حريرية مزخرفة بريش طاووس بألوان متعددة (موجودة في متحف فيكتوريا وألبرت بلندن). كما وصف أودسلي سنة ١٨٨٢، تطريزاً آخر لطواويس على قماش أطلس ذي لون أزرق داكن، نُثر على بعض مواضعه مسحوق الذهب. وقد رُسِمَ ريش الذكر بخيوط حريرية مجدولة بمتانة، أما ريش الذيل، ذو لون البني والأخضر الفاتح والذهبي، فقد تضافرت معاً ببراعة، وكان للطائر عينان مصنوعتان من لفة حريرية. أما ريش الأنثى فهو من لفة حريرية خيطت بغرزات من الريش. وقد استُخدم الزجاج من أجل عيني كلا الطائرين. أما الفوكوسا fukusa (مطرزة) فقد بلغ قياسها ٧٦ × ٦٣,٥ سم. وهناك قطعة يابانية مطرزة من القرن الثامن عشر موجودة الآن في متحف ستيبرت، بفلورنسا. كانت تلك الأقمشة نفيسة تُستخدم فقط في الملابس الملكية.

وقد ابتدع أوغاتا كورين (١٦٥٨-١٧١٦)، الرسام الزخرفي الأبرع في اليابان، طواويس مع زهر الخوخ وزهر الخطمي، (حوالي ١٧٠١-١٠)، يُرجح أنها من أجل زبون ثري، أو فرد من عائلة شوغان التي ارتبط نبات الخطمي بها، وكان هذا الزبون يملك طاووساً أخضر احتفظ به في حديقته. وفي حال كان أودسلي محقاً في أن الطاووس الأخضر قد أُدخل اليابان للمرة الأولى حوالي ١٦٨٠، فإن ذلك العمل هو من بين أقدم الرسومات اليابانية المنقولة عن طائر حي من هذا النوع. من ناحية أخرى، فإن الخوخ معروف جيداً منذ وقت طويل ومُصورٌ بوصفه أحد الميزات الشعرية والفنية لنموذج الشينتو، للفنان كيتانو تينجين (٨٤٥-٩٠٣)، حيث تظهر فيه أزهار مبهجة، في وقت مبكر من فصل الربيع، قبل أن تظهر أوراقه.

رسم العديد من الفنانين اليابانيين الزهور مع الطواويس (كاتشوي)، لكن



مطرزة يابانية على شكل طواويس من القرن الثامن عشر

صورة الطاووس مع نبات الفاوانيا هي المفضلة، حيث ينضم الطائر الذي يمثل الجمال والكرامة إلى جانب شجرة الفاوانيا التي ترمز إلى الربيع. كما رسم أوتاجو هيروشيغ (١٧٩٧-١٨٥٨) لوحة شاقولية (كيكمونو) لهذا التركيب وذلك في أوائل الأربعينات من القرن الثامن عشر. كانت مطبوعات كيكمونو عن الكليشيهات الخشبية تُعلق غالباً على جدران المنازل اليابانية، وهي بديل نفيس للوحات المرسومة على لفائف ورقية، والتي يقتنيها الأثرياء. وقد كان الطاووس مع نباتات الخطمي أحد مواضيع كاتشوي المفضلة لدى هيروشيغ. أراكي كامبو (١٨٣١-١٩١٤)، وهو فنان ياباني يافع، رسم صورة مفعمة بالحياة، كثيرة الزخارف لطاووس أخضر أثناء عدوه بعيداً عمن يراقبه. قد تكون ريشات ذيله مبالغ فيها قليلاً، لكن رؤية مثل تلك الحركة في صورة لطاووس هو أمر سار جداً. وتُظهر مزهرية رائعة الجمال من الخزف المزخرف، تحمل رسم طاووس وأنثاه،



لوحة قماشية ملفوفة لأوغاتا كورين، Peacocks with Plum-Blossom and Hollyhocks، يبدو فيها ذكر يؤدي عرضه أمام أنثى، تعود لأوائل القرن الثامن عشر.

التميز الفني الياباني في هذه الفترة (حوالي ١٨٦٨-١٩١٢). وقد تزامن ذلك مع حقبة الفن المُحدث في الغرب، الذي ألهمته الأساليب اليابانية. من المرجح أن الذكر المصوَّر على هذه المزهرية كان مصدر الإلهام لأحد الطواويس التي على الجدار الجنوبي لحجرة الطاووس في وستلر (انظر الصفحات ١٥٤-٦).

في يومنا هذا، أصبحت فرصة رؤية الطاووس الأخضر في الصور الزيتية الصينية واليابانية أكبر بكثير من فرصة رؤية طائر حي. ويقوم بعض مربي الطيور الآن بتربية طواويس خضراء بنجاح في بريطانيا، حيث يبدو أن تلك الأنواع تصبح أكثر تأقلماً وقدرة على الاحتمال على مر السنين. عموماً، تحتاج هذه الأنواع إلى الحماية عبر مناطقها، إذا رغب البشر بأن يتمكنوا من التمتع بجمال ريشها في المستقبل.

هوامش

١ سي. دبل يو. بيبي، A Monograph of the Pheasants(لندن، ١٩١٨-٢٢)، المجلد ٣، صفحة ٢٦٠؛ المجلد ٣، صفحة٢٢٠-٥١، الطاووس الهندي الأزرق ؛ صفحة ٢٥١-٦٣، الطاووس الأخضر.

٢ المرجع السابق، المجلد ٣، صفحة ٢٦٠.

٣ جين ديلاكور، Pheasants of the World (لندن، ١٩٥١)، صفحة ٣٦٦.

٤ كيث هاومان، Pheasants of the World Their Breeding and Management (سوريه، بي سي، ١٩٩٣)، صفحة ١٧٠، و تي بي غاردينر، Peafowl Their Conservation، Breeding andManagement (دراسة، ١٩٩٦)، صفحة ٢٤.

٥ ويليام وارن، Arts and Crafts of Thailand (لندن، ٢٠٠١)، صفحة ١٢٥.

٦ غاردينر، Peafowl، صفحة ٢٣.

٧ سي. سكوت ليتلتون، الطبعة. Mythology: The Illustrated Anthology of World Myth and Storytelling (لندن، ٢٠٠٢)، صفحة ٤٢٢.

٨ تشيري دينمان، The Little Peacock's Gift: Folktales of the World (لندن، ١٩٨٧)، يرتكز هذا الكتاب على مهرجان الربيع الصيني الذي يُحتفى به عبر الصين بالحفلات والولائم وعروض الألعاب النارية، ويروي هذا الكتاب الصغير كل ذلك ويوضحه بأسلوب جميل.

٩ أنتوني كريستي، Chinese Mythology (لندن، ١٩٦٨)، صفحة ١٣٤-٥.

١٠ بيبي، A Monograph of the Pheasants، المجلد ٣، صفحة ٢٤٥. يضيف بيبي، «في روسيا، من ناحية أخرى، إن ريشة الطاووس هي غالباً جزء من غطاء رأس خادم أو فلاح.»

١١ جون لاثام، A General Synopsis of Birds (لندن، ١٧٨١-٥)، طاووس اليابان، المجلد الرابع، صفحة ٦٧٢، من نوع سبيسيفاير.

١٢ كونراد جاكوب تيمينك، Histoire naturelle générale des pigeons etdes gallinacés (أمستردام وباريس، ١٨١٣-١٥)، المجلد ٢، صفحة ٥٦-٩.

١٣ جورج آشداون أودسلي، Ornamental Art of Japan (لندن، ١٨٨٢).

١٤ المرجع السابق.



لوحة لأوتاجاوا هيروشيغ، Peacock and Peonies، مطبوعة من كليشيه خشبية عن طاووس أخضر وشجرة فاونيا تعود لأوائل الأربعينات من القرن التاسع عشر.

حامل ومزهرية من خزف ساتسوما الياباني يظهر الطاووس منقوشاً عليها



6- الأعمال اليدوية وفن العمارة

لطالما كانت الطواويس في الشرق جزءاً لا يتجزأ من الفن الذي يخدم الثقافات والمعتقدات الدينية. فحالما صُدر هذا الطائر إلى الغرب، أدرك الفنانون وصناع الخزف ومصممو الفسيفساء في الشرق الأوسط قيمته الزخرفية. وفي أوروبا الغربية، ظهرت الطواويس في المخطوطات المرسومة في العصور الوسطى. بعد ذلك، غابت هذه الطيور عن الفن الأوروبي، باستثناء فترة وجيزة اندمجت فيها داخل الصور الزيتية للحدائق التابعة للممتلكات الريفية الألمانية والفلمنكية والإنكليزية، حيث اعتبرت عناصر زخرفية ذات اعتبار، ورموزاً لثروة مالكيها. بعدئذٍ، وفي منتصف القرن التاسع عشر، أدت بعض الأحداث إلى تفجر للأعمال اليدوية التي تصور الطواويس واستمرت لنصف قرن. وخلال هذه الفترة، كان من الممكن إيجاد منزل مملوء بالطواويس، والتي صُورت على الأقمشة وحاجبات النار المعدنية والقطع الفخارية المجاورة للنار والزجاج الملون والمصابيح وورق الجدران بالإضافة إلى الخزف والمزهريات الزجاجية المشكلة بهيئة طواويس أو الملونة بألوانها أو المزخرفة بريشها. ومن الشواهد التي تتيحها لنا اللوحات الزيتية المعاصرة، نجد أن السيدات اللاتي قمن بتزيين هذه الحجرات كنَّ أنفسهنّ يتزيّن بريش الطاووس. وقد كان لموجة الإطلاع الأخيرة على الطواويس أثرٌ على تصميم الأعمال اليدوية، أكثر من أثرها على اللوحات الزيتية، كما رأينا في السابق.

إن معرض الصناعات الدولي (إكسبو)، والذي انعقد في لندن عام ١٨٥١، قد جعل البريطانيين مدركين لثروة الفن، والعمارة والأعمال اليدوية من جميع أنحاء العالم. حيث قامت كل دولة، في القاعة المخصصة لها في قصر البلور، بعرض شعوبها وثقافتها ومنتجات بلادها. وبعد المعرض، تم شراء العديد من المعروضات من أجل متحف كينسينغتون الجنوبي الجديد (وهو الآن متحف فيكتوريا وألبرت) وأصبحت تلك المعروضات مجموعة يدرسها المصممون البريطانيون. وقد أنشأ المصممان البريطانيان ويليام موريس وويليام دي مورغن

حركة جمالية اجتماعية إنكليزية جديدة دُعيت حركة الفنون والحرف.

كان موريس في جامعة أكسفورد مع جون راسكين، الذي أصبح يتمتع بنفوذ كبير ككاتب وناقد، وبوصفه بروفسور الفنون في جامعة أكسفورد، برتبة سليد، وازداد نفوذه من خلال محاضراته حول الفن والعمارة والتاريخ الطبيعي. وشكلت أفكار راسكين المثالية حول أهمية الصناعة اليدوية والإبداع فيما يصب في مصلحة الفنان الحرفي والمستهلك القاعدة الفلسفية لحركة الفنون والحرف (Arts and Crafts Movement). حيث كان راسكين مهتماً بالنماذج الفطرية والألوان في الطبيعة، خصوصاً في ريش الطيور، وقد أنتج العديد من اللوحات استثنائية الدقة، والمفصلة بعناية شديدة، والتي تصور أنواعاً من الريش بما فيها ريش طاووس والذي جعل راسكين يتساءل كيف يتمكن من «إنجازه دون أن أحصل على الفردوس لأغمس ريشتي فيه»(١).

سعى ويليام موريس إلى تطوير نوعية البضائع المصنوعة يدوياً، خصوصاً الأقمشة، وذلك بعد أن رأى الكثير من الأعمال الآلية رديئة الجودة. وقد اعتقد موريس، مثل راسكين، أن البضائع المصنوعة يدوياً هي الأفضل من كافة النواحي، ولها تأثير مفيد على من يصنعها ومن يستخدمها على حد سواء. وقد عاد ويليام إلى ما قبل الثورة الصناعية ليجد مصدر الإلهام من أجل تصاميمه، حيث كان مولعاً بشكل خاص بالألوان الزاهية، وبأقمشة ورسوم العصور الوسطى. كانت تلك فترة برزت فيها الطواويس، في المخطوطات المرسومة والفن الديني والأزياء الرجالية، لذا، فقد صورها، من دون شك، في تصاميم الزجاج الملون وورق الجدران والأقمشة التي صنعها. أما اهتمام موريس بالتطريز فقد تمخض عنه ارتباط بالمدرسة الملكية لأشغال التطريز، حيث تم صنع عدة لوحات مطوية تحتوي طووايس بناء على تصميماته.

كان ويليام دي مورغن خزافاً عمل لصالح موريس وشركائه في تصميم الآجر والزجاج الملون، في ستينات القرن الثامن عشر. كما كان دي مورغن مهتماً بكيمياء طلاء التلميع، وقد اكتشف طريقة صنع طبقات من الطلاء المعدني البراق تماثل تلك التي كان يتم إنتاجها بين القرنين الثاني عشر

قطعة ليلكية جالبة للحظ
بشكل طاووس من
أواخر ١٩٢٠.

والثالث عشر. وقد كانت طبقات الطلاء تلك الوسيلة المثالية لمحاكاة ريش الطاووس القزحي. استوحى مورغن الكثير من عمله من الشرق الأوسط، خصوصاً من الآنية الفخارية الإزنكية التي كانت تُصنع في مركز الخزف في الإمبراطورية العثمانية في القرن السادس عشر، مصوِّرة أوراق شجر طويلة مجعدة وأزهاراً منسقة. لقد صمم دي مورغن العديد من أحجار القرميد التي زينتها الطواويس، واستُخدم بعضها من أجل المواقد فكتورية الحديثة الطراز؛ حيث كانت المواقد القديمة تُصنع من المعدن بشكل كامل تقريباً، لكن في النصف الثاني من القرن، أضيفت إلى تصميمات هذه المواقد بعض ألواح القرميد التي تحمل الزهور والطيور بالإضافة إلى شخصيات من الحكايات.



لوحة Peacock Profile، لإدغار ماكسين، حوالي ١٨٩٦، بألوان الباستيل والغواش على لوحة من ورق. كان ماكسين بارعاً في استخدام الرموز وقد تبنى صور الفن المُحدث في تلك الفترة، بما في ذلك الأنماط والمواضيع المتعلقة بالقرون الوسطى.

والتر كرين هو عضو آخر في هذه الحركة، وهو مصمم ورسام توضيحي، حقق الشهرة في بريطانيا في سبعينيات القرن الثامن عشر بوصفه رسام كتب أطفال. وقد اشتمل Baby's Own Aesop (١٨٨٧) على خرافات الطاووس و«الطاووس يشكو لجونو». وعلى الرغم من أن هذه الكتب كانت موجهة إلى الأطفال في المقام الأول، فقد كان للتصاميم التي احتوت عليها تأثير واسع النطاق. كان تشارلز روبرت آشبي رائداً في مجوهرات الفنون والحرف (Arts and Crafts) التي أنتجت وفق المبادئ الجمالية. وقد أسس آشبي نقابة ومدرسة الحرف اليدوية في الطرف الشرقي من لندن عام ١٨٨٨ وصمم

الكثير من إنتاجها. كما أن اختيار الأحجار الكريمة الأقل قيمة واستخدام المينا بدلاً من المعادن الثمينة، جعل دبابيس الزينة والقلادات متوفرة لأرباب الدخل المعتدل. وقد كان من المفترض أن قيمة الحلي الشخصية لا تكمن في كلفة المواد التجارية، بقدر الخاصية الفنية لتصميمها. فقد استخدم آشبي الأحجار التي تُظهر الإمبراطورية البريطانية الواسعة، باستخدام أحجار الأوبال من أستراليا، واللآلئ من الهند، وأحجار القمر من سيلان (سريلانكا) وماسات جنوب إفريقية. إلا أن الكثير من قلاداته التي تمثل طواويس، كانت مصنوعة من الفضة والذهب واللؤلؤ والماس مع ياقوتة من أجل العين.

أتم الفنان الأميركي جيمس مكنيل ويستلر (١٨٣٤-١٩٠٣) تصميم حجرة كاملة مكرسة للطواويس ومستوحاة من لون ريشها الأزرق المخضر في



صمم ويليام دي مورغن هذا الطبق الخزفي اللامع والملون يدوياً باللون الياقوتي حوالي ١٨٨٥-٩٢، وهوي يحتوي صورة لطاووس أثناء عرض ذيله بالكامل.





تصميم لويليام دي مورغن باستخدام قراميد متعددة رُسم عليها طاووس وسحالي.

دبوس زينة من تصميم تشارلز روبرت آشبي (١٨٦٣-١٩٤٢)، يتكون من الفضة والأوبال وعرق اللؤلؤ، من حركة الفنون والحرف (Arts and Crafts).

منزل في لندن عامي ١٨٧٦-٧، أصبحت هذه الحجرة معروفة باسم «حجرة الطاووس». كانت هذه الحجرة في الأصل حجرة لتناول الطعام في ٤٩ برينسز غيت، منزل فريدريك ليلاند في لندن، وهو مالك سفن ثري. عاش ويستلر وعمل في لندن منذ عام ١٨٦٣، وأصبح صديقاً للشاعر دانتي غابرييل روسيتي (١٨٢٨-١٨٨٢). كان روسيتي يملك معرضاً للحيوانات البرية في حديقته التي احتوت على طواويس زرقاء منذ عام ١٨٦٤-١٨٧١(٢).كما حصل أيضاً على مطبوعات وأعمال يدوية يابانية لطواويس بيعت بأسعار زهيدة بعد معرض جنوب كينسينغتون لعام ١٨٦٢.

كان وستلر مطلعاً على طيور روسيتي الحية وعلى صورها في مطبوعاته اليابانية على حد سواء. كما امتلك وستلر بنفسه العديد من المطبوعات اليابانية، بينها صورة طاووس مطبوعة معلقة في حجرة الجلوس في منزله في ليندسي رو بلندن. كما كانت الطواويس تُرى أيضاً على الخزف الياباني المستورد، كما وضّح أودسلي فيThe Keramic Art of Japan، الذي نُشر سنة ١٨٧٥.

وقد ساعد روسيتي ليلاند في شراء الصور الزيتية وأعمال الخزف، فأصبح ليلاند، من خلاله، زبوناً دائماً لوستلر عام ١٨٦٧. جمع فريدريك ريتشارد ليلاند، المولود في ليفربول علم ١٨٣١، ثروته من صناعة الشحن بالسفن وأنفق أموالاً طائلة على مجموعة من الأعمال الفنية والخزف الصيني. وعندما حصل على ذلك المنزل في برينسز غيت عام ١٨٧٤، استخدم فنانين ليقوموا بتصميمه على أنه ستارة خلفية لمجموعاته الفنية الشرقية. وقام توماس جيكيل (١٨٢٧-١٨٨١) بتصميم وترتيب حجرة تناول الطعام، حيث غطى الجدران بجلد غالي الثمن قبل أن يمرض سنة ١٨٧٦، ويعجز عن إتمام العمل. قام ليلاند بتكليف وستلر بإكمال التصميم. وقد اشتمل ذلك على السقف والمصاريع التي تغطي النوافذ، والأبواب والأفاريز والجزء الأدنى المزخرف من جدار الغرفة وطلاء الجدران ذات اللون الجوزي. وضع وستلر اللون الذهبي على تلك المناطق، وبالأحرى، فقد وضع نحاساً أقل لمعة قليلاً مغطى بطبقة من طلاء شفاف بلون

أخضر نحاسي وذلك بهدف إبراز لون دعاه «اللون الذهبي الأخضر».

و بهدف الإسراع في إنجاز المهمة، دعي وستلر إلى العيش في المنزل سواءً أكان ليلاند حاضراً أم غائباً في عمله. وحالما أنهى وستلر عمله، صمم على إضافة تفصيل جديد. حيث رسم زخارف متوجة الشكل باللون الأزرق، تطورت لتصبح بشكل ريشة، مع لمسة من اللون الأزرق في الوسط، تشبه التشكيلات اللونية لريش ذيل الطاووس وريش الجزء الأمامي من عنقه على حد سواء. ثم رسم طواويس بحجمها الطبيعي على مصاريع الأبواب، مستخدماً اللون الأزرق على الخلفية المذهبة. كان لأحد هذين الطاووسين عرف طاووس أزرق، بينما امتلك الآخر عرف طاووس أخضر. إلا أن وستلر كان قد تخطى حدود مهمته، فعندما عاد ليلاند على نحو غير متوقع، في تشرين الأول عام ١٨٧٦، لم يسرّه ما رأى. طلب وستلر ٢٠٠٠ جنيه مقابل عمله. وتلا ذلك جدال

إحدى زوايا «حجرة الطاووس» في واشنطن، دي سي، التي قام بتصميمها وبزخرفتها سنة ١٨٧٦-٧ الفنان جيمس مكنيل وستلر في الأصل من أجل منزل خاص في لندن.



غير لائق حول الأجر وفي نهاية المطاف دفع ليلاند ١٠٠٠ جنيه فقط. فزالت الخلافات فيما بينهما في بعض النواحي، إلا أن وستلر عاد إلى المنزل ورسم زوجين ضخمين من الطواويس المتشاجرة، المفعمة بالحياة، والغاضبة مُخلداً بهذا النزاع القائم بينهما. وبالنظر إلى الخاصية المميزة لعرف الطاووس الأخضر، نجد أن هذين الطائرين الذهبيين خياليان بعض الشيء، وواقعيان بعض الشيء، وبمعزل عن هذا، فإننا نلحظ عدم واقعية الرسم من القطع الفضية المستديرة أو العملات المتناقضة مع اللوحة، والتي تبدو في ريش الطائر الذي على الجهة اليمنى، بالإضافة إلى بعض القطع المتناثرة حول قدميه- ويُعتبر ذلك إشارة إلى أن ليلاند قد دفع للفنان بالشلنات بدلاً من الجنيهات الذهبية.

لقد اشتهرتْ الحجرة إلى درجة أنها اجتذبت الكثير من الزوار حتى وفاة ليلاند سنة ١٨٩٢. وفي عام ١٨٩٠ قابل مالك السفن الأميركي تشارلز لانغ فرير (١٨٥٤-١٩١٩)، وستلر وأصبحا صديقين. تردد فرير على وستلر كثيراً حتى وفاة الأخير في ١٦ تموز سنة ١٩٠٣. وبعد مرور شهر، قام فرير بشراء لوحة وستلر La Princesse du pays de la porcelaine، التي كانت قد عُلقت يوماً ما في حجرة الطاووس. وفي ١٦ أيار ١٩٠٤، اشترى فرير حجرة الطاووس بأكملها مقابل ٨٤٠٠ جنيه ثم قام بشحنها إلى منزله في ديترويت في العام التالي. وبعد وفاة فرير عام ١٩١٩، بلغت الحجرة موضعها الأخير، في معرض فرير غاليري في العاصمة واشنطن، عندما أوصى فرير بحجرة الطاووس، كجزء من مجموعته الفنية، للدولة الأميركية(٣).

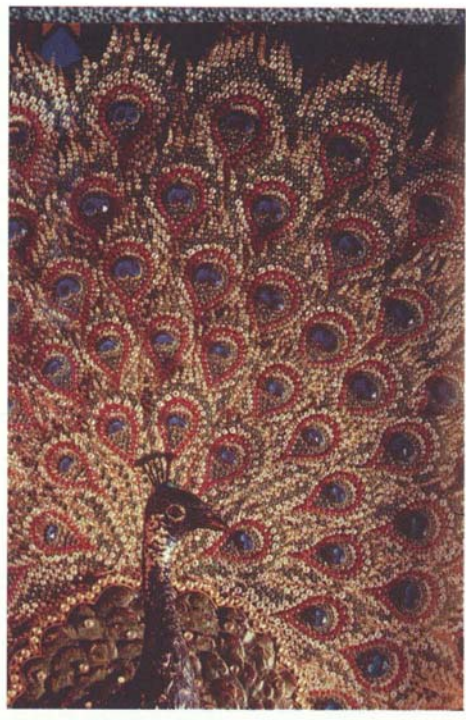
كما ارتبط الطاووس بفن العمارة في أميركا بعلاقة أخرى لكنها ثانوية، فلم يقصدها المهندس المعماري ولم يخطط لها. حيث أن نساء الطبقة الراقية كنّ يتجولن على طول الممر الرئيسي لفندق والدورف أستوريا، في الجادة الخامسة، نيويورك، الذي بُني عام ١٨٩٥، وهذا ما منحه لقب «ممر الطاووس». وفيما بعد، أصبحت ممرات مماثلة في فنادق أخرى تُعرف أيضاً باسم ممر الطاووس.

وعبر أوروبا، كانت الحركة الرومانسية حركة عصرية، لتمتعها بالذوق في أساليب التصوير الخلاقة الفاتنة. فبنى لودويغ الثاني ملك بافاريا، قلاعاً

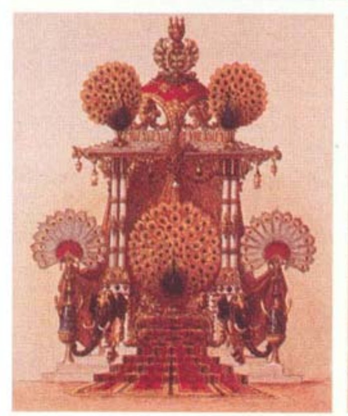
فائقة الجمال، منغمسا في شغفه بالثروة، والطلاء بطبقات كثيفة من الذهب، والألوان شديدة السطوع والزخرفة الخيالية. ولكونه مولعاً بالطيور، فقد جعل قلاعه مأوى للببغاوات الحية والطيور الطنانة والطواويس. وقد بُني أحد قصوره، ليندرهوف، بين عامي ١٨٧٧ و١٨٨٦. وعند هبوط الليل، حين كان لودويغ يسأم من مراجعة الأوراق والتقارير الرسمية، كان يغادر قصره المزخرف ويلجأ هارباً إلى كشك على الطراز المغربي الإسلامي، وهو بناء من حديد الزهر ذو قبة ذهبية اشتراها لودويغ وقام بنصبها في الحديقة. أما في داخل الكشك، فقد كانت الجدران والأقواس مزخرفة بالزجاج الملون بزخارف معقدة، كما احتوى الكشك على كمٍّ وافر من السجاد التركي، وحوض رخامي، وأثاث مرصع بمادة عرق اللؤلؤ، ومزهريات من ريش النعام. وفي خميلة مضاءة بنوافذ من الزجاج الملون، انتصب عرش من المعدن المطلي بالمينا والمسبوك بهيئة ثلاثة طواويس، تغطي الحرائر الشرقية النفيسة كرسيه الديواني الطويل، وقد قام فرانز فون سيتز، مدير المسرح القومي في ميونيخ، بتصميم هذا العرش من أجل لودويغ. كما أمر الملك البافاري العديد من الحرفيين بصنع مجسمات لطيور

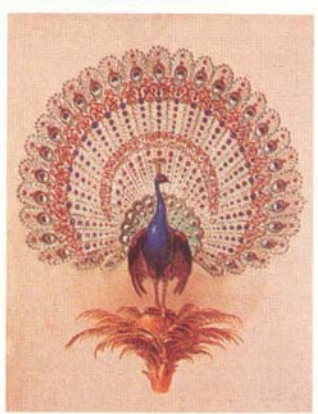


تصميم للوحة سقفية لروبرت ريد في تسعينات القرن الثامن عشر، تمثل «البصر» كواحدة من الحواس الخمس، من أجل القاعة الكبيرة في مبنى جيفرسون في مكتبة الكونغرس، واشنطن، العاصمة.



تفصيل من عرش
الطاووس الخاص بلودويغ.





تصاميم لفرانز فون سيتز
لعرش الطاووس العائد
لأواخر القرن التاسع عشر
والخاص بلودويغ الثاني،
ملك بافاريا، والمصنوعة
خصيصاً من أجل
كشك لودويغ موريش في
سكلوس ليندرهوف.

لتزيين مبانيه. وقد قام مصنع سيفريز بصنع تمثالٍ لطاووس أزرق بحجم طبيعي تقريباً على قاعدة من الزهور.

لم يبرع سوى قلة من الخزافين في المهارات التقنية المطلوبة لابتداع مجسمات خزفية ضخمة لطواويس. كان التمثال الذي نفَّذه مصنع سيفريز ملوناً بشكل مهيب، وذا ريش مذهل الإتقان، لكن كان ثمة سلف بارز لهذا المجسم، تم صنعه كجزء من مجموعة الطيور الخزفية الملكية الخاصة بالأمير أوغستوس الجبار. ففي عام ١٧١٧، اشترى الأمير القصر الياباني في دريسدن ليتلاءم مع مجموعته الواسعة من الخزف الشرقي وخزف ميسين. كان القصر محاطاً بمعارض للحيوانات والحيوانات البرية، التي كانت تُحنط وتُنقل إلى داخل القصر عند موتها.

وفي حجرة النوم الملكية، تم تطبيق الفكرة المتعلقة بالطيور في أقمشة المفروشات، المصنوعة من ريش الطيور الغريبة التي حيكت معاً كنسيج. كما أصدر أوغستس أوامر لمصنع ميسين بتشكيل الطيور بحجمها ولونها الطبيعي، وتم إرسال العديد منها إلى القصر بين عامي ١٧٣٠ و١٧٤٠. من بين تلك الطيور، هناك طاووس أزرق كان له الفضل في الزيادة الهائلة في الطلب على الفنان البارع جوهان غوتليب كاندلر (١٧٠٦-١٧٧١). فقد استغرق كاندلر ست سنوات لإنجاز الطاووس، بعد رسمه بشكلٍ تخطيطيّ مع طيور أخرى تعيش في معرض الحيوانات البرية.

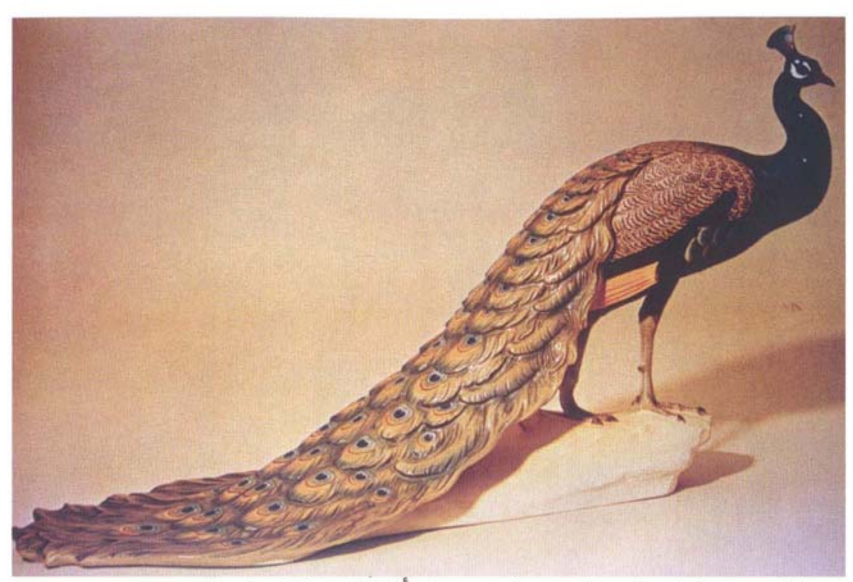
في انكلترا، ظهرت آنية مطلية من خزف الميوليق، وكانت قريبة في الحجم والأسلوب من نماذج مصنعيّ ميسين وسيفريز. وقد قام بول كوموليرا بتشكيلها عام ١٨٧٣.

كما أنتجت بعض المصانع البريطانية تماثيل لطواويس أصغر بكثير: تصميم حاشية الطاووس لأوبري بيردسلي من أجل شخصية سالومي في مسرحية سالومي لأوسكار وايلد (١٨٩٤). وفي حوالي ١٨٣٠، على سبيل المثال، أنتج مصنع ديربي للخزف تمثالين قائمين على تصاميم أصلية من ميسين، لكن تلك التماثيل كانت قاسية وصغيرة فعلاً بحجم ٨,٩ في ١٦,٥ سنتيمتر وهناك أيضاً



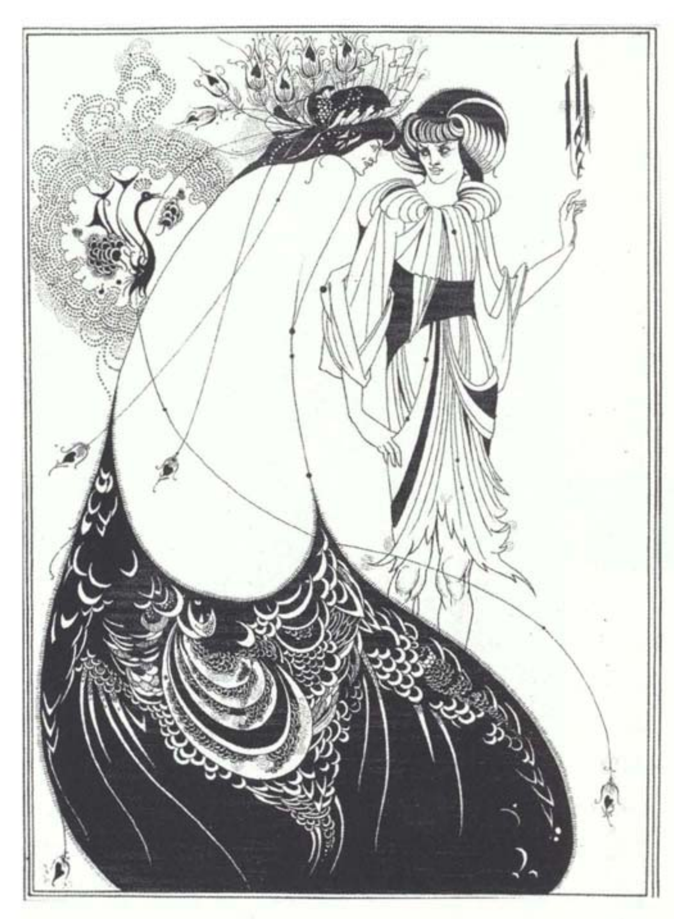
تمثال روكنغهام لطاووس قصير ممتلئ يعرض ذيله، بارتفاع ٩,٨ سم، صُنع بين عامي ١٨٢٦ و١٨٤٢. قام باو بالفعل بصنع تمثال لطاووس وآخر لأنثى بألوان مصطنعة في حوالي عام ١٧٧٣. أما آخر طاووس خزفي بالحجم الطبيعي فقد صُنع في مصنع نيمفينبيرغ بالقرب من ميونيخ حوالي ١٩٠٨، وقام بتصميمه تيودور كارنر. إن ذلك التصميم هو نموذج رفيع لفن ذلك الخزّاف.

اتجهت جماعة من الفنانين العصريين المقيمين في لندن، من بينهم وسكار وايلد المحب للمتعة وصديقه وستلر، نحو الشرق كمصدر للإلهام. ولم تكن



طاووس بالحجم الكامل صممه تيودور كارنر، وصُنع في نيمفينبيرغ بالقرب من مونيش في القرن التاسع عشر.

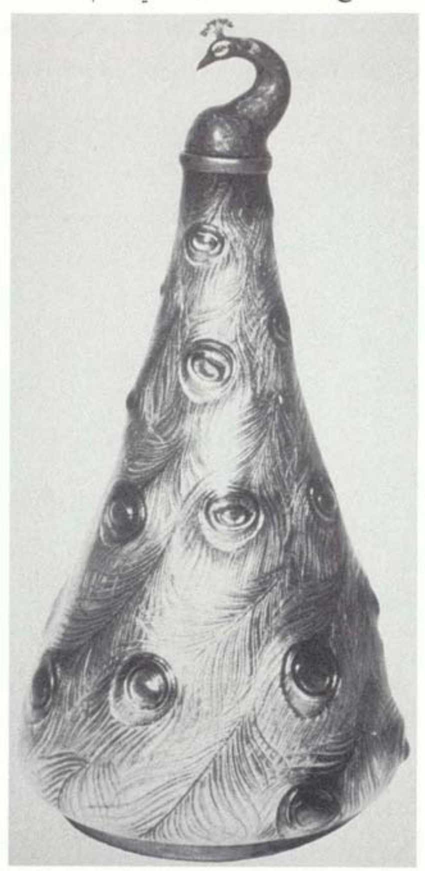
ردة فعلهم موجهة ضد قبح التصنيع فحسب، بل أيضا ضد إضفاء الصفة الأخلاقية على حركة الفنون والحرف الاشتراكية؛ ويُعرف هؤلاء الفنانون اليوم بأنهم جزء من الحركة الجمالية، وقد قاموا بالترويج لفكرة أن الجمال هو الأسمى واتبعوا فلسفة «الفن من أجل الفن». وكان ذلك يحاكي رؤية جون راسكين حين قال: «تذكر أن الأشياء الأكثر جمالاً في العالم هي تلك عديمة النفع، كالطواويس وأزهار الزنبق مثلاً»(٤). قام أوبري بيردسلي (١٨٧٢-١٨٩٨) بتنفيذ الرسومات التوضيحية لمسرحيات وايلد، بما فيها مسرحية سالومي الشهيرة سنة ١٨٩٤، التي ألهمها، بلا شك، كتاب التصاميم لوالتر كرين، وزخارف وستلر في برينسز غيت. في العام السابق، تضمنت رسومات بيردسلي من أجل كتاب Le Morte dArthur، كماً وافراً من الطواويس وريشها. كانت حجرة الطاووس لوستلر المثال الأكثر سخاء على الداخل الجمالي. وقد جمع مع وايلد الخزف الأبيض والأزرق الصيني، وكانا متأثرين بمجلد من المخططات للفنان والطبّاع الياباني كاتسوشيكا هوكوساي.



تصميم تنورة الطاووس للفنان أوبري بيردسلي لشخصية سالومي من مسرحية اوسكار وايلد التي تحمل اسمها (سالومي) ١٨٩٤.

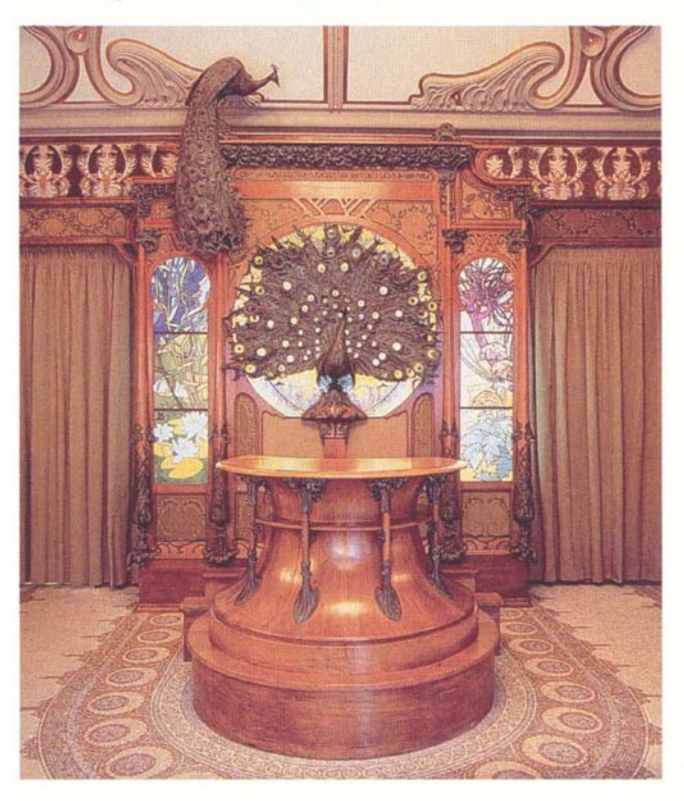
عُرضت الآنية والخزف والعاج والتماثيل البرونزية اليابانية في معرض باريس عام ١٨٦٢، الذي أصبح الطاووس بعده رمزاً للثروة العصرية الملفتة للنظر والموضوع الأمثل للحركة الجمالية من سبعينات إلى ثمانينات القرن الثامن عشر ولحركة الفن الحديث في تسعينات القرن الثامن عشر على حد سواء. كان هذا الطائر في الفن الياباني (وهو الطاووس الأخضر، برغم أن الفنانين لم

يميزوا دوماً بين الطاووسين الأزرق والأخضر) على وشك أن يصير أيقونة للفن الحُديث، وأسلوباً زخرفياً انتشر على نحو واسع عبر أوروبا الغربية وأميركا خلال ثمانينات القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر. فإذا كانت حجرة الطاووس هي المثال البارز على فن العمارة المستوحى من هذا الطائر، فإن وفرة من الأعمال اليدوية التي ابتدعها فنانو الفن الحديث بما يشابه شكل الطاووس الملتوي وريشه القزحي، كان لها أثرٌ أوسع وأكبر وأبعد على الوعي العام.



زجاجة وسدادة بشكل طاووس مطلي بالمينا، صممها يوجين فيولاتر، حوالي ١٩٠٠.

راجت السلع اليابانية المستوردة وبيعت في باريس ولندن منذ أواخر السبعينات من القرن الثامن عشر، وحققت مقداراً هائلاً من الاهتمام والإثارة، فلم يكن مثل تلك السلع متوفراً للشراء من قبل. وكان لطريقة استخدام المنحنيات والخطوط الزخرفية وأشكالها المسطحة البسيطة تأثيرها على فناني المذهب الفني الحديث. وأنشأ سيغفريد بينغ (١٨٣٨-١٩٠٥)،تاجر الأعمال الفنية الفرنسي المولود في ألمانيا تجارته على هذه السلع المستوردة، وكان يُشرف على تحرير مجلة Le Japon artistique التي كانت تصدر دورياً منذ عام ١٨٨٨. كما كان مطلعاً على اهتمام مشابه في بلجيكا، فقد أثاره نوع جديد من



متجر جورج فوكيت للمجوهرات، صممه ألفونس موتشا سنة ١٩٠١، ثم أعيد بناؤه في موسييه كارنافال بباريس.

الفن رفض التسليم بعبادة الماضي والتقاليد الأكاديمية. تبنى بينغ هذه الفكرة وسمى معرضه في باريس «آرت نوفو» أي الفن الحديث.

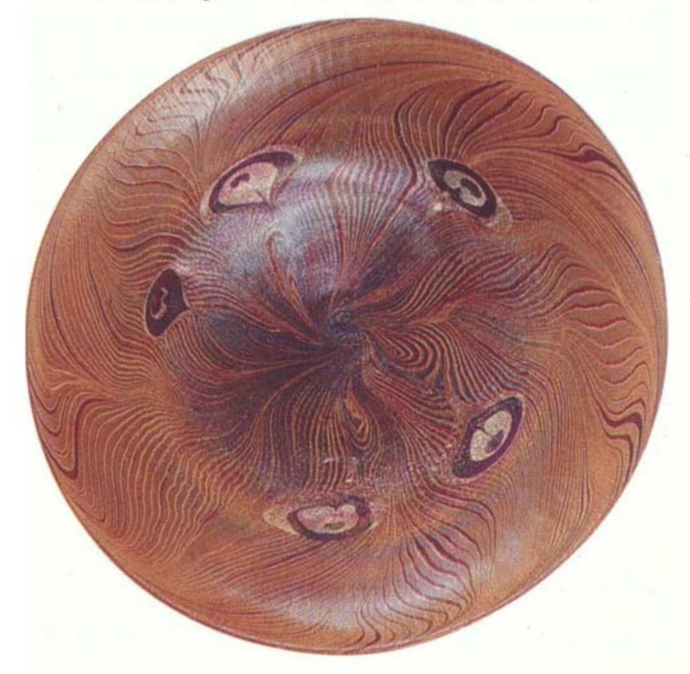
أنتج إميل غاليه (١٨٤٦-١٩٠٤) صانع الزجاج والخزف ومصمم المفروشات، قطعاً فنية زجاجية وفق الطراز الحديث بعد أن تبنى مهنة العائلة في صناعة الزجاج في نانسي سنة ١٨٧٤. وتولى رينيه لاليك (١٨٦٠-١٩٤٥)، وهو صائغ مجوهرات فرنسي شهير تدرب في باريس ولندن، إدارة مشغل الصائغ الباريسي جولز دي إيستاب في ١٨٨٥ ثورة في تصميم المجوهرات، باستخدامه الأحجار الكريمة ذات الألوان الزاهية في رسوم الأزهار والحوريات. كما أضاف صناعة الزجاج إلى ذخيرته سنة ١٨٩٨ وجاءت تصاميمه لاحقاً لتجسد رسوم الفن الحديث. وقد قام بينغ ببيع بضائعهم في باريس، إلا أن الترويج الأكثر ترفاً للفن الحديث، ظهر في متجر جورج فوكيت الباريسي، الذي أعيد تصميمه الداخلي عام ١٨٩٥ وفق أسلوب هذا النوع من الفن، ليوحي بالرفاهية والغنى منذ لحظة اجتياز الزبائن للمدخل؛ حيث تُبرز منضدة المتجر تمثالين لطاووسين يرفع أحدهما ذيله- كأمثلة كاملة عن الزهو والتفاخر.

وفي أميركا، بدأ لويس كومفورت تيفاني (١٨٤٨-١٩٣٣) العمل بالزجاج سنة ١٨٧٣ ثم أسس شركته في عام ١٨٩٢، وكان عمله هذا شكلاً فريداً للغاية من الفن الحديث. لم تكن نوافذه ذات الزجاج الملوَّن والتي رُسمت عليها صور، مُقسَّمة إلى إطارات مُثبَّتة بالرصاص، بل كانت الألوان والأشكال تنساب بطريقة فنية. وبعد أن جمع تيفاني زجاجاً قديماً، رومانياً وإغريقياً، قام بتجريب صناعة زجاج متقزح نصف شفاف، وعندما نجح في فعل ذلك عام ١٨٩٤، أطلق على ذلك الزجّاج تسمية «فافريل». ثم قام بصنع سلسلة من النوافذ التي صممها فنانون فرنسيون بارزون سنة ١٨٩٥، في حين كانت مصابيحه وأوانيه الزجاجية معروضة في معرض سيغفريد بينغ في باريس منذ عام ١٨٩٨. وقد عزز حضوره في معارض في باريس نجاح عمله.

وقد قامت عدة مصانع في أوهايو وبنسلفانيا بصنع العديد من الأعمال اليدوية الرديئة غير المتقنة التي تحاكي زجاجيات تيفاني وتستهدف جمهور

الفقراء، ودُعيت أواني كارنيفال، وكان لكل مصنع منها نماذجه المميزة التي اقتدى بها، وتم تسجيل أكثر تصاميم شركة زجاج نورثوود شهرة، «طاووس عند النافورة» في عام ١٩١٤. يتكون زجاج الكارنيفال من زجاج مضغوط زهيد الثمن يُرش بمحاليل من الأملاح المعدنية التي تتكشف عن ألوان الطاووس حالما يبرد الزجاج. وقد شاع استخدام هذا الزجاج في أراضي المعارض، ومن هنا جاءت تسميته.

منذ حوالي ١٨٧٠، ظهر الكم الأكبر من الإنتاج الفني الأميركي للأواني الخزفية، حيث تدفقت المزهريات والأكواب والأوعية والرسوم والأصص والجرار إلى الأسواق. وبرزت شركة روكوود للخزف من بين أفضل الشركات المنتجة المعروفة منذ أوائل الثمانينات من القرن الثامن عشر. لقد كانت المحاولة لتقليد قزحية ألوان ريش الطاووس وصورته وشكله على المزهريات والأطباق،

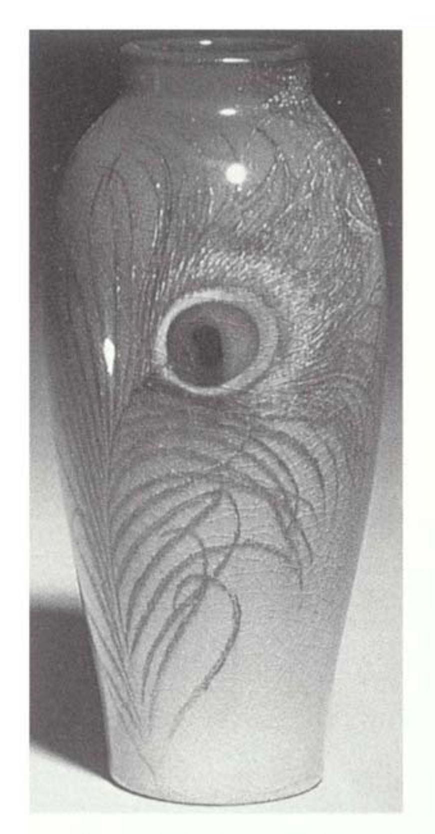


طبق نموذجي من زجاج الفافريل برسم طاووس من وحي الفن الحديث، استُخدم كثيراً للدراسة في محترفات تيفاني الفنية.

شيئاً شاملاً لجميع هؤلاء الحرفيين، سواءً أكانوا يعملون بالزجاج أو بالجواهر أو بالأواني الخزفية وكانت تلك البضائع في متناول الأثرياء أو زمرة الدخل المتوسط.

وقد تم تعريف بقية أنحاء أميركا بالفن الحديث من خلال الملصقات الإعلانية بالمقارنة مع أواني تيفاني الخزفية باهظة الثمن. ففي التسعينات من القرن الثامن عشر، ظهرت صرعة الملصقات الإعلانية، التي عززتها أغلفة المجلات: Harpers وCentury و Lippincott»s. أما التصميمات المسرحية الجريئة ذات الألوان البراقة، فقد كانت مفصلة تماماً على شكل الطاووس. كما ظهرت تصاميم مماثلة على أغلفة الكتب وبرامج المسارح. وظهرت استخدامات متنوعة لتصاميم الطاووس على أغلفة البضائع ومنها الأطعمة ومستحضرات التجميل.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد تم توظيف ريشة الطاووس كرسم متكرر، بدءاً من المزهريات الأنيقة لأوغستي ديلاهيرتشي وروكوود من جهة، إلى الريش الحقيقي الملصق على الخلفيات المسرحية المطبوعة على البطاقات البريدية التي تعود لعهد الملك ادوارد الثامن من الطرف الأخر من السلسلة الجمالية. كما اجتاح ريش الطاووس أيضاً السطوح الزجاجية والخزفية بتفاعل مُرهف للون القزحي مع الزخرفة الشجيرية؛ والأواني التي صنعها ويليام موركروفت في مصنعه عام ١٩١٣، هي مثال عن الأواني الخزفية الفنية والتي تتم صناعتها وهي شائعة جداً في الوقت الحاضر، وكذلك لا تزال القطع القديمة منها تحت الطلب. و تمثل آنية خزفية قديمة من فلوريان الأسلوب الذي جعل موركروفت مشهوراً. وقد كانت ريشة الطاووس رمزاً محبوباً استخدمه متجر ليبرتي، الذي كان راعياً لموركروفت. كما افتتح آرثر لاسينبي ليبرتي متجراً في شارع ليجينت في لندن سنة ١٨٧٥، واستورد البضائع الشرقية معرفاً متسوقي لندن على الفن الأوروبي الحديث في روسيا، كانت العائلة الملكية راعية للحرفي البارع فابرجيه، وكانت بيضة الطاووس، وهي إحدى أشهر البيضات التي صنعها فابرجيه، قد نُفِّذَتْ





مزهرية خزفية أميركية من وحي الفن الحديث تعود لعام ١٩٠٠، من روكوود بوتري للخزف مع رسم لريشة طاووس لكارل سكميدت.

مزهرية فلوريان خزفية لموركروفت تعود لعام ١٩٠٢.

لكي يقوم القيصر نيكولاس الثاني بتقديمها إلى والدته سنة ١٩٠٨. في داخل البيضة المصنوعة من البلور الحجري يجثم طاووس ذهبي مطلي بالمينا يمكن إخراجه وبرمه ليتبختر جيئة وذهاباً، محركاً رأسه ورافعاً ذيله. لقد قيل إنَّ الحرفي المسؤول عن المخطط الميكانيكي استغرق ثلاث سنوات لإتمامه، منطلقاً من نموذج بحجم طبيعي قام بتصغيره شيئاً فشيئاً حتى أصبح بقياسه المصغر هذا. وقد يكون هذا الطائر نسخة عن الطاووس الآلي في متحف هيرميتيج.

إن أحد أروع الأمثلة عن الطاووس في فن العمارة في هذه الفترة هو طاووس منقوش في العاج. فقد استسلمت الملكة فيكتوريا إلى إغراء الشرق، خصوصاً بعد أن أعلنتها حكومة ديزرائيلي إمبراطورة للهند عام ١٨٧٦. وفي هذا المنصب، فرحت الملكة فرحاً صاخباً، فامتلكت خداماً من الهنود في منازلها. أما حجرة الدربار الغريبة في منزل أوسبورن، فقد صممها لوكوود كيبلنغ (والد روديارد كيبلنغ)سنة ١٨٩٠ مع باي رام سين، وهي تعكس الفن والحضارة الهندية، واشتملت على هدايا ذلك البلد. قام الحرفيون الهنود بزخرفة الكثير من أجزاء تلك الحجرة بالعاج المنقوش وفق تصاميم معقدة، من ضمنها نقش عاجي لطاووس فوق الموقد.

وقامت مصانع دولتون ومينتون وويدغوود بصنع أمثلة عن رسوم لطاووس على الآنية الخزفية، تم بيعها في متجر ليبرتي. وكان مصنع دولتون شديد الحرص على توظيف سيدات للقيام بزخرفة وتزيين الأواني الخزفية التي ينتجها؛ حيث ابتدعت الحرفية الموهوبة فلورنس بارلو آنية خزفية لمصنع دولتون عليها طاووس ملون يدوياً عام ١٨٨٥ (٥) كما صنع كراون لامبيث من دولتون آنية خزفية



ساهم الطاووس في الاعلان عن البضائع المترفة وزخرفة عبواتها. وقبل الحرب العالمية الأولى، أنتجت الصين ماركة «بيكوك» للشاي، وقامت بتغليفه شركة الصين للشاي في هونغ كونغ.



بطاقة عيد الميلاد أُلصق عليها ريش طاووس وهي تعود لعصر الملك ادوارد الثامن.



صورة نفذها هنريك ويغستروم تمثل بيضة الطاووس من صنع فابرجيه، والتي قام القيصر نيكولاس الثاني بتقديمها إلى والدته سنة ١٩٠٨.

صافية مزينة بتلوين يدوي أيضاً، ومصقولة ومخبوزة عدة مرات لإضفاء تدرج غني على درجة اللون المعتَّقة. ومما صنعه مصنع دولتون أيضاً ، مزهريات كارارا المصنوعة من الخزف الحجري ذي اللون الأبيض الكثيف المائل للصفرة والمطلية بطبقة شبه زجاجية، نصف شفافة وخفيفة اللمعة مماثلة لمرمر كارارا. وكانت المزهريات، بما فيها تلك التي رُسمت عليها الطواويس، تُزخرف بالأصباغ الملونة وطبقات الطلاء البراقة وطبقات بالذهب.

بعد عام ١٩٠٠، تابع الفن الحديث ازدهاره حتى بداية الحرب العالمية الأولى التي وضعت حداً للحقبة الإدواردية المفعمة بالحيوية وبمتع الرفاهية والملذات التي تميزت بها، والجمال من أجل الجمال والتسالي باهظة الثمن. مرة أخرى و بالتدريج، انسحب الطاووس، رمز الكثير من الأشياء التي تُعتبر غريبة،

بعيداً عن الأنظار. وخلال بقية القرن العشرين، لم تتواجد الطيور الحية سوى في بعض الحدائق الواسعة، فأحياناً، كان وجودها يتمثل في صور الطيور المشذبة التي يتم قصها في شجيرات السياج (الوشيع) دائمة الخضرة. في البداية، كانت الطيور المشذبة عناصر زينية في الحدائق ذات التصميم الفخم، وقد عُرف أنها صُنعت للمرة الأولى في شجيرات الحدائق الرومانية. في وقت لاحق، أصبحت الطيور المشذبة شائعة في بريطانيا، ونرى أمثلة على مثل هذه الطواويس كبيرة الحجم في حدائق وارويك كاسل وليتل مورتون و هول وهادن هول وغريت دكستر وبيدفونت وهوتون لودج وغيرها. في الوقت الحاضر، لم يعد صنع الطواويس المشذبة حكراً على الطبقة الأرستقراطية، فقد أصبحت شائعة في البيوت الصغيرة حيث يقوم عمال البستنة، ببراعة، بتقليم شجر الطقسوس والبقس والدبق لإعطائها الشكل الذي يريدونه..

أما الطواويس المذكورة في الأدب فهي نادرة كندرة بنات جنسها من الطواويس الحية، ومع ذلك، فإن الأميركي فلانري أوكونور (١٩٢٦-١٩٦٤)، الذي كان يكن إعجاباً جماً لهذا الطائر، أشار إلى الطواويس في كتاباته، كما فعل دي إتش لورانس. موسيقا الطاووس هي أكثر ندرة أيضاً، إلا أن الموسيقي الهنغاري زولتان كودالي كتب سنة ١٩٣٩، Variations on a Hungarian Folksong (The Peacock)، معتمداً على أغنية تراثية ريفية عن قصة شعب الماري التي تتحدث عن رحلة طاووس طار إلى سجن دار البلدية ليقوم بتحرير العديد من الشبان الذين كانوا محتجزين هناك. وتتّصف الموسيقا بمسحة متفائلة ببشائر مستقبل جديد، مستقبل أفضل- حيث أن هذه البشائر ضرورية للطواويس، اليوم، كما هي ضرورية للجنس البشري. كان فنانو القرن العشرين الذين يرسمون الطيور، يفضلون رسم صور واقعية لها في مناطق بيئتها الطبيعية. وقام الفنان ملدريد بتلر بعدة محاولات لدمج الطاووس في مشهد بيئة طبيعية، إلا أن الطاووس لا يزال يبدو متكلفاً في أي منظر جميل يحيط به.

في عصرنا الحالي، يسافر العديد من الناس إلى مناطق بعيدة من الكرة

الأرضية، حيث قد تفاجئهم رؤية السكان المحليين ما يزالون يلبسون ريش الطاووس في شعرهم، أو رؤية ريشه في القبعات كما في بعض البلدان الأوروبية الشرقية، أو أن يكونوا قادرين على شراء مراوح ريش الطاووس، كما في أسواق يونان. وسيرى الكثيرون الطواويس وهي تتجول في حنايا المعابد الهندية، أو تختال بالقرب من مراكز الزوار في المتنزهات القومية في الهند الصينية. في بلدنا، قد يشتري منسقو الزهور ريش الطاووس من متاجر باعة الزهور المحلية، في حين أن من الممكن رؤية طواويس، زرقاء وخضراء، يقوم مربو طيور مختصون برعايتها، أو تُربى في حدائق حيوانات ومناطق مخصصة للرحلات. وفي بعض الأحيان قد يسبب ظهور طاووس ما في إحدى القرى الدهشة أو السرور أو الذعر للقرويين.

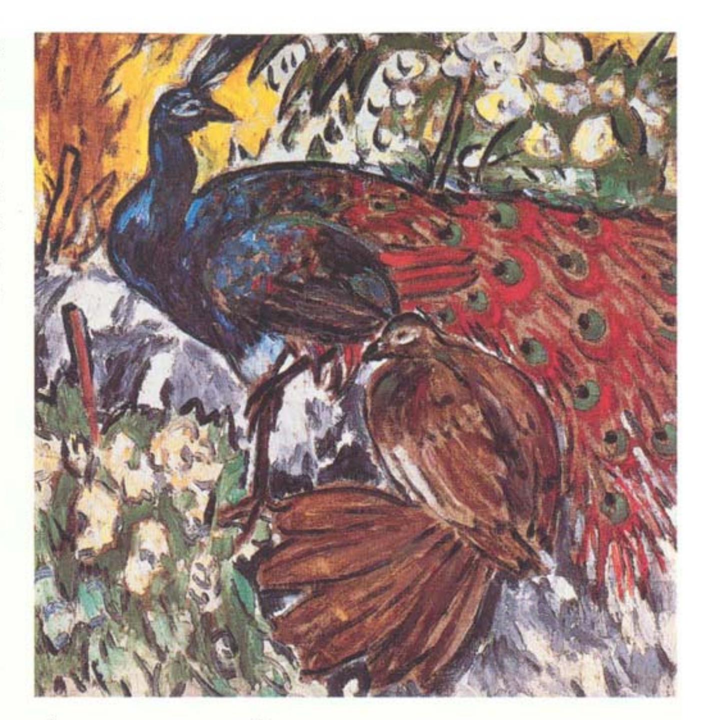
إن تدبر أمر طائر واحد هو أمر معقول، لكن حين يصل حشد من عشرة طواويس أو أكثر على نحو غير متوقع، ويبدأ بالتبختر هنا وهناك وخدش السيارات وإفساد نباتات الحدائق وإطلاق الصرخات في وقت مبكر من



شعار شركة التلفزة الأميركية NBC المشابه لطاووس.



طاووس مشذب تم تقليمه في شجيرة سلطان الجبل Lonicera Bagisons Gold على هيكل سلكي من صنع براين جويس من ويثامبستيد، هيرتفوردشاير.



لوحة Peacocks، لميخائيل لاريونوف، ١٩١٠، صورة بالألوان الزيتية على القماش. تبدو الأنثى أكثر بروزاً قليلاً مما تكون في العديد من لوحات الطاووس الأخرى.

الصباح، فقد تكون ردة فعل بعض السكان على الأمر سيئة، على الرغم من أن بعض القرويين الآخرين سيعجبون بالجمال الأخاذ لتلك الطيور ويرحبون بها؛ حيث أن ردات الفعل المتباينة هذه معهودة من مواقف البشر تجاه هذه الطيور الرائعة. وقد أعاد التقرير الصحفي حول إحدى تلك الانتهاكات، إلى الذاكرة رسالة سارة جداً من أب كاهن كان قد اختبر غزواً مماثلاً في قريته. فقد طار سرب من من سبعة عشرَ طائراً إلى حديقته وعبَّرَ عن استحسانه لأثرها المهدئ على حركة السير. لكن أعداد الطواويس تضاءلت خلال الأسابيع التالية، وقد عزا الكاهن ذلك إلى الخسارة الطبيعية وحوادث المرور وبعض ولائم القرون الوسطى الغريبة، إلى أن بقي ذكر طاووس وحيداً. دُعي هذا الطاووس بيرسي، وكان يلازم حديقة بيت الأب الكاهن، ويتنزه على الشرفة الأمامية



ويتقبل هدايا الزبيب والكشمش وكان يتناول طعام غذائه يومياً وبحرية في الحانة المحلية، و«لم يكن يحب شيئاً أكثر من جمهور يقدره حق قدره» من أجل عروضه.[٦]

تتمتع الطواويس بقدرة مضمونة على منحنا الكثير من المتعة البصرية اليوم كما أعطتها لآلاف لا تحصى على مر القرون الماضية. إن هذا العرض، بالنسبة إلى أي إنسان شاهد طاووساً يرفع ذيله المتألق الوامض ويبسطه، هو مشهد رائع، يترك ذكرى لا تمحى عن «الطاووس في زهوه».

هوامش

١ جون راسكين. ٢٢ تشرين الأول ١٨٧٥، استُشهد به في مورين لامبورني، The Art of Bird Illustration (لندن، ١٩٩٠) صفحة ١٦٣.

٢ غيل بيدريك، Life with Rossetti; or، No Peacocks Allowed (لندن، ١٩٦٤)، صفحة ٨٥ إلى ٦، سببت صيحات طيور روسيتي توتر علاقاته مع جيرانه، مما أدى بهم للشكوى إلى مالك الأرض، لورد كادوغان، الذي أصر على روسيتي بأن يقوم بالتخلص من الطيور. كما قام اللورد كادوغان بإدراج فقرات في عقود إيجار لاحقة تنص على منع الاحتفاظ بالطواويس في حدائق عقاراته المؤجرة.

٣ ليندا ميريل، The Peacock Room: A Cultural Biography (نيو هافين ولندن، ١٩٩٨).

٤ جون راسكين، Stones of Venice (لندن، ١٨٥١-٣)، الفصل ٢.

٥ انضمت فلورنس إي بارلو إلى لامبيث بوتري للخزف في ١٨٧٣. وقد قامت مع شقيقتها هانا برسم الطيور وذوات الأربع حتى حوالي ١٨٧٨ حين توصلتا إلى اتفاق مغزاه أن تقوم فلورنس فقط برسم الطيور: ديزموند آيليز، The Doulton Lambeth Wares (لندن، ٢٠٠٢)، صفحة ٧٢-٤.

٦ رسالة من الكاهن دي جي توماس، Daily Telegraph (٨ أيار ٢٠٠٤). وصل حشد من الطواويس إلى كوكلي، وورسيستشاير، نُقل هذا الخبر في الدايلي تلغراف (٦ أيار ٢٠٠٤). كما تم نقل خبر عن غزو حشد آخر من الطواويس لقرية سولدروب في بيدفوردشاير، وذلك في الدايلي تلغراف (٣ أيلول ٢٠٠٥).

الجدول الزمني للطاووس

1.8-5.3 مليون قبل الميلاد
تربط مستحاثة إثيوبية من العصر البيلوسيني طواويس بافو الآسيوية بطاووس أفروبافو الإفريقي، لكنها أكثر شبهاً بأنواع بافو

2600-1800 قبل الميلاد
الشعوب المتحضرة في وادي السند تصنع أواني فخارية مزينة بطواويس



حوالي 1500 قبل الميلاد
تتضمن الكتب الهندوسية على طواويس في حكاياتها

950 قبل الميلاد
ملك يهوذا تتاجر مع حيرام ملك صور وتحضر له الطواويس

حوالي 1067-70
نسيج مطرز من بايو على حاشيته طواويس فوق ويليام المنتصر



حوالي 1100 - 1400
العديد من المخطوطات المرفقة برسوم تتضمن طواويس

القرن الرابع عشر
أشار ويليام لانغلاند وجيفري تشوسر إلى الطواويس في قصائدهم

القرن الخامس عشر
عرفت الطواويس بشكل واسع في أوروبا: في الحدائق وفي قبعات وخوذ الرجال المزينة

القرن السادس عشر
تصبح رقصة الباڤان الإسبانية شائعة في إنكلترا

1775
تطلق ملكة فرنسا ماري أنطوانيت صيحة وضع ريش الطاووس في الشعر

1804
مُنحت الطواويس التي انحدرت من الطاووس الأخضر البورمي اسم سبيسيفاير

1860 - 90
استخدمت رسوم الطاووس بكثرة من قبل الحركات الفنية والحرفية

1876 - 7
رسم وسلر حجرة الطاووس في منزل فريدريك ر. ليلاند في لندن

1886 - 91
تأسست جمعية أودوبون القومية الأميركية وجمعية حماية الطيور من أجل منع استغلال الطيور من أجل ريشها



القرن الرابع قبل الميلاد	القرن الأول الميلادي	القرن السادس بعد الميلاد	من القرن 9 إلى 11 بعد الميلاد
كان التجار الفينيقيون قد أخذوا الطاووس معهم إلى اليونان بحلول هذا الوقت	استورد الرومان الطواويس وتناولوا لحمها	أيسوب الساموسي يكتب الخرافات Fables؛ ويظهر طاووس يرفع ذيله على مقدمة سفينة منقوشاً على عملة ساموس	وضعت ريشة طاووس في قبر فايكنغ في أوسلو

1600	القرن السابع عشر	حوالي 1686	1739	1774
نشر آلدروفاندي أول صورة للطاووس الأخضر، أرسلت من اليابان إلى البابا	رسم الفنانون المغوليون المنمنمات	تؤخذ طواويس خضراء حية إلى اليابان	يؤخذ عرش الطاووس الذي تم صنعه في عام 1629 من دلهي إلى إيران	أول خبر حول الانتفاع بريش الطاووس، في طعوم الصيد



1914 - 1890	1937	1945	1949	1963
العمل بأسلوب الفن الحديث، حيث تبنى لاليك وفابرجيه وتيفاني الطاووس كرمز للترف والجمال	أول مرة يعرف الغرب فيها بوجوج طاووس الكونغو عندما يصف تشابن يصف طائر الكونغو مبولو.	أحدثت المحميات الطبيعية لحماية الطواويس الخضراء وطواويس الكونغو	أعطيت الأجناس التي انحدرت من الطاووس الأخضر الصيني الهندي اسم الإمبراطور imperator	أصبح الطاووس الأزرق الطائر القومي في الهند

قائمة الكتب المرجعية

إليوت، دانييل جيرود، A Monograph of the Phasianidae، or Family of Pheasants، مجلدين (نيويورك، ١٨٧٠-٧٢)

بارون، جون بنروز، The Silver Coins of Samos (لندن، ١٩٦٦)

بليني، Natural History; English translation by H. Rackham، عشرة مجلدات (لندن، ١٩٣٨-٦٢)

بوديت، جاك، Man and Beast: A Visual History (لندن، ١٩٦٤) Brewer's Dictionary of Phrase and Fable، قام بتنقيحه أيفور إتش إيفانز (لندن، ١٩٨١)

بوفون، جورج لويس-ليكليرك، كومتي دي، Histoire naturelles des Oiseaux ١٠ مجلدات (باريس، ١٧٧٠-٨٦)

بولو، ماركو The Book of Ser Marco Polo...، نسخة سير هنري يول، مجلدان (لندن، ١٩٠٣)

بيبي، ويليام، A Monograph of the Pheasants، ٤ مجلدات (لندن، ١٩١٨-٢٢)

بيرغمان، جوزيف، The Peafowl of the World (هندهيد، سوريه، ١٩٨٠)

بيكر، إدوارد تشارلز ستوارت، The Game Birds of India، Burma and Ceylon ٣ مجلدات (لندن، ١٩٢١-٣٠)

بيكيرنغ، ديفيد، Cassell's Dictionary of Superstitions (لندن، ١٩٩٥)

بيلون، بيير، L'Histoire de la nature des oyseaux (باريس، ١٥٥٥) ـــ Pourtraicts d'oyseaux...(باريس، ١٥٥٧)

تاميستو، أنتيرو، Birds in Mosaics: A Study on the Representations of Birds in Hellenistic and Roman-Campanian Tesselated Mosaics to the Early Augustan Age (روما، ١٩٩٤)

ثاير، جيرالد هاندرسون، Concealing Coloration in the Animal Kingdom (نيويورك، ١٩٠٩)

جبرناتيس، أنجلو دي، Zoological Mythology or Legends of Animals، مجلدين (لندن، ١٨٧٢)

جسنر، كونراد، Historiae animalium (زوريتش، ١٥٥١-٨)

جونزجارد، بول إيه، The Pheasants of the World (أكسفورد، ١٩٨٦)

دالابيكولا، آنا إل، Dictionary of Hindu Lore and Legend (لندن، ٢٠٠٢)

دانييل، هاورد، Encyclopaedia of Themes and Subjects in Painting (لندن، ١٩٧١)

داوتي، روبن وايتاكر،

Feather Fashions and Bird Preservation: A Study in Nature Protection (بيركيلي، CA، ١٩٧٥)

ديلاكور، جين، The Pheasants of the World، النسخة الثانية (بوريس، سوفولك، ١٩٧٧)

دينمان، تشيري، The Little Peacock›s Gift: Folktales of the World (لندن، ١٩٨٧)

رادفورد، إي، وإم إيه رادفورد، Encyclopaedia of Superstitions، نسخة كريستينا هول (لندن، ١٩٦٢)

رايس، إي إي، The Grand Procession of Ptolemy Philadelphus (أكسفورد، ١٩٨٣)

روبرتس، مايكل، Peacocks Past and Present (تشلتينهام، ٢٠٠٣)

رولاند، بيريل، Birds with Human Souls (كنوكسفيل، تي إن، ١٩٧٨)

ريمبولد، إرنست توماس، Der Pfau: Mythologie und Symbolik (ميونيخ، ١٩٨٣)

ريمانت، جي إل، A Catalogue of Misericords in Great Britain (لندن، ١٩٦٩)

زيونر، فريدريك إي، A History of Domesticated Animals (لندن، ١٩٦٣)

ستراتون، كارول، Art of Sukhothai Thailand›s Golden Age، mid-١٣thc-mid-١٥thc (لندن، ١٩٨٧)

سترومبرغ، إل، Peafowl Breeding and Management (مينيسوتا، ١٩٨٥)

ستورم، راشيل، Indian Mythology: Myths and Legends of India، Tibet and Sri Lanka (لندن، ٢٠٠٠)

شو، جورج، وبي إف. نودار، Vivarium Naturae; or، the Naturalist›s Miscellany ٢٤ مجلد (لندن، ١٧٩٠-١٨١٣)، المجلد xvi

غاردينر، تي بي. Peafowl: Their Conservation، Breeding and Management (دراسة، ١٩٩٦)

فريزر-لو، سيلفيا، Burmese Crafts: Past and Present (أوكسفورد، ١٩٩٤)

كاي، تشارلز دي، Bird Gods (لندن، ١٨٩٨)

كلاتون-بروك، جولييت، Natural History of Domesticated Animals (كامبريدج، MA ولندن، ١٩٨٧)

كلينجيندر، فرانسيس، Animals in Art and Thought to the End of the Middle Ages (لندن، ١٨٧١؛ نسخة جديدة ١٩٧١)

ليليوايت، برايت، London Signs(لندن، ١٩٧٢)

ماتينغلي، هارولد، Coins of the Roman Empire in the British Museum، مجلدين (لندن، ١٩٧٦)

ماكفارلين، كيه، بي، Hans Memling (لندن، ١٩٧١)

ميريل، ليندا، The Peacock Room: A Cultural Biography (نيو هافين ولندن، ١٩٩٨)

نيوتون، ألفريد، A Dictionary of Birds (لندن، ١٨٩٦)

هادفيلد، آنا، A Peacock on the Lawn (لندن، ١٩٦٥)

هاومان. كيه، Pheasants of the World: Their Breeding and Management (سوريه، بي سي، ١٩٩٣)

هول، جيمس،
Hall»s Illustrated Dictionary of Symbols in Eastern and Western Art (لندن، ١٩٩٤)

هيوم، آلان أوكتافيو، وسي.إم.تي مارشال،
The Game Birds of India، Burmah and Ceylon
٣ مجلدات (لندن، ١٩١٣-١٧)

واير، فيليب، A Guide to the Pheasants of the World (لندن، ١٩٦٩)

وود، جيه جي، The Illustrated Natural History (لندن، ١٨٥٣)

ويلش، ستوارت كوري، Imperial Mughal Painting (لندن، ١٩٧٨)

ياب، برونزدون، Birds in Medieval Manuscripts (نيويورك ولندن، ١٩٨١)

جمعيات ومواقع إلكترونية

UNITED PEAFOWL ASSOCIATION www.peafowl.org	جمعية المتحدة للطاووس www.peafowl.org
PEACOCK INFORMATION CENTER www.peafowl.com	مركز المعلومات المتعلقة بالطاووس www.peafowl.com
SPECIES SURVIVAL COMMISSION OF IUCN the World Conservation) (Union www.iucn.org	لجنة حماية الأنواع التابعة للاتحاد الدولي للمحافظة على الطبيعة (الاتحاد العالمي لحماية الحياة البرية) www.iucn.org
WORLD PHEASANT ASSOCIATION www.pheasant.org.uk	جمعية عالم طائر التَدْرُج www.pheasant.org.uk
THE WILDLIFE CONSERVATION society www.wcs.org	جمعية حماية الحياة البرية www.wcs.org
THE CONGO PEAFOWL TRUST www.nagonline.net	هيئة الكونغو للطاووس www.nagonline.net
BIRD LIFE INTERNATIONAL www.birdlife.net	جمعية حياة الطيور الدولية www.birdlife.net

كلمة شكر

أصبح عام ٢٠٠٥ في بيتنا عام الطاووس، لذا فإنني في أشد الامتنان لزوجي أندرو، على صبره واهتمامه، وخصوصاً لدأبه على تصوير الطواويس الزرقاء والخضراء وطواويس الكونغو خلال هذا العام.

كما أكنّ أحرّ التقدير لأصدقائي الذين لفتوا انتباهي إلى وجود الطاووس في جميع المواد، والأشكال والأحجام، ومن أجل اهتمامهم بسير الكتاب. أشكر كارول باروز وريتشارد باسبي وإيرول فولر ودبليو. ج. هال ولورنس جونز وмورين لامبورني وأَمبرلي مور وهوارد رادكلايف، من أجل اهتمامهم واقتراحاتهم. وكذلك براين جويس الذي عرض علي طواويسه المشذبة بمهارة وماري وكين أودمارد مالكا الطواويس الزرقاء اللذين كانا في غاية السخاء في منحنا وقتهما بينما حاولنا جعل تلك الطيور تتقبلنا ومن ثم تتخذ وضعياتها باطمئنان. إنه لامتياز أن تتمكن من الوقوف بالقرب من الطواويس التي تبسط ذيولها، أما الفراخ فقد كانت بهجة خالصة. وقد سمح لنا كوينتون سبرات برؤية طواويسه الخضراء رائعة الجمال، برغم عدوانيتها، وقد تركت في أنفسنا أثراً يفوق كثيراً الأثر الذي تركناه.

لم يفلح سوى قلة قليلة من البشر حول العالم في تربية طواويس الكونغو. لكن واين ماكليود من حديقة حيوان تشستر، استطاع القيام باستيلادها وتربيتها أكثر من مرة، وأشكره على حماسه ومعرفته بهذه الطيور البالغة الندرة.

كما مد لي أمناء المكتبات يد العون خلال البحث عن صور الطواويس ثنائية الأبعاد، فقاموا، بكل ابتهاج، بإحضار وحمل المئات من الكتب. وأخص بالشكر جينا دوغلاس في جمعية لينين، لندن، وإيان داوسون في rspb، وأمناء المكتبات في مكتبة جامعة كامبريدج وفي مكتبة هافرهيل العامة.

كلمات شكر من أجل الصور الفوتوغرافية

تود المؤلفة مع الناشرين أن يعبروا عن امتنانهم للمصادر الواردة أدناه والتي استقوا منها الوسائل التوضيحية وأو الإذن بنسخها. لم يتم ذكر بعض هذه المصادر في التعليقات لدواعي الإيجاز وهي مُدرجة أدناه أيضاً.

عن يو آلدروفانداس، ... Ornithologia (بولوغنا، ١٦٠٠): صفحة ١٤١؛ عن إف بارلو، Birds and Fowles (لندن، ١٦٦٥): صفحة ١١٦؛ عن جيه باير، Uranometria... (أوغسبيرغ، ١٦٠٣): صفحة ٤٠؛ عن تي بيويك، ، History of British Birds (نيوكاسل حوالي تاين، ١٨٢٦): صفحة ١٦؛ عن تي بيويك، Select Fables (نيوكاسل حوالي تاين، ١٨٢٠): صفحة ٦٠، ٥٠؛ بيبلوثيك مازارين، باريس (بيب. مازارين، ٤٧٣ إم إس، ملف ٨٥V): صفحة ٤٢؛ مكتبة بودليان، أكسفورد (إم إس إيليوت ٢٥٤، ملف ٩R): صفحة ٦٩؛ المكتبة البريطانية، لندن (قسم الشؤون الشرقية، أو إيه ١٩٧٣. ٩-٠٣-١٧، 'the 'Manley Ragamala): صفحة ٦٢؛ من دبل يو كرين، Triplets (لندن، ١٨٩٩): صفحة ٥١ (أسفل)؛ عن دي جي إليوت، Monograph of the Phasianidae...(نيويورك، ١٨٧١-٧٢): صفحة ٣١؛ متحف فوغ آرت، كامبريدج، ماس: صفحة ٧١؛ كونراد جسنر، Historiae Animalium liber iii qui est de avium natura

زوريتش، ١٥٥٥): صفحة ١١٢؛ جيه جولد،)

Birds of Asia (لندن، ١٨٥٠-٨٣): صفحة ٣٩؛ عن جيه جيه غراندفيل، Les Animaux (باريس، ١٨٦٦): صفحة ٩ (اليسار)؛ مجموعة هينوهارا، طوكيو: صفحة ١٤٤؛ صور أندرو بي جاكسون: صفحة ٦، ٧، ١٧، ١٩، ٢٤، ٢٨ (الأسفل)، ٣٠، ١٠٣، ١٠٥، ١١٣، ١٢٩؛ صور بموافقة براين جويس: صفحة ١٧١؛ كيدلستون هول، ديربيشاير: صفحة ٨٠؛ متحف

كانزثيستوريستشيز، فيينا: صفحة ١١٤؛ صور مايكل آر ليمان ريكشن بوكس: صفحة ٧٤؛ صور مكتبة الكونغرس، واشنطن، العاصمة: صفحة ٢٩(قسم المطبوعات والصور الفوتوغرافية، lc-uszc٤-٢٩٩١)، ١٥٧ (lc-usz٦٢-٩٣٩٣٤)؛ موسييه دي لا تابيسيري دي بو: صفحة ٩٧؛ متحف اللوفر، باريس: صفحة ٥٤، ١٢١؛ متحف نارودو، غدانسك: صفحة ١٠٩ (سابقاً في مارييكيرشيه، دانزيغ)؛ المتحف الوطني في الهند: صفحة ٤٦؛ من جيه نوت،

Cook's and Confectionar's Dictionary (لندن، ١٧٢٣):

صفحة ١١٨؛ متحف القصر، تايبي: صفحة ١٣٢،



يسحر ريش الطاووس القزحي الأنظار عندما يعرضه بالكامل، ويحمل الطاووس أيضاً معانٍ: حيث تنجذب الأنثى إلى الذكر الذي يمتلك أكبر البقع العينية في ريشه، وتنمو سلالتهما المشتركة بشكل أسرع ويكون لها معدل بقاء أعلى.

وليست أنثى الطاووس الوحيدة التي تقع في سحر الطاووس، ففي عام ١٨٨٦ ساهم الاستخدام المفرط لريش الطاووس في تصميم القبعات النسائية في تأسيس جمعية أودوبان الوطنية في الولايات المتحدة الأمريكية. وكذلك الأمر بالنسبة لجمعية حماية الطيور في بريطانيا في عام ١٨٩١. وقد استخدم ريش الطاووس أيضاً في تجهيز السهام وفي النماذج الجصية والمخطوطات التصويرية، وتم توظيفه بشكل كبير من قبل الحرفيين في حركتي الفن والحرف والفن الحديث.

قامت كريستين إي. جاكسون في كتابها الطاووس بتقديم مسح متكامل لتأثير هذا الطائر على الفنون البصرية في العديد من الثقافات، ودوره في الدين والأساطير، وكذلك قامت باستكشاف تاريخه الطبيعي وكشفت كيف تمكن هذا الطائر المقيم والذي يسكن في الهند وسيرلانكا، وغير القادر على الطيران لمسافات طويلة، الحياة في ظل شروط شبه داجنة في العديد من البلدان الغربية.

كريستين إي. جاكسون عالمة طيور متخصصة في الفنون التوضيحية والتاريخ الطبيعي والاجتماعي، وهي تعيش في سوفولك.

يتضمن هذا الكتاب ١٢٠ رسماً توضيحياً، منها ٧٩ رسماً ملوناً.







